أخلاقيات العلاقة الزوجية

الشيخ حسين مظاهري

دار التعارف للمطبوعات
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٩٩٤م ـ ١٤١٤هـ

دار التعارف للمطبوعات

المكتب : شارع سوريا ـ بناية درويش ـ الطابق الثالث
الإدارة والمعرض : حارة حريك ـ المنشية ـ شارع دكاش ـ بناية الحسنين
تلفون : ٨٣٧٨٥٧ ـ ٨٢٣٦٨٥
صندوق البريد : ٨٦٠١ـ١١ / ٦٤٣ـ١١

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرات التي نقدم ترجمتها العربية للقارىء الكريم ، تتناول موضوع الأخلاق التي يندب الإسلام إليها فيما يرتبط بتعامل الزوجين فيما بينهما ومع الأولاد وهي تُمهد لهذا المبحث الرئيسي بتوضيح نظرة الإسلام تجاه قضية الاستجابة للغرائز وخاصة الغريزة الجنسية وتكوين الأسرة والعلاقات والحقوق والواجبات المتبادلة ويناقش المحاضر بعض القضايا الأساسية كقضية حدود طاعة الزوجة للزوج وقضية استشارة الزوج للزوجة والعديد من القضايا المماثلة ، مبيناً بلغةٍ يسيرةٍ مبسطة نظرة الإسلام تجاهها .

والميزة الأساسية التي تمتاز بها هذه المحاضرات القيّمة ، هي اهتمامها بالواقع العملي وقضاياه التي تشترك فيها كافة مجتمعات المسلمين ، والسلوكيات الرائجة فيها حين تحللها بدقةٍ ثم توضح نظرة الإسلام وحكمه تجاهها بلغةٍ مفهومةٍ للجميع ، الأمر الذي يجعلها ذات تأثير تربوي عملي مباشر فلا ينحصر تأثيرها بالجانب النظري ولعلّ هذا أهم دوافع اختيارنا لها لتقديم ترجمتها للقارىء العربي حين تفتقر المكتبة العربية لهذا النمط من المحاضرات التربوية العامة الميسرة التي تهتم برصد سلبيات الواقع ومعالجتها وفق الرؤى الإسلامية .

يضاف إلى ذلك مميزات شخصية المحاضر ، فهو آية الله الشيخ حسين المظاهري أحد كبار الاساتذة في حوزة مدينة قدم المقدسة ، وإلى جانب مقامه العلمي الرفيع يمتاز آية الله المظاهري باهتمامه البالغ بإيصال المعارف الإسلامية والقيم الأخلاقية التربوية وحتى العرفانية الدقيقة إلى عموم الناس بلغةٍ وعظية ميسرة ومفهومةً ، وهذا مصداق رفيعٍ للحديث النبوي « زكاة العلم إنفاقه » ، فأسمى مصاديق إنفاقه إيصاله إلى المحتاجين له بالصورة التي يستطيعون الانتفاع منه فيها .

وهناك ميزةً أخرى لمحاضرات آية الله المظاهري وهي سعيها إلى حفظ الوحدة الموضوعية في كل واحدةٍ أو مجموعة منها ، مما يجعلها محاضرات منهجية مبرمجة وبالتالي أكثر نفعاً وتأثيراً ، والمحاضرات التي نقدم ترجمتها العربية في هذا الكتاب ، كان سماحته قد ألقاها في أيام رمضان المبارك سنة ١٤٠٩ للهجرة في مصلى القدس في مدينة قم المقدسة .

وقد سعينا في الترجمة إلى الحفاظ على لغة المخاطبة الحضورية المنسجمة مع منهجية المحاضر في إيصال مواعظها وأفكارها ، ولم نتصرف سوى في حدود حفظ الانسجام اللغوي وفق خصائص اللغة العربية ، كما قمنا بتخريج النصوص والروايات الواردة فيها وذكرنا مصادرها في الهامش وأشرنا إلى المصادر المفيدة لمن أراد التوسع في البحث من موضوعاتها. سائلين الله تبارك وتعالى أن ينفع بها الساعين إلى التخلق بالأخلاق الإسلامية في كافة شؤون حياتهم ولا سيما في مجال البيت العائلي والعلاقات بين أفراد الأسرة وهي الميدان الأول للإنسان المؤمن الذي يجب عليه أن يولي قضية أسلمته الأولوية الأولى فإنه إن استطاع القيام بذلك كان على غيره من الميادين الحياتية أقدر . والله ولي التوفيق .

المحاضرة الأولى :

المقدمة

- انسجام الدين مع الفطرة
- معنى الفطرة
- فطرة طلب الله
- فطرية العبادة
- أهمية العبادة والدعاء
- عبادة الزهراء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وأشرف بريته أبي القاسم محمد ـ صلّى الله عليه وعلى آله الطيبين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين لا سيما بقية الله في الأرضين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين .

« الأخلاق العائلية[1] هو العنوان الذي أختاره للبحث الذي سأتحدث عنه خلال هذا الشهر المبارك ـ بمشيئة ربّ العالمين ولطف بقية الله (عج) ؛ وأسأل السيدة الزهراء (عليها السلام) أن تتلطّف بأن تجعل هذا الموضوع مورد اهتمام الجميع وقيماً ونافعاً للجميع ؛ فلو استطعنا إكماله ، لَنَفَع الجميع إذ إنّه قيِمٌ أخلاقياً مفيدٌ نفسيّاً واجتماعياً والناسُ بِحاجةٍ إليه .

ولهذا البحث مقدمة وفصول عدة ، وأحدثكم اليوم عن مقدمته لنبحث لاحقاً عن فصولِهِ ـ بمشيئة الله ـ .

---

(١) العنوان الذي اختاره سماحة الشيخ المحاضر هو « أخلاق در خانه » وترجمته الحرفية هو « الأخلاق في البيت » وحيثُ أن المقصود هو البيت العائلي وأكثر حديث الشيخ عن الأخلاق العائلية لذا فقد ارتأينا استخدام العنوان الثاني مع الإشارة إلى أن الأول أنسب في اللغة الفارسية حيث لا يستخدم الثاني فيها بمعناه المتعارف في العربية .

المقدمة
انسجام الدين مع الفطرة

نستفيد من القرآن أنّ الإسلام هو دين الفطرة ، بمعنى أنه منسجمٌ بالكامل مع أصل خلقة الإنسان وغاية حركته وحقيقة روحه ؛ يقول ـ تعالى ـ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تبدِيلَ لِخلْقِ الله ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّم ﴾(٢) .

أي : تَوَجَّهْ ـ بالكاملِ ـ للإسلام ، فهو الدين الحنيف والوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط ، لأنه منسجمٌ بالكامل مع الفطرة الإلهية

فهو دينٌ « قيِّمٌ » ، أي : أبديٌّ ثابت ، لكونه وسطاً منسجماً مع الفطرة ـ كما توضح الآية الكريمة ـ ونبيُّه (صلّى الله عليه وآله) هو خاتم الأنبياء(٣) .

معنى الفطرة : ـ

الفطرة ـ لغةً ـ تعني الخلقة ، يَحْسُنُ أَنْ أتحدَّثَ بعض الشيءِ عن هذِه المفردةِ ، وأرجو من الجميع والطلبةِ الأفاضل خاصة الانتباه بدقةٍ عليها .

إنّ معلوماتنا هي على قسمين :

الأول : فكرية تتحصّل بالتعليم والتعلّم مثل ما يتحدث عنه العلم في

---

(٢) سورة الروم / ٣٠ .

(٣) الاستدلال على خاتمية النبوة المحمدية يرجع إلى كون الاسلام ديناً أبدياً ثابتاً ، وليس لكونه منسجماً مع الفطرة الإلهية، فأصل الاديان الإلهية عامة ـ غير المحرفة ـ مُنْسَجِم ـ مع المطرة.

المدرسة ، ويستنتجه التلميذ ، ونظير ما أقولُـهُ في هذا الاجتمـاع المقدَّس ومـا تستنجونه منه .

فهذه معلوماتٌ يكتسبها الإنسان ، وترتبط بعقله ، فهي معلوماته .

والقسم الآخر : يضمُّ معلومات غير اكتسابية بل « وجـدانية » ، وَهي لا ترتبط بالعقولِ ، بل بالغرائز والميول ، مثل إدراك الإنسان للجوع والعطش .

فهي معلومات ليست تعليميّة ولا تعلُّميّة ، بل تُـدرَكُ وجدانيـاً ، إذ يجوع الإنسان ، فيتناول الطعام ، فيشبع ، أو يعطش فيشرب الماء ، فيرتوي .

فهو يدركُ الجوعَ والشبع بالغريزة التي أودعها الله فيه .

وبعبارةٍ أخرى يدرك (معنى) العطش سـاعة ينتـابُه ويـدرك الارتواءَ سـاعة يتناول الماء.

وهذه الغرائز على قسمين :

الأول : يشـارك فيه الإنسـان الحيـوانَ كـافَّـةً ، ولعَلَّهُ في بعض الحيـوانِ أقوىٰ مِنه في الإنسانِ نظير الأمثلة المتقدِّمة .

والثاني : هي الغرائز التي يتحكَّم فيها التوجُّهُ والإرادة ، وهـذا القسم هو الذي يُطلق عليه اسم « الفطرة » (الإنسانية) .

فـالفطرة هي نفس الغـريزة مـع فـارقٍ هـو أنَّ الغريـزة تعمل بصـورة غير شعورية دون توجُّهٍ ولا إرادةٍ ، ولديها معلومات .

أمَّا الفطرةُ ، فهي تدرك ولكن بالعِلمِ والتوجُّهِ .

فطرة طلب الله : ـ

جُبل الإنسان على فطرة طالبـة لله واجدة لـه وهي متركـزةٌ فيه بقـوة ، فهو بـذاتـه واجـدٌ لله طـالبٌ لـه ـ تعـالى ـ ، فلو رُفِعت الحجبُ حقّـاً ولم يَكن في الإنسانِ رذائلُ الصفات أو اضمحلَّتْ فيهِ ، لَعرفَ الله مثلما يدرك العَطَشَ .

وهذِه ليست قضية تعلمية وتعليمية ، بل هي وجدانية[٤] .

لقد مرّت بكم جميعـاً حالاتٌ تجِدون أنفسَكم في طريق مسـدودة تنقطعُ فيها حيلةُ الإنسانِ ، فلا يبقى له ملجأٌ في الظاهر ، وعندها يجد الله مثلمـا يدرك الظمآنُ العطشَ .

وهـذا ما أكّـده القرآن الكـريم في أكثـر من عشْـرِ آيـات : فهـو يقـول : مثلاً : ـ

﴿ فَإذَا رَكِبُوا في الفُلْكِ دَعَوُا الله مُخْلِصِينَ لهُ الـدِّينَ فَلمَّا نَجَّـاهُم إلىٰ البَرِّ إذا هُم يُشْرِكُونَ ﴾[٥] .

عندما يهيج البحر ، وتتحطَّم السفينةُ التي يستقِلُّهـا الإنسان وينقـطع أملُهُ بكـل الأسبابِ ، يَجِـدُ مهما كـانت هويتـه ـ الله فيدعـوه ـ حسبما يؤكِّـدُ القـرآنُ ـ بتوحيد مخلِصٍ . أي : أنه يصل إلى التوحيد أيضـاً فيتوجَّـه إلى إلهٍ واحِـد ، وليسَ إلى إلهين ، أي : أنَّه مثلما يثبت لـه وجود الله تثبت لـه وحدانيتـه أيضاً ؛ وفي نفس الـوقت يدرك (وجـدانياً) أنّ « الله » هـو سميـع ، بصيـر ، رؤوف ، كريمٌ وقدير .

بمعنى أنـه يـدرك القـدرة المـطلقـة والعلم واللطف والـرأفـة على نحـو الإطلاق ، ولذا يبدأ يدعـوه منذ انقـطاعِ الأمل بـالأسباب ـ وبصـورة طوعيـة لا شعـورية وكـأنه يقـول يا « الله » أنت قـادرٌ فأنقِـذني ، وأنتَ عالِمٌ بحـالي وأنت

(٣) هذا البرهان يعتبره العارف الشاه آبادي ـ رضوان الله عليه ـ أهم أدلة وجوده تعالى وقد توسّـع فيه كثيراً حتّى أصبح يشكّل أحدُ أبرز مميزات مدرسته العرفانية والسلوكية .
وقد تابعه على ذلك تلميذه العارف الكامل الإمام الخميني ـ قدس الله نفسه الزكية ـ وقد تحـدث عنه مراراً معتبراً إيّاه الأساس الفطري لحركة الإنسان وسلوكه إلى الله ـ تعالى ـ.
تُلاحظ هنا رسائله الأخيرة الموجَّهة لنجلِه السيِّد أحمد وزوجته ، وكذلـك محاضـراتُه في تفسيـر آية البسملة من سورة الحمدِ وغيرُ ذلك .

(٥) سورة العنكبوت / ٦٥ .

لطيفٌ بي وأنتَ رؤوفٌ جواد .

أي : أنّه يصل (وجدانياً) إلى (معرفة) ذات مستجمعةٍ لجميع الكمالات وعندها يدعوها موحّداً ومخلصاً بِحَسَبِ التعبير القرآني .

لقد بُعثَ مئةٌ وأربعةٌ وعشرون ألفَ نبيٍّ بكتُبِهم ودعواتهم من أجلِ إحياء وحفظ حياة هذه الفطرة التي تحيا في حالات انقطاع الإنسان عن الأسباب .

بمعنى أن هدفهم إيصال الإنسان إلى مقامٍ يكون فيه ـ دائماً ـ واجِداً لله طالباً له .

وبعبارةٍ أُخرى فإن الهدف من بعثةِ كافة الأنبياء ومن كلّ هذه المعابد والمنابر والعبادات هو جعل الإنسان ذاكراً له باستمرار .

وهذا ما يشير إليه قوله ـ تعالى ـ في سورة طه : ـ

﴿ إنَّني أَنا الله لا إلهَ إلاّ أَنا فاعْبُدني وأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْري ﴾(٦) .

الله أحد ، فكيف تدرك ذلك ؟! الجواب بالعبادة ؛ ارتبطْ بالله ؛ أقمْ الصلاة لإيجاد هذا الارتباط فالصلاة تحقق لك ذلك .

وما تؤكده الآية الكريمة هو أن الغاية من المنبر والمحراب هي جعل الإنسان دائمَ الذكر والطلبِ لله ، فلا ينساه ، وهذا هو هدف جميع الأنبياء ؛ فهدفهم أن يجعلوا الإنسان يستشعر ـ بصورة مستمرة ـ وجود الله مثلما يستشعر العطش ، أن يكون متعطِّشاً للمحبّة الإلهية يرى الله بعين القلب (البصيرة) ويديم التضرع والمناجاة له ليصل إلى مقام الذين يصفهم القرآن : ـ **﴿ رِجَالٌ لا تُلْهيهم تِجارةٌ ولا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ الله ﴾**(٧) فلا يبقى حجابٌ أمامه .

القرآن يبين لنا : ـ أنكم لو كنتم عاجزين عن رؤية الله بعين القلب ،

---

(٦) سورة طه / ١٤ .

(٧) سورة النور / ٣٧ .

فذاك يعني أنكم محجوبون .

وإذا عجزت عن إدراك (وجود) الله مثلما يدرك الجائع جوعَهُ ولم يكن لله سلطان على قلبك فاعلم أنك محجوب .

وإذا زالت الحجُب ، وَجَدَ الإنسانُ « الله » .

والإنسان بفطرته طالبٌ لله ، وبعبارةٍ أسمى « واجدٌ » لله .

وهذا ليس نتيجة التعليم والتعلم ولا « برهان النظم » ولا « برهان الصديقين » ولا « برهان الحدوث » ولا « برهان الإمكان »[٨] ، بل هو (إدراك) وجداني، وليس تعليمياً، وهو يحصُل عندما يجد الانسان ضالَّته، ويدرك وجود « الله » مثلما يدرك الظامىءُ عَطَشَه ، وعندها يخضع لله .

فطرية العبادة :ـ

العبادة هي من الأمور (الحاجات) الفطرية[٩] ، فصيام شهر رمضان المبارك منسجم مع فطرةِ الإنسانِ ، لأنَّه إذا عرف ربَّه مالَ إلى التشبّه بِهِ .

وصومُ شهر رمضان المبارك أسمىٰ مصاديق التشبه .

إنّ سرّ التذاذِ البعضِ بِالصيام كالذي تلاحظونه ـ مثلاً ـ في سيرةِ الإمام السجَّادِ (عليه السلام) من فرحه بحلولِ الشهرِ المبارك ونحيبه الشديد لرحيلِه ـ هو أن صيام هذا الشهر منسجمٌ مع فِطرتِهم : وكذلك الحال مع إقامة الصلاة ففيها أسمى لذةٌ لمن عرف الله وأزاح (عن نفسه) الحجب ووصل إليه . ونعرف مقدار هذه اللذة من التدبر في قول الإمام الصادق (عليه السلام) : « الركعتان في جوف الليل أحبُّ إليَّ من خير الدنيا وما فيها »[١٠] فكأنه

(٨) أسماء بعض البراهين الفلسفية على وجود الله المتعارفة في مصطلحات الفلاسفة .

(٩) يستند القول بفطرية الحاجة إلى العبادة بنفس دليل فطرية الإدراك الوجداني لله تعالى .

(١٠) وسائل الشيعة ج ٥ ص ٢٧٦ .

(عليه السلام) يقول : ـ لو أُعطيت الدنيا وما فيها على أن أترك ركعتين من صلاة الليل لما رضيت وسرُّ هذا الرفض هو أنه وجد الله ؛ وفطرته تقول له إخضع لله والصلاة هي خير مصاديق الخضوع ؛ وعندها لن يكونَ الإنفاقُ صعباً عليه بل على العكس يلتذُ به لأنّ مَنْ وجد الله (عرفه) وبصفاته الكمالية تلك فيراه ذاتاً مستجمعةً لكافة الصفات الكمالية لذا يسعىٰ إلى التضحية بكل ما لديه من أجله ـ مالَهُ وعياله بل ونفسه ـ وأسمى لذة له أن يحترق ـ مثل الفراشة بنار الشمعة ـ في مقابل الله ولأجله وفي سبيله ؛ وما أبلغ ما يقوله القرآن الكريم بهذا الشأن : ـ

﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾(١١) .

فمن هم هؤلاء ؟! إنهم الذين وجدوا الله وأصبحت صفات جماله وجلاله مستولية على قلوبهم وزالت الحجب فهم « وجدوا » الله لا أنهم « علموا به » ؛ وهؤلاء يُعْرِضون عن المضاجع ويقومون للصلاة في الليل و« لنافلة الليل » وينفقون ما عندهم في سبيل الله ، ويشير القرآن إلى أنهم يلتذون بذلك لذةً لا يدركها إلّا من وجدها ، فعندما يجد الإنسان الله تصبح الصلاة والصوم بالنسبة له تحركات فطرية لذتهما وجدانية ، ويكون إعطاء الخمس والزكاة بل تقديم حتى النفس في سبيل الله أمراً فطرياً وجدانياً فلا يحتاج إلى حثّه على إعطاء الخمس والزكاة والاهتمام بالفقراء بل إنه يتحرك لذلك بصورةٍ طوعية مثلما يبحث الظامىء عن الماء .

ترونَ أن الجائع يقوم بالبحث عن الخبز والذي يجد « الله » ـ حقاً ـ بفطرته يهتم ـ طوعياً ـ بإقامة الصلاة والصوم وأداء الخمس والزكاة وتكون أسمى

(١١) سورة السجدة/ ١٦ ـ ١٧ .

لذةٍ له حينئذٍ هو الذهاب إلى بيت الله والطواف حوله فالعاشق يقبل جدران وأبواب مدينة معشوقه لذا فهو يلتذ بالطواف والسعي بين الصفا والمروة ؛ فهناك وَجَدَ ربَّ البيت ورب البيت في قلبه وهو المستولي على قلبه فلا شيء فيه سواه ، لذا تكون عبادتُهُ له وصلاته وصومه وجهاده وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر والتولي والتبري كلها أموراً فطريةً ؛ حيث أنّ الذي يرى الله بعين القلب هو مثل الذي يحس الجوع والعطش .

أنتم تدركون الجوع والعطش ولكنْ ليس بهذه العين التي في الرأس فهذه يشتبه عليها الأمر أحياناً ، بل بعين القلب وعين الغريزة ؛ والبعض من بني البشر يرون بعين الفطرة ذاتاً مستجمعةً لكافة الكمالات ولذا فهم يعشقونها وأي عشقٍ عميقٍ هو ؟! العشق الذي يعبر عنه جواب السيدة زينب (عليها السلام) على ذاك الجاهل ابن زياد عندما تجرّأ عليها وقال : ـ كيف رأيتِ صنعَ الله بأخيك !! فقامت لترد عليه بـ : « ما رأيتُ إلاّ جميلاً . . . ثكلتك أمكُ يابن مرجانة »[١٢] منطق زينب هو أنها لم ترَ من الله إلاّ جميلاً في واقعة كربلاء إذ أنها في سبيل الله فقدت أخيها ، في سبيل ذاك الربّ الذي عرفته وهذا المنطق لا يفهمه ابن زياد فهو جديرٌ بالموت ، عندما يدرك الإنسان (معرفة) الله تصبح فطريةً بالنسبة له كافة العبادات ومنها الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحبة أولياء الله ومعاداة أعدائِهِ .

وبعبارةٍ أُخرى يصبح الأمر وجدانياً ، فلا ينحصر الأمرُ بإدراكه لوجود الله ، بل يدرك أن عليه أنْ يكون مُصلّياً صائماً لو أراد أن يكون إنساناً .

وإذا أراد أن يكونَ إنساناً كاملاً ، فعليه أن يتشبه بالله ، والصومُ (من مصاديقِ) التشبّه بالله ، وإذا وجد الإنسان « الله » وجدانياً أصبح مطلق الإنفاق

---

(١٢) « اللهوف » للسيد ابن طاووس ص ٩٠ .

عنده أمراً فطرياً مقبولاً فضلاً عن أداءِ الخمس والزكاة والالتزام بقانونِ المواساة .

وحصيلة ما تقدم هي أنّ العبادات الإسلامية كافة فطَريةٌ وجدانيةٌ .

ولو أردنا التحقّق بذلك ، فعلينا أن نرفع الحجب ، والذي لا يجد الله أو يجد الصلاة ثقيلةً عليه ـ كما هو حالي أنا ـ فليعلم أنَّه مريض .

فالإنسان ـ أحياناً ـ يجوع لكنه لا يحس بجوعه لكونه مريضاً يبقى على مدى يومين دون أن يتناول شيئاً من الطعام ، ويبقى حيّاً بإيصال الأطِبَّاءِ للماءِ المغذِي ولكِنَّه مع ذلك لا يرغب في تناول الطعامِ ، لأنَّه مريضٌ ، فلا تعمل غريزة الاستطعام عنده .

والذي يجد الإنفاق في سبيل الله صعباً عليه ـ كما هو حالي ـ فليعلم أنَّه مريض وحاله حال المريض الذي تمر عليه ثلاثة أيامٍ ومازال لا يرغب في الطعامِ ، لكونِه لا يُحسُّ بجوعِه ، فذاك أيضاً تراكمت عليه الحجب من حبِّ الدنيا والصفات الرذيلة ثم ـ والعياذ بالله ـ تراكمت عليه المعاصي واحدةً بعد أُخرىٰ ، حتىٰ أوصلته إلى حيث لم يعد يستطيع إدراك أن الصلاة هي غذاء الروح ، وأنّ الصوم هو تشبّه بالله ، فهما أَسْمى لذَّةً للإنسان الكامِل .

(عن عائشة قالت) : ـ « أنَّهم ذبحوا شاةً فلما جاء النبيّ (صلّى الله عليه وآله) سألَ : ـ ما بقي ؟! فأجابت عائشة : ـ « ما بقي منها إلّا كتفها » ، فقال (صلّى الله عليه وآله) : « بقي كلها غير كتفها »(١٣) .

إنَّ الإنفاقَ في سبيلِ الله والطواف حول بيتِه والتضحية في سبيله وترويج دينه وَمحبَّة أوليائِهِ ومعاداة أعدائِهِ وأمثال ذلك هي جميعاً لا تحتاج إلى الاستدلال : ـ خشبية هي قدم أهل الاستدلال » ، فالاستدلال (عليها) نافعٌ ليٌ

---

(١٣) ميزان الحكمة المجلد العاشر ص ١٧٨ نقلاً عن كنز العمال تحت رقم ١٦١٥٠ .

ولأمثالي وللمُخالِف كما أنَّ عليكم جميعاً أن تملكوا أدلة على أصول الدين ولكن هذا استدلال خشبي : -

إنّ قدم أهل الاستدلال خشبيّة وضعيفة جداً هي القدم الخشبيّة(١٤) .

بمعنى أنها عديمة التأثير أصلاً وأبداً ؛ من الممكن أن يكون بيننا من يجيد توضيح « برهان الصديقين » ، ويجيد إبراز متانة نظريَّة الملاصدرا في « الحركة الجوهريَّة والمعاد الجسماني » ولكن هل تصبح العبادة فطريةً عندَه بذلك ؟! .

أمَّا الذي يثبت (وجود) الله بدليل الفطرة ، فهذا لا يحتاج حتى إلى معرفة « الألف والباء » ، فالكثير من الأُميِّين هم أقوى (إيماناً) من الفلاسفة ، لأنهم مزقوا الحجب ، ولأنهم اكتَسبُوا نورانيَّةً من خلال الارتباط بالله ، ولأنَّ قيامهم بالصلاة والصوم والإنفاق في سبيلِ الله والعمل بالمستحبات والواجبات وبالخصوص اجتناب المعاصي قد أثَّر في قلوبِهم مثلما يكتسب الحديد لون النار عندما يُحمى بها فيصبح حديداً نارياً ومثل الخشب عندما يحترق فيصبح جمراً .

وأمثال هؤلاء لا يحتاجون إلى معرفةِ الألفِ والباء ، بل يحتاجون قلوباً (حيَّة) وتطهيراً (تخلية) واجتناباً للمعاصي .

أهمية العبادة والدّعاء : -

﴿ إنَّني أنا الله لا إلَه إلاَّ أنا ، فاَعبُدني وأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكري ﴾(١٥).

كأنّه - تعالى - يقول : يا عبدي هل تريد إدراكي بتلك العين التي تمتاز بها عن الحيوانِ ، وليس بتلك التي تشترك بها معه ؟ .

وهل تريد أن تسمع سلامي ليس بهذه الأذن الحيوانية ، بل بالأذن

(١٤) ترجمة نثرية لبيت شعر بالفارسية للشاعر الإيراني العارف جلال الدين الرومي .

(١٥) سورة طه/ ١٤ .

الخاصة بالإنسان ؟ .

وهل تريد أن تفهم وتصل إلى معرفتي وتراني ؟ إذا أردت ذلك فاعبدني وقوّي ارتباطك سواءً كنت متعلماً أم لم تكن ، أو كنت فيلسوفاً أم لم تكن ، أو كنت أديباً أم لم تكن فإذا قوي هذا الارتباط ، فتوجّه لإقامةِ الصلاةِ فهي التي توصلك بسرعةٍ إلى هذه المقامات .

إنني أطلب منكم أن تقيموا - في شهر رمضان المبارك - صلاة الليل ، وتناجوا الله ، فطوبىٰ للمتحدثين مع الله في هذا الشهر المبارك الذين يكلِّمُهم الله .

فالإمام الصادق (عليه السلام) يوصيكم أن تقولوا : - « لبيك لبيك » عندما تمرون - عند تلاوتكم القرآن - بقوله - تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ .

وهناك أفرادٌ يسمعون حقّاً كلام الله عندما يمرون بهذا الخطاب القرآني ، ولكن ليس بهذه الأذن بل بتلك الأذن الإنسانيَّة ، وعندما يسمع كلام الله يقول : « لبيك » بذاك اللسان الذي تمكن من الإجابة به .

ما هو « الدعاء » ؟! .

إنّه المناجاةُ والتضرّع في حضرة الله ، أي : التحدّث معه ، وعليكم جميعاً لا سِيّما - أعزّائي الشباب - أن لا ينصب تفكيركم حين الدعاء بإشباع البطون أو باستجابة دعائكم وعدمها .

فهذا أمرٌ ثانويٌّ ، فلا تهتموا به ، بل عليكم حين تدعون أن يكون حالكم حال الذي يرى الله ويريد أن يقول له (الله) نعم نعم .

القرآن الكريم يؤكِّدُ في مواردَ متعدِّدةٍ مضمون قوله - تعالى - : ﴿ **أدْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾(١٦) .

---

(١٦) سورة غافر / ٦٠ .

وظاهر الآيةِ هو أحد معانيها .

فدعاءُ الإنسانِ مُستجابٌ على كل حالٍ فإذا كان صلاحه في إعطائِهِ ما يطلب أُعطي له ذلك ، وإن لم يكن صلاحه في ذلك أُعطي له خيرٌ مِمَّا طلب .

ولكن هناك معنىً أَدَقّ من هذا (للآيةِ) يطرحه أهل المعرفة ، وهو (أنها تريد القول) : يا عبدي أنت قُلْ « يا الله » لأقول لك : نعم ، أي : اعثرْ على الأذن التي تسمع جوابي ، أي : أنّها تدعو العبد لمحادثة الله والصلاة هي محادثة فسورة الحمد والسورة التي تليها هي حديث الربِّ مع العبد وبقية الصلاة هي حديث العبدِ مع الله .

وهذه هي أسمى لذَّة ، للعاشق ، فالصلاة هي أحبُّ لذَّةٍ لِلّذين وجدوا (عرفوا) الله فَهَيْمَنَ على قلوبهم .

عبادة الزهراء (عليها السلام) :

لقد انجرَّ الحديثُ إلى حيث لم أرِدْهُ ، ولكني أرجو أن يكونَ خيراً مما كنتُ أُريد :

الزهراء المرضيَّة (عليها السلام) كانت شابَّةً والشابُّ عادةً يحتاج إلى النوم أكثر من الشيخ .

والزهراء مُتعبة ، فهي تعمل في النهار ، دخل النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) بيتها فشاهدها وقد أخذتها غفوةٌ ويدها على الرحى وهي ترضع ولدها فأيقظها ، وقال لها : « يا بنتاه تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة »(١٧) .

الزهراء (عليها السلام) كانت متعبةً ، فهي كانت تقوم برعاية الأَطفالِ والزوج إضافة إلى أعمالِ المنزلِ دون مُعينٍ لها على ذلك ، حتى بعدما جاءت

(١٧) قريب منه نقله البحراني في العوالم ج ٦ الخاص بحياة الزهراء (عليها السلام) ، ص ١٣٣ نقلاً عن « المناقب » عن تفسير الثعلبي .

« فِضَّـةُ » الخادمـةُ لمساعـدتِها أوصـاها أبـوها (صلّى الله عليـه وآله) أن تقسم العمل بينها وبينَ خادمتِها ، فهي إنسان مثلها .

ولـذلك كـانت (سلام الله عليهـا) تقوم بـأعمـال المنـزل بـالتنـاوب مـع خادمتها ، فيومٌ عليها ، ويومٌ على فِضّة[١٨] .

نعم ، إنّ القيـام بـأعمـال البيت ورعـايــة الأطفـال والــزوج أمـرٌ صعبٌ ـ وسنتحدَّث عن ذلِك لاحقاً ـ إن شاءَ الله ـ والـزهراء (سـلام الله عليها) كـانت تقوم بكل ذلك وتتعب كثيراً ، ولكِنّها في الأسحار يحين وقت صلاتها وعندها : ـ فماالنوم وما التعب ؟! .

كانت تقوم الليل ، حتى تورَّمتْ قداماها .

وهذا هو المنقول عن اثنينِ هما الرسول (صلّى الله عليه وآله) والـزهراء (سـلام الله عليها) فقـد كانـا يقومـان الليـل ويلهجـان بـ ﴿ **إيـاك نعبـدُ وإيـاك نستعين** ﴾ حتى تورّمت قدمَاهما .

الـزهراء كـانت تقوم في الأسحـار ، وتُناجي ربّهـا ، وتدعـو ليس لها بـل للآخرين !! .

قال الإمامُ الحسنُ (عليه السلام) : ـ

« رأيتُ أُمّي فـاطمةَ (عليهـا السلام) قـامَتْ في مِحرابِهـا ليلةَ جُمُعَتِها ، فلم تزلْ راكعةً ساجدةً ، حتى اتّضح عمودُ الصُّبْـحِ ، وسَمِعْتُها تَـدْعُو للمؤمنينَ والمؤمناتِ وتُسمِّيهم ، وتُكثِرُ الدعاءَ لهم ، ولا تدعو لِنَفْسِهـا بشيءٍ فقلتُ لها : ـ يا أُمّاهُ ، لم لا تدعين لنفسِك كما تدعين لغيرك ؟!

فقالت : ـ يا بُنيَّ ، الجارُ ثمَّ الدار »[١٩] .

---

(١٨) الحديث مروي عن سلمان المحمدي راجع بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٨ .

(١٩) العوالم ج ٦ ص ١٢٧ نقلاً عن علل الشرائع للشيخ الصدوق ، وكـذلك بحـار الأنوار ج ١٠ ص ٢٥ .

المحاضرة الثانية :-

المقدمة

- الإسلام وميول الإنسان
- الإسلام والحالة المعاشية

١ ـ المعاش الضروري
٢ ـ المعيشة المرفهة
٣ ـ المعيشة الترفية

الإسلام وميول الإنسان

يـرى الإسلام أن من الـواجب علينا أن نـرضي ميولنـا وغرائـزنا فـإهـلاك النفس محرَّمٌ في الإسلام ، وقـد أكَّد الكَثيـرُ مِنَ الروايـاتِ أنَّهُ لا يحق لـلإنسان كبتَ ميوله وقتل غرائـزهِ وعدم الاستجـابة لهـا والقرآن الكـريم يؤكِّدُ أنَّ المسلـم مثلمـا يجب عليه الاهتمـام بأمـر آخرتـه عليه أيضـاً أن يهتم بأمـر دنيـاه وميـولِـهِ وغرائزه : ـ

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَا آتاكَ الله الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾[1] .

(فالخطاب هنا هو) : ـ يا أيها الإنسـان انتفِع بمـا أعطاك الله ـ من مـالٍ وقوةٍ وعقل وسلامة وأمـانٍ ـ من أجل إعمـار آخرتـك ولكن لا تنس دنياك ، فـلا يمكنك البقاء بجانبٍ واحد .

فمثلما أنّ الانغماس في الدنيا هو انحراف كذلك لا تستـطيع أن تصـرف كل عمرك وعقلك وسلامتك ومالك بـالكامـل من أجل آخـرتك ، بـل يجب أن تهتم بدنياك وآخرتك معاً .

لقـد كـانت تـظهـر لـدى البعض هـذه التصـورات المنحـرفـة في صـدر الإسلام ، وكذلك في زمن الأئمّةِ الطاهرين (عليهم السلام) حيث كان البعض

---

(١) سورة القصص /٧٧ .

يتوهمون أنّ عليهم أن يسعوا للآخرة ليلاً ونهاراً ويتركوا الدنيا ولا يهتموا بميولهم وغرائزهم ، ولكن هذا النمط من التفكير عندما يُعرض على النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) كانوا يُدْحِضُونَهُ بغايةِ الشدة .

نقل صاحب كتاب « الوسائل » روايةً تتحدَّث عن مجيءِ ثلاثٍ من النساءِ إلى النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) فشكت له الأولى من أن زوجها قرر اعتزالها ، وشكت الثانيةُ من أنّ زوجها قد قرر أنْ لا يأكل لحماً ، والثالثةُ من أنَّ زوجَها قد قرَّرَ عدمَ استعمالِ الطيب .

فغضِب الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) غضباً شديداً ـ كما تُصَرِّحُ الرواية ـ لأنّه رأى عودةَ ظهورِ أفكارٍ منحرفة بين المسلمين ، فذهب إلى المسجدِ في غير وقتِه وهو يجرُّ رداءَهُ على الأرض لاستعجاله وأمر بجمعِ الناس ، فتركوا أعمالهم وجاؤوا إلى المسجِد مُتسائلين عن الخبرِ ، فصعِد (صلّى الله عليه وآله) المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « ما بالُ أقوامٍ مِن أصحابي لا يأكلون اللحمَ ولا يشمون الطيبَ ولا يأتونَ النساء » .

وبعد أن أدان هذه البدع قال : « أما إنّي آكُلُ اللحمَ ، وأشَمُّ الطيبَ ، وآتي النساء ، فمن رَغِبَ عن سُنّتي ، فليسَ مِنّي »(٢) .

والجملة الأخيرة مروية عن قول النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) في عشرة موارد .

ونقل المرحوم الفيض الكاشاني في تفسيره « الصافي » رواية مماثلة ويفهم منها تكرر وقوع هذه القضية ، فقد كانت تنزل آية من آيات العذاب فتثير الخوف لدى هؤلاء ، فيعرضون عن الدنيا ، ويتوجّهون للآخرة .

---

(٢) تجدها في كتاب وسائل الشيعة ص ٧٤ ج ١٤ وقريب من مضمونها روى الحرّ العاملي في ج ١٢ من الوسائل عدّة رواياتٍ أخرى .

ينقل المرحوم الفيض أنَّ امرأةً جاءتْ عائشة في حاجة فرأتها « مبطلةً » أي : أنها متزوّجة ، ولكنّها غير متزيّنة لزوجها ، فأنكرت عائشةُ عليها ذلك ، وسألّتها هل أنّ زوجها ميت ، فأجابتها بالنفي وأخبرتها أنه ذهبَ برفقةِ اثنين من أصدقائِهِ إلىٰ الصحراء للتفرغ للعبادة وذلك بعد نزول آية العذاب ، وأنّه قد قرر أن يعتزلها فيما قرر أحد صاحبيه أن لا يأكل طعاماً لذيذاً فيما قرر الثالث أن يعتزل الناس .

فنقلت عائشة هذا الموضوع إلى النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلم) فغضب بشدة لذلك بحيث دخل المسجد وهو يجرُّ رداءَه ، وصعد المنبر وبيّن للمسلمين انحراف هذا النمط من التفكير والسلوك بعبارات قريبة من الحديث المتقدم ، فنهى (صلّى الله عليه وآله) عن كبت حاجات النفس والامتناع عن الزواج من أجل التعبّد ، فهذا إعراض عن سنة النبي (صلّى الله عليه وآله) ، وليس من أخلاق المسلم الإعراض عنها ؛ هذا فيما يتعلق بسنةِ النبي (صلّى الله عليه وآله) .

ونجد في سيرة أمير المؤمنين (سلام الله عليه) وهو الزاهد الذي سمِعْنا جميعاً بِشدّة زهدِه أنَّه وفي اليوم الأول لوصولِهِ الكوفة دخل مسجدها ، فرأى مجموعةً من الرجال الأصحاء مشغولون بالعبادة ـ في غير وقتها ـ فسأل عن هويتهم وعن سرّ عدم ذهابِهم للعملِ ، فأجابوه أنهم « متوكلون » فسألهم عن معنى ذلك فأجابوا بأنهم رجالٌ تركوا الدنيا فإن حصلوا على شيءٍ أكلوا ، وإلاّ صبروا واشتغلوا بالعبادة في المسجد فغضِبَ (عليه السلام) .

وعلى وفق ما ورد في كتاب « أُسد الغابة » عمد إلى تعنيفهم ، وقال : « لا بل أنتم المتأكلّة ، فإن كنتم متوكّلين فما بلغ بكم توكلكم ؟!

قالوا : إذا وجدنا أكلنا وإذا نفدنا صبرنا ، فقال (عليه السلام) : « هكذا تفعلُ الكلاب عندنا » .

ثم أخرجهم من المسجد[٣] .

وبعد تسلُّمه الخِلافة ـ كما يبدو ـ دخل البصرةَ ، ونزل في منزلِ أحدِ وجهائها ، واعترض على ميلِه إلى الترفِ ، فعمد هذا الوجيه فِراراً من الجواب إلى التحدُّث عن حال أخيه الذي اعتزل الناس ، واختار حياة الزهد ، وتفرّغ في زاويةٍ للتعبد ، فأعرض أمير المؤمنين (عليه السلام) عن انحراف الترف عند الأول ، لأنّ انحراف الثاني أخطر ، فأحضره وسأله عن سبب تركِه الدُّنيا ، فأجابه : ـ

« يا أمير المؤمنين تزينتُ بزينتك ، ولبستُ لباسك » .

فرفض (عليه السلام) هذا المنطق ، وقال له : « ليسَ لك ذلك ، إنّ إمام المسلمين إذا ولي أمورَهُم لَبِسَ لِباسَ أدنىٰ فقيرِهم لئلّا يتبيّغ بالفقيرِ فَقْرُهُ فيقتله ، فلأعلمنّ ما لبستَ إلا من أحسن زيٍّ قومك ، ﴿ وأما بنعمةِ ربّك فحدّث ﴾ فالعمل بالنعمة أحبُّ إليّ من الحديثِ بها »[٤] .

فأمره بعدمِ ترك الدنيا ومراعاة الحدّ الوسط وتهيئة معيشة مرفهة لنفسه وعياله .

وقد أورد الحرُّ العاملي في الجزء الثاني عشر من « وسائل الشيعة » الكثير من الأحاديث عن الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) في ذمِّ الكسلِ ومدحِ العمل .

جاء شخصٌ إلى الإمام الصادق (عليه السلام) فسأله الإمام عن حاله ،

---

(٣) راجع ميزان الحكمة للشيخ محمدي الريشهري ج ١٠ ص ٦٨٦ ، وما ذكر الشيخ في المحاضرة ضمن عرضه لترجمة الرواية هو أنهم وصفوا أنفسهم بـ « رجال الحق » وما وجدناه في المصدر المذكور هو أنهم وصفوا أنفسهم بأنهم « المتوكّلون » .

(٤) كتاب الاختصاص للشيخ المفيد ص ١٥٢ ، وفي سفينة البحار ج ٢ ص ٢٥٨ أنه قال لعاصم بن زياد (وقد ترك الدنيا ولبس العباءة :
« يا عديّ نفسه لقد استهام بك الخبيث أما رحمت أهلك وولدك » .

فأجابه بأنّه قد تقدَّم بِه العمرُ ، فترك العمل ، واختار زاوية في المسجِدِ للعمل لآخرتِه .

وكان يتوهم أنّ هذا الموقف سيحظىٰ بتأييد الإمام ورضاه ، لكِنَّهُ (عليه السلام) أجابه مكرراً ثلاثَ مراتٍ : « (هذا) عمل الشيطان »(٥) .

فهذا عملٌ لا يُناسِبُ الإنسانَ المُسْلِمَ ، بل هو نِتاج إغراء الشيطان الذي وسوسَ لك بترك الدنيا والتعبُّد ؛ وبعد أن سمِع هذا الشخص جواب الإمام سأله عن الموقف الصحيح الذي ينبغي له العمل وفقه فأجابَه (عليه السلام) موضحاً له ضرورة العمل للتوسعة على العِيالِ والجيرانِ والآخرين ، ثم نبَّه الحاضِرينَ إلى أنَّ الحثَّ على العملِ مشروطٌ في الطرف المقابلِ بالمحافظة أيضاً على أوقاتِ العباداتِ ، فإذا حان وقتُ الصلاة ، فلا ينبغي لهم أن يلهيهم الانشغال بالكسب عنها(٦) .

وأنقل هنا كلمةً وردت في وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) ينبغي أن تكون إطارَ العملِ الذي يحيا على وفقِه الجميعُ ولا سيما الشبابُ الأعزّاء ـ ذكوراً وإناثاً ـ فقد وصفوه (عليه السلام) بأنَّه ليثٌ في النهارِ وراهِبٌ في الليل . فهو كان يعمل في نهارِه باندفاعة الليث ، ويتعبّد في الليلِ وكأنّه راهِب ، كان يقوم بالعبادةِ في وقتِها وفي وقت العمل يعمل بما مكَّنَهُ من تقديمِ سِتٍّ وعشرين من بَساتِين النخيلِ للمجتمع ـ والفقراء والضعفاء والمساكين ـ على مدىٰ خَمْسَةٍ وعشرين عاماً .

---

(٥) وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٦ الحديث رقم خمسة وما قبله وما بعده وما أورده الشيخ المظاهري في المحاضرة هو تلخيص وشرح لمضمون عدة أحاديث مروية ـ معظمها ـ عن الإمام الصادق (عليه السلام) وينقلها الحرّ العاملي في المصدر المذكور ، وقد نقلنا هنا تلخيص وشرح الشيخ لمضمونها ومَنْ أراد نصوصها فليراجع المصدر المذكور .

(٦) ورد هذا المضمون في الحديث رقم ٥ ورقم ١٤ ورقم ١١ ، ١٠ وغيرها من « باب كراهة ترك التجارة » من الوسائل ج ١٢ .

وحصيلة القول هي أنَّ على الجميع ولا سِيَّما الشباب أن يعلمـوا أنّ ليس من الإسـلام في شيءٍ إهلاك النفس والعـزلة عن النـاس وقتل الغـرائز والميـول ومكـافحته ، بـل إنَّ نهج الإسـلام هو الاستجـابة للميـولِ (الفـطريـة) والعلمُ (الحديث) يُوضـح لنا جيِّداً عظمـةً وسُمُوَّ الأحكـامِ الإسلاميَّـة ، إذْ أنَّ علماء النفس يقـولون ـ كمـا أنتم تعلمون والتجـربـة أكـدّت ذلـك ـ إنَّ الشـابَّ الـذي يستـطيع الـزواج ولا يفعـل أو الفتـاة التي تستـطيـع الـزواج ولا تفعـل أو الـذين يعتزلون ويتركون الدنيا .

هؤلاء تنتقل ميولهم الـطبيعية هـذه من دائرة الشعـور إلى دائرة الـلاشعور ـ بصـورةٍ تدريجيـة ـ وتتحول إلى عقـدة نفسية ، والمصـاب بالعقـد النفسية إذا تسلَّط يصبح أشرسَ من الكلب الوحشي .

وإذا لم يحصل على القدرة والسلطة يصير إنساناً خاملاً ميّتَ القلب خاوياً معنوياً وليس مـادياً بمعنى أنَّـه يكون عـاجزاً عن الاختـلاط بالنـاس ، فيُطرد من المحيط الاجتمـاعي ويعجز عن تـربيةِ الأطفـالِ وعن المعاشـرة الصحيحة مـع الـزوج وإذا تزوج سبب المشـاكل لـه ولزوجتِـه ، وإذا كـانت فتـاةً خـاملةً ميتـةَ القلب ، فمن الطبيعي أنَّها لا تستطيع تـربية الأطفـال والقيام بـواجبات الـزوجيّة بصورةٍ صحيحة .

والقـرآن الكريم لا يـذكر « العقـدةَ النفسيَّة » بـالاسم ، إلاّ أنَّـه يتحـدّث عنها .

فالذين تمـوت عندَهم غـريزةُ التـوجُّه نحـو الدين وتصبـح قلوبهم قاسيـةً بسببِ المعاصِي ، هم مصداق لقوله تعالى : ـ﴿ **إنَّ شَرَّ الـدَّوَابِّ عِندَ الله الصُّمُّ البُكْمُ الـذِينَ لا يَعْقِلُونَ** ﴾(٧) أي أنهم أخبثُ وأضـرُ للمـجتـمـع من الـكلب المتوحِّش والميكروبات الطفيلية والسرطانية .

---

(٧) سورة الأنفال / ٢٢ .

وهذا هو حال الذي له فِكْرٌ لكنه لا يفكِّر وله عقل لكنه لا يتعقّل أو الذي ماتت فطرتُه ، وموتُ الفطرةِ يعني تارةً أن يقتل الإنسان غريزته الجنسية ، وتارةً غريزة التدين فيه ، فلا فرق لأنّ نتيجة هذا القتل في كلا الحالتين هو ظهور عقدة الحقارة لدى هذا الإنسان ، يقول القرآن عن الذين ظهرت فيهم عقدة الحقارة وقتلوا فطرة التدين : ـ ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجهنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ لَهُم قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُم أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولئِك كَالأَنْعَامِ ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُم الغَافِلُون ﴾[٨] .

وعاقبةُ عمل هؤلاء هي جهنّم ، فقد قتلوا فطرة التدين ودمّروا الفطرة التي وهبها الله لهم ، وقتل فطرة التديّن هو ذنبٌ كبيرٌ ، كما أنَّ تجاهل غريزة الجنس والميل إلى الأكل وغريزة الحياة المدنية الاجتماعية ينقلها من منطقة الشعور إلى منطقة اللاشعور ويوجِد عقدة للإنسان لا ينصلح حالُهُ معها أو يكون صلاحه في غاية الصعوبة .

الإسلام والحالة المعاشية :

يقسم الاقتصادُ الإسلاميُّ الأوضاع المعاشية على ثلاثة أقسام : ضرورية (كفاف) ، ومرفّهة ، ومترفة : ـ

١ ـ المعاش الضروري :

يجبُ أن ينتفع الجميع من الطعام والملبس والمسكن ، فإذا استطاعَ الإنسان توفيرها لنفسه وعياله فله أجرٌ عظيم وسنتحدَّث لاحقاً ـ إن شاءَ الله ـ عن ثواب الاستشهادِ في سبيل الله الذي يَهَبُه الله ـ تعالى ـ للرجلِ الذي يكدح لتوفير الرفاهية لنفسه وعياله ؛ وللمرأةِ التي تكدُّ لجعلِ زوجها وأطفالها في رفاهية : « الكادُّ علىٰ عيالِه كالمجاهدِ في سبيلِ الله »[٩] .

---

(٨) سورة الأعراف / ١٧٩ .

(٩) وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٤٣ .

ويلزم القادرَ على توفيرِ هذا المعاش الضروري أنْ يقوم بذلك ، بمعنى أنَّ الذي يَسْتَطيع أن يوفِّر الرفاهية لعيالِه يحرم عليه التكاسل عن ذلك ، فالأمر يتعلَّق بِحقِّ الناس ـ بالنسبةِ للمرأةِ ـ فأصل التكاسلِ هنا حرام ، لأنَّ توفير المعاش الضروري واجبٌ على بني الإنسان إذا كانوا قادرين عليه .

أمّا إذا كانوا عاجزين ـ كحالة ـ المعوق أو الجريح أو المتقاعدِ والعاطلِ عن العملِ أي العاجز عن توفير الطعامِ والملبس والمسكن له ولعياله ـ فالإسلام يقول : يجب على الحكومة الإسلامية أن توفِّر عليهم ذلك ، وإذا عجزت عنه وَجَبَ على الجميعِ توفيرُ هذا المعاش الضروريّ لهؤلاء .

وفي القرآن الكريم آيةٌ بهذا الخصوص أرجو من الجميع ولا سِيَّما النساء أن يضعوها نصبَ أعينهم دائماً خصوصاً في شهر رمضانَ المبارك ، وهي : ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتاهُ الله لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْساً إلاَّ مَا آتاهَا** ﴾(١٠) .

فالآيةُ تؤكِّد أن على كلِّ إنسانٍ أن يهتم ـ بمقدارِ سعته ـ بمعاشه ومعاش الآخرين الضروري ، فالذي يستطيع إدارة شؤون أُسرةٍ واحدةٍ أو اثنتين أو ثلاث يَجِبُ عليه القيام بما يستطيع : ـ ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ** ﴾ وغير القادر على ذلك فلينفق بما يستطيع ، بمعنى أن يتنازل مثلاً عن لقمةٍ من إفطارِه للآخَرينَ ، ويقنع بشيءٍ أقل مما عنده بمقدارٍ يمنحه للآخرين من الملبس والمسكن ، إذْ نفهم من هذِه الآية أننا جميعاً مسؤولون .

في آخرِ جُمعةٍ مِنْ شَهْرِ شعبانَ خَطَب النبيُّ الأكرمُ (صلّى الله عليه وآله) في المسلمين وذكَّرهم بأنْ يهتموا جميعاً بأمور الآخرين وأوصاهم أن يقدموا الإفطار للآخرين ، وعندها قام أحدهم ليقول : ـ « يا رسولَ الله وليس كُلُّنا نقدرُ على ذلك » فقال (صلّى الله عليه وآله) : ـ « اتَّقُوا النارَ ولو بِشِقّ تمرةٍ اتَّقوا

---

(١٠) سورة الطلاق / ٧ .

النارَ ولو بشُربةٍ من ماء »(11) .

هذا الحديث لا يعني أن تأخذ تمراً وتوزِّعه عندَ الإفطار واحدةً لهذا ، وأُخرى لذاك فتتوهّم أنّك بذلك قد فطّرت بذلك ألف شخص ، بل إنَّ معناه هو نفس معنى الآيةِ الكريمةِ التي تأمر بأن يهتمَّ كلٌّ بِحَسَبِ سَعَتِه بإدارةِ أمور الآخرين ، فإن استطاعَ بصورةٍ موسَّعةٍ ، فليفعل ، وإلاّ فليُنْفِق بمقدارِ ما يستطيع : ـ ﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَليهِ رِزقُه فَلْيُنفِقْ مِمّا آتاهُ الله ﴾ .

هل آتاك الله طعام إفطارك أو لا ؟! .

(لقد أعطاك) إذن فعليك أن تنفق منه على الآخَرِينَ ـ قَدْر ما تستطيع ـ ، وهذا غير الإيثار الذي هو موضوع آخر ليس الآن مورد بحثنا ، فحديثنا هنا عن اعتِبارِ توفيرَ الإسلامِ المعاشِ الضَّروريّ لجميعِ بني الإنسان أمراً واجباً .

ليس صحيحاً أن (يتفرّغ شخصٌ لكي) يتعبَّد . وبسبب ذلك لا يُوفر معاشه الضروري كما أنَّه ليس صحيحاً أن تتمتع طائفة بالطعامِ والشرابِ ، وإلى جوارها أُخرى فقيرة تبيت جائعةً فكلتا الحالتين بعيدةٍ عن الصواب .

هذا عن المعاش الضروري .

٢ ـ المعيشة المرفهة : ـ

وهذه أيضاً يحبذها الإسلام ، وقد ظهر في عهدِ الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلم) أيضاً ذاك النمط المنحرف من الأفكار التي جعلت ناساً يمتنعون عنِ الأطعمة الطيِّبةِ ، فنزل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله الَّتي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(11) الخطبة يرويها الشيخ الصدوق ـ رحمه الله ـ بسند متصل في أماليه وكذلك في كتاب عيون أخبار الرضا .

﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١٢) .

أيها المسلم ! لقد خلقَ الله لـكَ كلّ مـا في الدنيـا ، فلماذا لا تكـون في رفاهية ؟ .

ولماذا تُحرّم علىٰ نفسك الطيِّبَ من الطعام والزواج ؟! .

لماذا لا تتزوَّجُ ؟ .

ولماذا لا تتزوّجين ؟! .

إنّ الكافر عندما يأكل شيئاً ، فإنّما يأكـل صدقـة من رزقٍ خُلِقَ مِن أجلِكَ أنت مثلما خلق الله الجنّةَ خالصةً مِن أجلِكَ ، فلا نصيب للكافر فيها أصـلاً كما تؤكد الآية الكريمة المتقدِّمة التي تقول لنا أيضاً بأنّ المعيشة المرفّهة هي لجميع بني الإنسان .

يجب على القادرين على توفير حياة معيشيـة مرفَّهـةٍ لأنفُسِهم وعِيالِهم أنْ يقوموا بتوفيرِها كما يجب على القادرين على توفير الرفاهية لأرحـامِهم وجِيرانِهم والمسلمين أن يقوموا بذلك .

والإسلام قد أقرَّ معيشة الـرفاهيـة واقتصاده اقتصـادٌ سليمٌ جيِّدٌ ، ولكن يـا حسرةً فـ « الماء في وعـائِهِ ، لكِننـا نهيم في البحث ونحن عطاشىٰ » ويـا حسرةً على أنّنا نسينا قانون التكافل الاجتماعي (في الإسلام) .

وقد أنبأ النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) مِراراً بوقوع ذلكِ وعدم عمل أُمّتِه بهذا القانون .

يجب أن يتمتع الجميع بمعيشةٍ مرفهة فالقرآن الكريم يحكم بحرمةِ وسُوءِ عملِ مَن يحرم نفسَه منها ، ويعتبره نوعاً من العمل بالرأي الشخصي ، وهذا ما لا ينبغي لك أيها المسلم إذْ يجب عليـك أن تكون تـابعاً للقـرآن والنبيّ والعِترةِ

(١٢) سورة الأعراف/ ٣٢ .

الطاهرين (عليهم السلام) لا أن تكونَ تابعاً لرأيِكَ الشخصيّ .

وهـذا ما يؤكـده القرآن : ـ ﴿ قُـلْ مَنْ حَـرَّمَ زِينَـةَ الله التي أَخْـرَجَ لِعِبـادِه والطيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ .

سَيِّدةٌ استُشْهِد زوجُها ، تبقى ترفض نزع لباسَ حِـدادِها الأسـود . القرآن (يخاطبها) قائلاً : هذا خَطأٌ ، فهو رأيٌ ابتدعتِه مِن عِندِك .

ونفس هذا الخطاب يُـوجِّهه لِمن تـرفض الزواجَ بعـد استِشهادِ زوجِهـا ، وتغضب إذا ذُكِر الزواجُ في حضورِها فيقول لها القرآن ، إنَّ غضبك هـذا موقف خاطىءٌ وهو عمل برأيكِ الشخصّي خِلافاً للقرآنِ وسنّـة النبيّ والأئمَّةِ الـطاهرين (عليهم السلام) .

شابٌّ يستطيـع الزواجَ ولا يفعـل ، وفتاة مُؤَهَّلة للزواج ويـأتيها الخـاطبون واحداً بعدَ آخَـرَ ، وهي ترفض وكـلاهما يقـولانِ : مازالَ الأَمـرُ مبكراً !! فهـلا سألتُما غريزتكما الجنسية ـ وليس اللسان ـ هل الأمر مبكرٌ أو لا ، وهـلاَّ سألتمـا عن تلك الغدد التي تترشح في عروقكمـا وهلاَّ سـألتما النبي الأكـرم (صلّى الله عليه وآله) الذي يقول : ـ

« النِّكاحُ سُنَّتي ومَن رَغِبَ عَنْ سُنَّتي ، فليس مني »(١٣) .

إذن فالإسلام يقـول : ليستْ مُسلِمةً الفتـاةُ المؤهلة للزواج وترفِضُـه ، أو التي أُسْتُشهِـدَ زوجُهـا ، فتـرفض الـزواج بعـده ، أو المقـطوعـةُ القـادرةُ على الزواج ، ولا تتزوَّجُ .

وليس بمسلمٍ الرجلُ القادر على الزواج ولا يفعل .

ولديَّ هنا كلمةٌ أوجِّهها للجميع ، وبالخصـوص الفتيات والفتيـان وهي :

(١٣) بحار الأنوار للعلاّمة المجلسي ج ١٠٣ ص ٢٢٠ .

ـ أنّني أطلب منكم أن لا تعملوا بالإسلام علىٰ وفقِ آرائكم الشخصيَّة ، وأنْ لا يكون لكم قناعات خاصّة في مقابلِه ، بل عليكم أن تعرفوا ماذا يقولُ القرآنُ الكريمُ والنبي الأكرم والأئمة الطاهرين ومراجع التقليد والمتخصصون في المعارف الإسلامية .

فلا توقعوا أنفسكم في تلك المعصية (العمل بالدين بالرأي الشخصي) ، فهي كبيرة إلى درجةٍ أوجب معها الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) على الجميع خصوصاً العلماء أن يتصدّوا لها : ـ

« إذا ظهرت البدع في أمّتي فليظهر العالِمُ عِلمَهُ ، فمن لم يفعل ، فعليه لعنةُ الله »(١٤) .

٣ ـ المعيشة الترفية : ـ

وهي التي يرفضها الإسلام ، ويُبين ـ بأفضلِ البيانِ ـ خوائها ، فهي التي تصدُّ الإنسانَ عن كلِّ شيءٍ لكونها تأسره نظير ما تفعله المظاهر الترفية التي تحيط بإجراءات الزواجِ حالياً ، وتقيّد كافة البنات والأبناء والآباء والأُمّهات ، كطغيانِ المظاهر الترفية على مراسم الزواج ووضع المسكن والملبس والطعام .

وهذا انحراف في المنظار الإسلامي .

فالإسلام يأمر الشابَّ والشابّة بالزواج ، لكنه في نفس الوقت ينهى الرجل المتزوج عن الذهاب خلف امرأةٍ أُخرى دون حاجة واتباعاً للهوى وحسب .

والإسلام يأمر بالتوسعة مادام الإنسان في سعةٍ ورفاهيةٍ ، وينهاه عن الترفِ ، فهذا انحراف يعتبره القرآن علة جميع المشاكل ويؤكّد تعاسةَ حالٍ ومآل المترفين قوماً كانوا أو أفراداً .

﴿ وإِذَا أَرَدْنا أَنْ نُهلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرِفيها فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَولُ

---

(١٤) أصول الكافي ج ١ باب البدع والرأي والقياس .

فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾(١٥) .

فالقرآنُ يؤكد أنّ عاقبـة القوم المتـرفين هي الدمـار ، لأنّ ترفهم المعيشي يقودهم إلى الفسق والفجور والمعصية .

هذا فيما يتعلق بالمجتمع .

أمَّا بالنسبة للفردِ ، فيقول في سورةِ الواقعةِ : ـ

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ . . . ﴾(١٦) .

فالقرآنُ يؤكِّدُ أن عاقِبَتهم المشؤومة كانت نتيجـة إصرارِهم على ارتِكـابِ المعاصِي .

وهـذا الإصرارُ هـو نتيجةُ التـرفِ ، وعليـه فـالمعيشـةُ التـرفيـةُ تؤدِّي إلى المعصِية .

---

(١٥) سورة الإسراء / ١٦ .
(١٦) سورة الواقعة / ٤١ ـ ٤٥ .

المحاضرة الثالثة :-

الفصل الأول

- الزواج .. رأي علماء الطبيعة
- الرؤية القرآنية للزواج
- الزواج في الأحاديث الشريفة
- الإسلام وأهمية الغريزة الجنسية
- الاعتدال في مصارف الزواج

● الزواج .. رأي علماء الطبيعة

موضوعِ بحثنا (لشهر رمضان) لهذا العـام هو « الأخـلاق الأُسريَّـة » وقد عرضنا مقدمةً له ـ وإن كانت مختصـرةً وناقصـة ـ وحديثنـا اليوم هـو عن الفصل الأول من البحث ويتعلق بأهمية الزواج من وجهة نظر الإسلام .

عندما تترشح في دم الإنسان الشاب ـ ذكراً كان أو أنثى ـ الغدد المرتبـطة بالغريزة الجنسية توجِد تغييراً عجيباً في جسمـه وروحه ، وهـو تغيير واضِـحٌ إلى درجة أنه يؤثِّر حتى في وجهِ الشباب .

وهذه الحالة هي التي يسمِّيها الإسلام « البلوغ » ، ويسمي مَنْ تظهـر فيه هذه الحالة بـ « البالغ » ؛ ومع ترشح هذه الغدد في دم الإنسان الشاب ، يـظهر لديه ـ ذكراً كان أو أُنثى ، شاءَ أم أبىٰ ـ رغبةً تُسمى « الرغبة الجنسية » .

وبعبارةٍ أُخرى تظهر حينئذٍ الغريزة الجنسية التي كانت ناراً تحت الرماد ، فتتفتح ، وتعرض نفسها والواجب هو الاستجابة إليها في نفس وقتِ ظهورها .

وقـد تحـدّثتُ أمسِ عن المصـائبِ التي يسبّبهـا كبتُ هـذِه الـرغبـات ، فـالرغبـة الجنسية ليست مثـل الميل (الـطبيعي) نحو المـاء والخبز ، ولا مثـلَ غريزةِ حُبِّ المال والرئاسة وأمثالِها .

وإذا صحت نظرية فرويد ، فهذه الغريزة منبع كـافة الغـرائز الأخـرى وإذ

لم تصح ، فالحدّ الأدنى هو أن نعرف أنها ليست مثلَ الرغبة في الماء والخبز وأنها منبع أشكال العشق والأشعار : فلم تسمعوا بأنّ شاعراً عشق الماء والخبز وقال فيهما شعراً على العكس من شعر العشق المربوط بالغريزة الجنسية ، فهو كثيرٌ ويقينٌ أنّ منبع عشق إنسانٍ لآخر هو هذه الغريزة .

وهنا يجدر أن أُنبّهَ الشبابَ اليافعين ـ ذكوراً وإناثاً ـ إلى قضية مهمة ، وهي أنكم إذا ظهر لدى أحدِكم حُبٌّ مُفْرِطٌ لآخر ـ ذكرَين كنتما أو أُنثيين ـ فاحذروا من خُطورةِ الحالةِ اللاحقةِ ، ويجب ـ لزاماً ـ التصدي لهذا الإفراط في الحبّ .

لا تقلْ نحن أصدقاء ! فمهما قلت يبقى للأمرِ خصوصية والقول بأنَّ هذا الإفراطَ غير نابعٍ من الغريزةِ الجنسيَّةِ هو كذب ، فلا يظهر مثلُ هذا الحبِّ من غيرِها ولا حالة واحدة من مليون حالةٍ خاصَّةٍ بين الشباب اليافعين . فعادةً ما يكون الحب المفرط من إنسان لآخر عِشْقاً ، وهذا العشق نابع من الغريزة الجنسيَّة ، فالعشق الخالص متعلِّق بالله .

نعم من الممكن أن يعشق أحدٌ الإمامَ الحسينَ (عليه السلام) وكربلاء والإمامَ المهدِيّ وليَّ العصر (عليه السلام) وظهورَهُ ، ولكن هذا العشق إذا لم يكن متعلِّقاً بالله (تعالى) وبالذين تنبع فضيلتُهم منه ـ عزّ وجلّ ـ فليعلم صاحبُهُ أنّ حالةً خطيرةً قد أصابته .

إن ما أريد قولَهُ هو أنّ إنشاد الشعر في المعشوق وعشق الآخرين ناشىءٌ من الغريزة الجنسيّة ، إذْ لا يعشق أحدٌ الماءَ والخبزَ ، ولا يقولُ فيه شعراً ليمرغ بذلك ذوقَهُ في الطِّينِ ـ مهما كان جائعاً أو ظامئاً ـ فالعطشُ لا يثيرُ ذوقه الشعريَّ لِيُنْشِدَ شعراً في الماء .

وعلى ما تقدم عليكم أن تعرفوا أنّ للغريزةِ الجنسية حساباً خاصّاً ، حتى لو لم تصحّ نظريةُ فرويد ـ وهي ليست صحيحة ـ فينبغي للجميعِ ـ الشباب

وآبائهم وأمهاتهم وعمـوم المجتمع ـ ، أن يتعـاملوا معها وفق هـذه الخصوصيـة الخاصة مثلما فعل الإسلام ذلك .

● الرؤية القرآنية للزواج : ـ

الآية الكريمة المتقدمة والمتحدثة عن المعيشة الضرورية : ـ ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَـةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُـدِرَ عَلَيْـهِ رِزْقُـهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّـا آتـاهُ الله** . . . ﴾ تتعلق أيضـاً بالزواج لأنّ حاجة الرجل للمـرأة وحاجـة المرأة للرجـل حاجـة ضروريـة طبيعية ـ مثلما يحتاج الإنسـان بصورةٍ طبيعيـة للماء والخبـز ـ فإذا لم يكن مستـطيعاً أن يلبِّيها ، وجبَ على الآخرين تهيئتها له .

ولخصوصيةِ الغريزة الجنسية بين الغرائـز الأخرى ، فتـح القرآن الكـريم حساباً خاصّاً لها ، يقول ـ تعـالى ـ : ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَـامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ الله مِن فَضْلِهِ وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾[1] .

والخطاب هنا بصيغة الجمع المتعلِّقة بالمجتمع ، فهو المخـاطَب بالآيـةِ بأن يعملَ لتزويجِ العزابِ ـ ذكوراً وإناثاً ـ وهذه المهمة تقع بالدرجة الأولى على الأب والأم ، فـإن لم يستطيعـا ، وجبت على الحكـومـة الإسـلاميـة ، فـإن لم تستطع وجب على المجتمع كافة أن يقوم بذلك عبر مؤسسة ما .

والآيـة تؤكد : أن لا تحملوا همَّ المستقبـل فـالله ضـامن لـه ، فـإذا كنتَ متوكّلاً على الله حقّاً معتمداً عليه وتنشط في السعي بالصورةِ المـطلوبة وتعمـل بأوامر الإسلام ، فلا تحمل همَّ الفقر والمصارف فـ : ﴿ **إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ الله مِن فَضْلِهِ** ﴾ .

وهذه الآية مختصة بالغريزة الجنسية .

أمّا الآيةُ السابقة (آية الإنفاق) ، فهي متعلّقة بكافة الغرائز .

---

(١) سورة النور / ٣٢ .

(فهي تقول) على المجتمع أن يعالج الفقر الفردي والاجتماعي ، فهي تدعوه إلى توفير الاحتياجاتِ فيما بينَ أفرادِه ، فهي تذكر حكماً عامّاً .

وآية (النكاح) تذكر حكماً خاصّاً ضِمن هذا الحكم العامِّ ، فتوجب على الجميع العمل لتوفير إمكاناتِ الزواجِ للعزّابِ ـ ذكوراً وإناثاً ـ .

● قضية الزواج في الأحاديث الشريفة : ـ

ينقل صاحب « الوسائل » ـ رحمه الله ، وله حقٌّ عظيم على الجميع ولا سيما مراجع التقليد ـ في كتاب « وسائل الشيعة » ستَ روايات بهذا الخصوص تبشِّرُ بثوابٍ عظيم لمن زَوَّجَ أحداً من العزاب ـ ذكراً كان أو أُنثى ـ والروايات تشير إلى عظمة هذا العمل بحيث يرى الإنسان أن لا فضيلةَ فوقه .

روي عن موسى بن جعفر (عليهما السلام) أنَّه قال : ـ

« ثلاثةٌ يستظلُّونَ بِظِلِّ عرشِ الله يومَ القيامةِ ، يوم لا ظِلَّ إلاَّ ظلّه ، رَجلٌ زوَّج أخاهُ المسلمَ ، أو أخدَمَه ، أو كتم له سرّاً »(٢) .

وروي عن الإمامِ الصادقِ (عليه السلام) أنه قال : ـ

« أربعة ينظرُ إليهم يومَ القيامة : ـ . . . . . ، أو زوَّجَ عزباً »(٣) .

ونظير هذه الروايات موجود في أبوابٍ أُخرىٰ ، ونقل صاحب الوسائل أكثر من عشرين منها : ـ عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : ـ « جاء رجلٌ إلى أبي (عليه السلام) فقال له : ـ هل لك من زوجة فقال : لا ، فقال أبي : ـ وما أُحِبُّ أنَّ الدُّنيا وما فيها لي وأني بِتُّ ليلةً ليست لي زوجة »(٤) .

فلينظر إلى ما يقولُهُ الإمام الباقر (عليه السلام) الشبابُ والشابّاتُ

(٢) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٢٧ الحديث الثالث .
(٣) المصدر السابق الحديث الرابع .
(٤) المصدر السابق ج ١٤ ص ٧ الحديث الرابع .

القـادرون على الزواجِ ولا يتـزوَّجون ، فمعنى قـولَهُ (عليـه السـلام) ليس لـو أُعطِي لي مليونٌ أو مليارٌ من عُملةِ إيرانَ أو دولارات أميركا ، بـل لو أُعـطيت لي الدنيا وما فيها على أن أنامَ ليلةً بدون زوجةٍ لمَا قبلت .

ونفس هذا الخطابِ مُوجَّهُ لِلفتاةِ أيضاً مثلما هو مـوجَّهُ للشـابِّ ، فتدبّـروا في ذلـك ، فهو يعني أن لا قيمـة للدنيا ومـا فيها إذا كـان ثمنها العـزوبيـة ، ثم يوضح (عليه السلام) الأمر بعبارةٍ أكثر تبياناً للمقصودِ ، فيقول : ـ « الركعتـان يُصَلِّيهما رَجُلٌ متزوِّجٌ أفضلُ من رجلٍ أعزب يقومُ ليلَه ، ويصومُ نهارَه »[٥] .

ونفس الحكم يجري على صلاةِ المتزوِّجة مقـارنة بـالعزبـاء فرغم عـظمة ثـواب قيـام الليـل وصـوم النهـار ، إلاَّ أنَّ ثـوابَ ركعتين يصلّيهمـا المتـزوِّجُ أو المتزوّجةُ أعظم من ذلك .

وروي عن النبي الأكـرم والأئمـة الـطاهـرين (عليهم الســلام) حـديث مُسْتفيض بَيْنَنَـا نحنُ طلبةَ العلومِ الـدينيّةِ ، وهـو : ـ « ما بُني بِنـاءٌ في الإسـلام أحبَّ إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ مِنَ التزويج »[٦] .

فهذا الحديث يُبيّنُ أن قيـامك بـإعمار بيت بتـزويج عـازبٍ أو عزبـاء وأن تجعلهما أصحاب بيت ، هو أفضل من قيامك ببناءِ مسجدٍ أو مدرسةٍ .

وهذا ما يؤكده النبي الأكرم في الحديث الشريف المتقدِّم ونظائرُهُ كثيرة ، وأقـلُّ ثوابٍ تـذكرُهُ للمتـزوِّجة أو المتـزوِّج هو أن صـلاة الفجر التي يُصلِّيهـا أيُّ منهما يُعادِلُ ثوابُها ثوابَ مئةٍ وأربعينَ ركعة صلاة .

بمعنى أنّه يضاعف بمقدارِ سبعين ضعفاً ، على العكس من عملِ الشاب أو الشـابَّـةِ اللذين يستـطيعـانِ الـزواج ولا يفعـلان ، فقـد روى الأئمـةُ الأطهـار

---

(٥) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٧ .

(٦) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٣ .

(عليهم السلام) عن النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال : ـ « رُذال موتاكم العزاب »[٧] .

ولا أذكر أكثر من هذا الحديث ، لأنّ الروايات الواردة في هذا المقام تبعث اليأس بعض الشيءِ ، ومن أرادَ المزيدَ من السادةِ طلبةِ العلوم الدينيّة ، فليُراجِع الجزء ١٤ من كتابِ « وسائل الشيعة » .

ونُشيرُ هنا إلى قضيّةٍ مهمّة وهي أنكم أيها الأعزاء تعلمون أن لا مبالغة في ما يقوله الإسلام والأئمةُ الأطهار (عليهم السلام) ونحن نمتاز عن أهلِ السُّنّةِ ـ فيما نمتاز ـ بأننا نقول : إنّ كافة الأحكام الإلهية نابعةٌ لمصالِحَ ومفاسِدَ في نفسِ موضوع الحكم ، فمثلاً إذا أمر الإمامُ الصادقُ (عليه السلام) بشيءٍ فذاك يعني أنّ في المأمور به مصلحة تامّةً ملزمةً .

وإذا نهى الإمام الباقر (عليه السلام) عن شيءٍ ، فهذا يعني أنّ فيه مفسدةً تامّةً تستلزمُ النهيَ عنه ، وهذه من عقائدِ المُسلِمِ الشيعي .

● الإسلام وأهمية الغريزة الجنسية : ـ

ويُفهم من الآياتِ والأحاديثِ المتقدّمة ما قلناهُ من أنّ الغريزة الجنسيّة تتمايزُ من الغرائز الأُخرى ، فهذه إذا تأجّجتْ تجعلُ الإنسانَ مسكيناً .

أمّا الغريزةُ الجنسيّة ، فلها حساب آخر بحيث إنّ النبيّ يوسُفَ ـ وللنجاةِ منها ـ هرب من « زليخا » على الرغمِ مِن سموِّ مَقامِهِ . ويشير القرآنُ الكريمُ إلى أنّ يوسف أيضاً كان سيسقطُ بسببها لولا عصمتُه وإرادتُه القويّة : ـ ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ** ﴾[٨] .

فيوسُفُ انتصر بإرادتِه القوية في تلك الواقعةِ عندما ابتلي بالنسوةِ .

---

(٧) المصدر السابق ص ٧ .

(٨) سورة يوسف / ٢٤ .

أمَّا هؤلاءِ ، فقد قطَّعْنَ أيديهنَّ بدلاً مِن الفاكهةِ هُياماً بهِ وعِشقاً له عندما رأيْنَه .

وأطلبُ هنا من جميعِ الشبابِ والآباءِ والأُمّهات أن يضعوا دائماً نصب أعينهم قولَ يوسُف (عليه السلام) على ما ينقلُه القرآنُ حيث يقول : ـ ﴿ وإلاّ تَصْرِفْ عَنّي كَيْدَهُنّ أَصْبُ إِلَيْهِنّ وَأَكُنْ مِنَ الجاهِلِينَ ﴾[9] .

ومعنى مفردة الجهل هنا هو غلبة الغريزة على العقل ، وقد استعملها القرآن بهذا المعنى في الكثير من الموارد منها آيات التوبة .

والمنقول في الآية المتقدّمة على لسان يوسف يعني : ـ أنّه برحمتِك وعونِك استطعتُ ـ أي يوسف ـ التغلّب على الغريزة الجنسية .

وهاتانِ الآيتانِ من قصّة يوسف تنبهنا على ضرورةِ أن نولي هذِه الغريزة أهميةً خاصة تختلِفُ عن الغرائزِ الأُخرى .

وهذا ما فَعَلَه التشريعُ الإسلامي الذي ارتكز على دفع ضررها ، وليس قمعها ، بمعنى تشريع ما من شأنه عدم السماح لها بتلويث الإنسان ، فهو نهى بدءاً عن النظرِ بشهوةٍ للآخرين ، وهذا دفع ، لا رفع ، فلأجلِ عدمِ السماحِ بإثارةِ هذه الغريزة حرَّم النظرةَ الشهوانية ، وأكد أنها معصية قد تجرّ الإنسان إلى البؤسِ وإلى الإصابةِ بذلك العِشقِ الذي هو أسوأُ مِنَ السرطانِ وعلى الطرفِ الآخرِ أَمَر المرأةَ بالحَذَرِ واجتِنابِ الاختِلاط بغيرِ محارمها إلاّ بمقدار الضرورة فقط ، فلا تتعدّاها لا في التحدُّث مع غيرِ المحارم ولا الاختِلاط بهم ولا الذهاب إلى الدكاكين .

كما يوصيها القرآن بالانتباه على حجابِها عندما تذهب إلى الشوارع ، فينهى حتّى عن أن يكونَ لونَه صارِخاً جذّاباً للأنظار ، وكذلك الحال مع الحذاء

---

(٩) سورة يوسف / ٣٣ .

الذي تختاره وطريقتها في المشي وعدم مراعاتها ذلـك يوقعهـا في ظلم كبيرٍ هـو إثارةُ الشهوةِ لدى الآخرين ، ولو ثارت عند شابٍّ لصعبت جِدّاً السيطرةُ عليها .

إنّ الغريزة الجنسيّة تقول للشباب والآباء والأُمّهاتِ : إنّ فترةَ تفتُّحِها لدى الإنسان هي ما بين (١٨ ـ ٢٨) عاماً ، فلا ينفع الاهتمام بها بعد ذلك لا للذكر ولا للأنثى ، ففي هذا العمر يكون التمتُّع بهذِه اللذّةِ وبعده تكون مشقّة .

ومع الأسف فقد انجرَّ وضعُ المجتمع إلى تجاهلِ هذا العُمُـرِ الذي يَضُمُّ تفتُّحَ الغريزةِ الجنسيَّة على الرغمِ من أنَّه مصدر إشكالِ العقـد وعقدةِ الحقـارةِ والخمولِ والغمومِ والهمومِ وموت القلب فيا أيُّها الفتيـانُ والفتياتُ الأَعِـزّاء إنّ الإسلام هو أعرف منّي ومنكم بحقيقة الأمر .

● الاعتدال في مصارف مراسم الزواج : ـ

لـو تخلّينا نحن عن حـالةِ « التجمُّـل التـرفي » لتيسـرتْ كـافّـة الأمـور ، واستطعنا تـزويجَ عَشْـرِ فتياتٍ بنفسِ الجِهـاز التأثيثي الـذي نُعِدُّهُ لتـزويجِ فتـاةٍ واحدة . أنتم ـ النساء والرّجال ـ تقولون : لا يمكن .

أمّـا الإسلامُ ، فيقـولُ نعم يمكن ؛ يقول أميـر المؤمنين (عليه السـلام) وهو قدوة بني الإنسان في الديوان المنسوب له : ـ

وقـد دقّـت ورقّـت وأُسـتـرقـت   فـضـولُ العيش أعنـاق الـرجـال

إنّ المعيشةَ التجمليّةَ التـرفيةَ هي التي تسبب لـلإنسانِ ضعْف الأعصـابِ والـدّمار الـروحي ، وتجبـره على التخضـعِ للكـريمِ واللئيمِ ، وتجلب الفقـرَ الفـرديَّ والاجتماعِيّ وتجعـلُ الإنسانَ عَبْـداً للآخـرين وهكـذا تفعـل في تعبيـدِ المجتمعِ ككل للآخرينَ ، وهـذا هو مقصـود الإمام (عليـه السلام) في البيتِ المنسوبِ إليهِ .

هذا الجِهاز التـأثيثي التجمُّلي الترفي (المتعـارف) ما هـو إلاّ عِبءٌ ثقيلٌ قاصِمٌ للأعنـاقِ والظهـورِ وكل شيءٍ ، فهـو يطحن الآبـاءَ والأُمَّهات . وجميعنـا

مبتلون به أنا وأنت والقرويُّ وابنُ المدينةِ المتديِّنُ وغيرُ المتدين وعالم الدِّين وغيرُه ، المتجدد وغيره .

ويمكن بقيمتِهِ تزويجُ عَشْرِ نساءٍ ، ألا تصدقون ؟! .

أنقل لكم حادثةً واحدةً عن المرحومِ آيةِ الله الحائري ، وفيها مِثالٌ يُحتذى للجميع .

يُنقل أنَّ المرحومَ الشيخَ كان جالِساً وحولَه طَلَبَتُه ، فأتى تاجرٌ ومعه عباءةٌ صيفيَّةٌ جَلَبها هَدِيَّةً للمرحومِ الشيخ ، فرأى الشيخُ أن العباءة غالية الثمن جِدّاً ـ فهي من النوع الرقيق وثمنها غالٍ حالياً أيضاً كما كان دائماً ـ وأنَّ مِنْ غيرِ المناسِبِ لِمَرْجِعٍ أن يلبس مثل هذِه العباءة ، ولم يُرِدْ أن يرفضَ الهدية لكراهةِ ذلك ، فسأل ـ رحمه الله ـ التاجرَ عن قيمتِها ، فلم يرغبِ التاجِرُ في ذكرِ ذلِك ، فسأله الشيخ : ـ كم هو عددُ العباءاتِ العادية التي تُعادِلُ هذهِ العباءةَ .

فأجاب : ـ سِتَّ عَشْرَة عباءةً .

فقال له الشيخ : ـ « لقد قبلت الهدية ولكن هل يمكن استبدالها بِسِتَّ عَشْرةَ عَباءةً عادية .

أجاب التاجِرُ بالإيجاب .

فطلب الشيخ أن يقوم بذلك ، فذهب التاجر إلى السوقِ ، وقام بما أرادَهُ الشيخُ ، ورجع ومعه سِتَّ عشرةَ عباءةً قدَّمها للشيخ ، فأخذها ـ رحمه الله ـ فوزَّعها ، هذِه لهذا ، وتلك لذاكَ ، حتى انتهتْ إلاّ واحدة وضعها على عاتِقِه ، ثم توجَّه للتاجر : ـ « أهذا أفضل أم ذاك ؟! .

ففي الحالةِ الأولى كنتُ أنا وحدي المستفيدَ مِنَ الهديةِ ، أمَّا الآنَ ، فقد استفاد منها سِتَّةَ عَشَرَ شخصاً .

إذن لا تقولوا : لا يمكن تحقيقُ ذلِك ، ولا تقولوا : لَسْنَا مسؤولين ؛ بل كلُّنا مسؤولون : ـ « كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيَّتِهِ » .

أيها الشباب الأعزّاء ؛ إذا أردنا ـ جميعاً ـ الثورة ، فهي تعني التغييرَ ونحن الآنَ في مرحلةِ الإعمار ، وعلينا أوّلاً إعادة البناءِ الأخلاقي ، فيجب أن نتوجَّه نحو الأخلاق الأُسريَّة ، ونحن جميعاً ـ المسنون والشباب ، المقدسون وغيرهم والعلماء وغيرهم ـ نقدم هذا الجهاز التأثيثي التجملي الترفي ، علينا أن نُفْهِمَ الفتياتِ أنَّ قيمةَ هذا الجِهازِ تكفي لإعدادِ ستةَ عَشَرَ جِهازاً تأثيثياً بل عشرين ومائة .

فلنقم بتزويجِ مائةِ فتاةٍ بدلاً من واحدةٍ فقط .

البحث مازال ناقصاً سنُكمِلُه ـ إنْ شاءَ الله ـ في الفصلِ الثاني من بحثنا .

المحاضرة الرابعة :-

الفصل الثاني

- عقبات بوجه الزواج

١ ـ الشروط التعجيزية
٢ ـ المراسم الشكلية الزائدة
٣ ـ ارتفاع المهور
٤ ـ الولائم الضخمة

● عقبات بوجه الزواج

يدور الفصل الثاني من بحثنا حول العقبات التي أوجدتها الحياة العصريَّة بوجهِ الزواجِ وبما يشبه السواتر الترابيّة التي يصعب عبورها في الجبهاتِ القتاليّة ، وهي عقبات كثيرة أوجدها العالم العصريّ .

وينبغي لنا التحدث ـ ولو باختصارٍ عنها ـ وإن كانت إزالتها بحديث واحدٍ أو بمثل هذه المحاضرات (وحدها) أمراً صعباً ، ولكنّ مثل هذا الحديث لن يكون قطعاً دون ثمار .

١ ـ الشروط التعجيزية :

العقبة الأولى بوجهِ الزواج التي تزداد باستمرارٍ هي الذرائع الناتجة عن الشروطِ المبالَغِ فيها (التعجيزية) التي تطرحها الفتاة أو الفتى أو الآباء أو الأمهات .

وهي قد تؤدّي إلى بلوغ الفتاة سنّ الثلاثين والشاب سن الأربعين دُون أنْ يتزوجا ، وعندما يُسألان عن سِرِّ ذلك يجيبان : ـ لم أجد الزوج المناسب ، ولم أجد الزوجة المناسبة !! .

إنّ القضية التي يجب علينا الانتباه لها ـ وسأتحدّث عنها لاحقاً، إن شاءَ الله ـ هي أنَّهُ لا معنى (لا مصداق) لأنْ تشترط الفتاة زوجاً يطابق مائة في

المائة ذوقَها ، ونفس الأمر يصدق على الرجل ، فبصورةٍ عـامّة لـو توفـرت نسبة (٥٠٪) من هذا الشرط مع التوافق الأخلاقي لكانت كـافيةً ، ولـو توفـرت نسبة (٧٠٪) ، لكانت تلك الزوجة جيدةً للغاية وكذلك الزوجُ .

وتظهر هذه العقبة لدى المقدسين بصورةٍ ولدى غيرِهم بأخرى .

فهـذا يشترط بيتـاً والخاطب ليس عنـده بيت ، والـرجـل يشتـرط جمَـالاً متكاملاً ، وهذا ما لا يتوفّر في الفتاة .

وواحدٌ يطلب حسباً مرموقاً ، فـلا يجده ، وقـد يكونُ هـو نفسُه ذا حسبٍ ونسبٍ وضيع ، لكنّه عندما يريد الخُطبةَ يـطلب ذاك ، وهذا يؤدّي إلى أن يـظل دون زواجٍ ، وكذلك حال الفتاة .

وقـد تكون هـذه البنت تستعمل النـظارات فترفض تلك الأم أن تخـطبهـا لولدها ، أو أنّ الولد قصير ، فترفضه البنت وهكذا .

وفي الحقيقـة فإن هـذه الذرائـع لا يستسيغها العقـل ولا يمكن الاعتمـاد عليها ، ولعلّ بين الحاضرين هنا بعض الفتيات مَنْ قـد تقدَّم لخـطبتهنَّ عشرون شابّاً أو أكثر منهم ، لكنهن لم يتزوَّجن ، ورفضن لذرائع تافهة .

ولعلّ بين الحاضرين هنا شابٌّ مازال مُنـذ سنتين أو ثلاث أو أربـع يبحث عن زوجـةٍ ولم يجد على الـرغم من أنَّ له بنـاتِ عمّ أو خالـةٍ وجيرانـه وأرحامـه لديهم بنات ، لكنّه وضع لكلّ واحدةٍ منها عيباً وأعرض عنها .

ومثل هذه الذرائع تؤدّي في النهاية إلى ابتلائِهِ بزوجةٍ سيِّئة .

وقـد قـال النبي الأكـرم (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) مـراراً مِن على المنبر : ـ « أيها الناس إنّ جبرئيـل أتاني عن اللطيف الخبيـر فقال : إنّ الأبكـار بمنزلةِ الثمـر على الشجر ، إذا أدرك ثمـارها فلم تجتن أفسـدتْهُ الشمس ونشـرته الـرياح ، وكـذلك الأبكـار إذا أدركهن ما يـدرك النسـاء ، فليس لهنّ الـدواء إلاّ البعولة .

وإلاّ لم يُؤمَن عليهن الفساد ، لأنَّهنّ بشرٌ . . . . »[1] .

وهذا الأمر يصدقُ على الشابّ أيضاً ، فإذا وصل عمر الزواج وكان قادراً عليه ، فيجب عليه أن يتزوّج ، فإنْ لم يفعلْ كانَ حالُه حالَ الفاكهـةِ التي تنضج ثم تسقط من الشجرة ، وعندها لا تجدي نفعاً .

وكان البعض من « المتذرِّعين » يقومون والرسول (صلّى الله عليـه وآله) على المِنبر ليسألوهُ عن مواصفاتِ مَنْ يُزوِّجوهُ بناتِهم فيُجيبهم بـ « الأكفاء » .

فيسألون عن ماهيةِ هؤلاءِ ، فيكرر (صلّى الله عليه وآله) القولَ مِراراً مِن على المنبر : ـ « المؤمنونَ بعضُهم أكفاءُ بعض »[2] .

فالمؤمن هو الشخص ذو الأخلاق الحميدة والتـديّن الجيد ، فـإذا جاءكم فزوّجوه .

وسبب إحدى المصائب الكبرى التي حلّت بمجتمعِنا الإسلامي هو عـدم الالتـزام لِما كـان يكرره النبي الأكـرم (صلواتُ الله عليه وآلـه) مـراراً من على المنبر : ـ « إذا جاءكم من ترضونَ خلقَـه ودِينَهُ فـزوِّجوه ألاّ تفعلوا تكن فتنـةٌ في الأرضِ وفسادٌ كبير »[3] .

فـإذا لم يكن أمر الـزواج قائمـاً على أساس الـدين والأخلاق ظهـرت في المجتمع فتنةٌ وفسادٌ كبيرٌ .

وأيَّـــةُ فِتنـةٍ وفســادٍ أخـطرُ مِن الــوضـعِ الســائـدِ حــاليـاً في مجتمــع المسلمين ؟! .

النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) يأمـرنا بـأنْ نلاحظ الأخـلاق والتدين ولكن لا أظن أنّ هنـاك في هذا المجلس سيـدةٌ ذهبت تخطبُ زوجـةً لولـدها ،

---

(١) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٣٩، الحديث الثاني.

(٢) المصدر السابق في تتمه نفس الحديث وكذلك ص ٤٩ مروي عن الباقر (ع) الحديث الثامن.

(٣) المصدر السابق ص ٥١ الحـديث الأول والثاني وقـريب منه الحـديث الثالث مـروي عن الباقـر (عليه السلام).

وكانت تفكر هل أن هذه البنت حسودٌ أو متكبِّرة أو أنانية أو لا ؟ .

فهي تهتمُّ بأُمورٍ أُخرى ، ولا أظنّ أنّ هناك ـ في هذا المحفل المقدس ـ مَنْ جاءَهُ خاطبٌ فاهتم (ـ بالدرجة الأولى ـ) بمعرفة مدى تديُّنِ وأخلاقِ هذا الشابِّ على الرغم من أنّنا نقرأُ في الروايات ـ وقد ثبت في التجربة أيضاً ـ إذا كان مورد الاهتمام في أمرِ الزواجِ هو فقط المال والجمال والظاهر والحسب والنسب ، فلا تكون نتيجتُه سوى البؤس ، يقول (صلّى الله عليه وآله) : ـ « مَنْ نكح امرأةً لمالِها وجمالِها حُرِمَ مالَها وجمالَها ومَنْ نكحها لدينها رزقَهُ الله مالَها وجمالَها »(٤) .

وقال أيضاً : ـ « لا تَنكح المرأةَ لجمالِها ، فلعلّ جمالها يوديها ، ولا لمالِها ، فلعلَّ مالَها يُطغِيها . وأنكحِ المرأةَ لدِينها »(٥) .

فالطغيان بسبب المال والجمال يؤدّي إلى الاختلافِ ، وهذا يؤدِّي إلى البؤس وعندها فلن يحصد الساعي إلى المالِ والجمالِ فقط سوى الحسرةِ والندمِ .

وروي أنَّ رجلاً قال للإمام الحسن (عليه السلام) : ـ « إنَّ لي ابنةً فمن ترى أُزوِّجها ؟! » ، فقال : ـ « زَوِّجها لمن يتّقي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فإنَّه إن أَحبَّها أكرمها ، وإنْ أبغضها لم يظلِمْها »(٦) .

فواضح أنَّ دينه وتقواه تمنعه عن ظلمِها . لا أظنُّ أن هناك من بين هذا المحفلِ المقدّس من يخلو من هذه الشروط التعجيزية والذرائع الشائعة ، وعلى الرغم من رفض النبي الأكرم (صلَّى الله عليه وآله) لها : وقد وقعت في عهده حالاتُ زواجٍ عجيبةٌ تَرْمي إلى إدحاض تِلكَ الذرائعِ أمثالِ قَضَايا زواجِ

---

(٤) المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء ج ٣ ص ٨٥ نقلاً عن الكافي .

(٥) المصدر السابق ج ٣ ص ٨٥ وراجع كذلك وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٣٠ حيث نقل (١١) حديثاً في هذا الباب .

(٦) كتاب المستطرف ج ٢ ص ٢١٨ .

« جُـوَيبر » و« زيـد » و« المقداد »[٧] ، بمعنى أنّـه (صلّى الله عليه وآلـه) كـان يضحي بفتاة متكاملة في مـواصفات الجمـال والحسب والنسب من أجل إحيـاء حاكمية قانون الأخلاق والدين في المجتمع ، وليصبح هو المعيار في الـزواج لا أمور أخرى .

ونحن هنـا لا نقول لا تهتمّ بـالأُمـورِ الأُخـرى ، بـل نقـول اهتمّ بـالـدين والأخلاق ، وإذا حَظِيت بفتاةٍ بنسبة (٧٠٪) من المـواصفات التي تـأنس لها ، فلا تتذرع بشروط أخرى .

ونفس الأمـر يصـدق إذا تـوفّـر الخـاطبُ على (٧٠٪) من الشـروطِ المطلوبةِ .

ولا تستخر هنا أيضاً ، فللاستخارةِ مواردُ خاصّة ، فهي تجب ـ عادةً ـ في المهمّاتِ ، وعند الوصول فيها إلى طريق مسـدود يعجز معـه عقل الإنسـان عن التفكير ولا تنفع الاستشارة ، ويطغى الإبهام وعدم الوضوح القضية .

أمّا إذا كانَ الأمر واضحاً ، ويستطيع عقلك التفكيرُ بشأنِه ، فلا موقع هنـا للاستخارة كأن تشاهد بأن الخاطب شابٌ صالح ـ ديناً وأخلاقاً ـ وقادرٌ على إدارة الشؤونِ الزوجيَّةِ ، أو أن تشاهد بأن الفتاة متديّنة من أُسرةٍ متديِّنـةٍ وذات أخلاق حسنة وتستطيع القيام بواجبات الزوجيَّة .

بـل إنَّ للاستخـارةِ معنىً آخرَ أرجـو منكم جميعاً أن تعملوا بهـذا المعنى المطروح في الإسلام للاستخارة ، وهـو أنك إذا أردتَ القيـامَ بعملٍ (مهم) ، فَصَلِّ ركعتين ، وقل بعدهما مائة مرة « أستخير الله برحمته » أي تدعوه أن يبارك لك في العمل ثم آشْـرَعْ به ، ليكـون هذا العمـل مباركـاً ـ إن شاءَ الله ـ وأصـلُ الاستخارة في الإسلام هو هذا .

والاستخارات التي تستند إلى روايات صحيحة ومسندة ويُؤكِّدهـا صاحبُ

---

(٧) تجد تفصيل هذه القضايا في وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٤٤، ص ٤٥.

كتابِ « الجواهر » ـ رضوان الله عليه ـ في هذا الكتـاب هي التي تعني أن أطلبوا من الله الخير في أعمالكم .

نعم لو لفّ الإبهام وعدم الوضوح الإنسان تجـاه عملٍ مـا ، ولم يتوصـل عقلُهُ لشيءٍ ، ولم تثمرْ شيئاً استشارته للآخـرين ، عندهـا يمكنه أن يستشيـر الله ـ تبارك وتعالى ـ فإذا استشرتمـوه ـ تعالى ـ فـالتزمـوا العملَ حتمـاً على وفِقها ، (فإذا كانت الاستخـارة تقول : إنّ العمـل جيّد فـأعملوا) وإذا كانت تنهى عنـه فـاتركـوه حتماً ، وتكـرار الاستخارة (حـول نفس المـورد) خـطأٌ ومن الأفعـال العامِيَّةِ الموجودةِ بيننا .

وخلاصة القـول هي أن العقبة الأولى المشهـودة في أمر الـزواج هي تلك الحـالة التعجيـزيّة (طـرح الشروط المبـالغ فيهـا) التي تُـلاحظ لـدى الشبـاب والفتيات أو آبائهم أو أُمّهاتهم .

وأطلب منكم أن تستبدلوا هـذِه الحالـةَ بأن يكـون لديكم تـوكُّلٌ على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فهو مقلِّبُ القلوبِ ، وهو مُصْلِحُ الأَحـوالِ والقرآن يُبيِّنُ أنّ ولي الله لا يغتمّ ولا يتحسّر على ما مضى ولا يخـاف مما هـو آت : ـ ﴿ **ألا إنّ أولياءَ الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون** ﴾[٨] .

وسرّ ذلك أنَّهم يتوكّلون على ربِّهم .

فتوكلوا على الله في أمر الزواج وأَزِيلُوا هذه العقبةَ التذرعيَّة التي لا يرضى بها الرسول الأعظمُ (صلواتُ الله عليه وآله) والأئمـة الأَطهارِ وعلمـاءِ الإسلامِ الكبار .

المرحوم الشيخ (جعفر) كاشف الغطاء ـ رضوان الله عليه ـ هـو من كبار مراجع التقليد ، وهو رجل قلَّ نظيرُهُ في العِلم والشجاعة وقدرة الزعـامة الـدينية تُنْقَلُ عنهُ حادثةٌ هي أَنَّهُ قال يوماً في نِهايةِ دَرْسِه ـ وبحضورِ تـلامذتِـه ـ : ـ « إنَّ

---

(٨) سورة يونس/ ٦٢ .

لديّ بنتاً آنَ أوانُ زواجِها ؛ فإنْ تقدَّم شخصٌ مؤمنٌ خلوقٌ زَوَّجْتُها له » فقام أحد فضلاءِ درسِه ، ثم جلس .

وهذا القِيامُ والقُعودُ هو بمثابةِ التقدمِ للخطبة .

فقال المرحوم كاشف الغطاء : ـ تعالَ إلى البيت ؛ ثم ذهب إلى البيت ولحِقَه هذا التلميذُ فيما بعدُ ، وكان الشيخ المرحوم يعرفه طالباً (للعلوم الدينية) فاضِلاً ومتديِّناً متخلِّقاً بالأخلاق الإسلامية الحسنة لكنه فقيرٌ مُعْدَم .

قال المرحوم كاشف الغطاء لكريمته : ـ « بُنيّتي ؛ لقد وجدتُ لك زوجاً لا يملِك شيئاً ، لكنه ذو علمٍ ودين وأخلاقٍ ، فهل تقبلين به ؟! .

أجابت كريمته : ـ إنَّ أمري بيدِك . وفي نفسِ ذلِك الوقتِ عَقَدَ لهما ، وأعدَّ لهما غرفةً في نفس منزِله وحَضّروا الفتاة في نفس تلك الليلة لِزوجِها ، ودخل الفتى والفتاة غرفة عرسهم .

وقبل الفجر نهض المرحومُ كاشف الغطاء لإقامةِ نافلةِ الليلِ ، ثم دقّ باب غرفتِهما ، وقال : ـ « لقد أعْدَدْتُ الماءَ الساخِنَ ـ في ذلِك الزمان لم يكن هنا حمامٌ في المنازل ـ وهو في الغرفةِ الفلانيَّة فاذهبا واغتَسِلا لإقامةِ صلاةِ الليل » .

فذهبا واغتسلا وأقاما صلاةَ الليلِ أيضاً .

ونُضِيف قائلين أنّ قصّةَ هذا الإيثارِ والتضحيةِ من الشيخ كاشفِ الغطاءِ لا تنتهي هنا فـ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[٩] فقد وعد القرآن بمساعدة مَنْ يعملون لله ، (وقد تحقق هذا الوعد هنا) فصهرُ المرحومِ كاشفِ الغطاءِ كان هو المرحوم الشيخ « محمد تقي مسجد شاهي » وقد وصل من العلمِ مرتبةً سامية بحيث ألَّف حاشيةً على « المعالم » مازالت من الأصولِ الحيَّةِ على الرغمِ من مُرورِ ثلاثةِ أو أربعة قرون على تأليفِها ، وأصبح مقدَّماً

(٩) سورة العنكبوت/ ٦٩ .

على الشيخ كاشفِ الغطاءِ ، وأصبحَ جميعُ أبنائِه مجتهدين ، ولم ينقطع الاجتهاد عن بيتِهم ، فجميعهم كانوا متدينين ولهم قدرة ونفوذ في إصفهان حيث كان جميع العلماء يحترمونهم ، وكان جميع حكّام ذاك الزمان يتخضّعون لهم .

أي : كانت عاقبة ذلك الزواج الحسنى ، وكان عرساً كما يريدُه القرآنُ ، وهذا هو الجدير بأنْ يُسمى زواجاً إسلامياً .

وكان هذا هو نهج النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) والأئمةِ الأطهار (عليهم السلام) والفقهاء العظام .

العلامة المجلسي كان ذا مقامٍ علمي سامٍ ، وكان منيعَ المكانةِ ومتمكّناً من الناحية المالية بحيث يقتضي الإنصاف أن نقول أنه جعل « الصفوية » بلاطاً له ولو لم يقم سوى بتحرير (موسوعة) «بحار الأنوار» لكفانا ذلك في القولِ بأنه لم يأت بمثله أو قلّ نظيرُهُ .

العلامةُ المجلسي كانت له بنتٌ فاضلةٌ مجتهدةٌ وعلى درجةٍ عاليةٍ من الجمالِ ، ولم تكن ـ آنذاك ـ قد تجاوزتِ العشرينَ عاماً وكانت من جهة الحسبِ والنسبِ فتاةً نموذجيَّةً ، فزوجَّها العلامةُ المجلسي للشيخ صالحٍ المازندراني ـ من طلبةِ العلومِ الدينية ـ وكانت مؤهلاته محدودةً ، فلم يكن معروفاً ولا ثَرِيّاً ، ولكنه كان متديّناً وخلوقاً ، فزوجه العلامة ابنتَه لأخلاقِه الحسنةِ ولتديُّنه، وهي فتاة لم تكن عادية إذْ يُنقل عنها أنَّ زوجها دخل غرفتهما الزوجية ورأى أنَّ عليهِ مطالعةَ أَحَدِ المواضيع ، فاستعصتْ عليه مسألةٌ علميّة لم يستطع حلَّها ، فحلَّتْها له .

إذَن هي فتاة استثنائية ، فلماذا قبل بتزويجها لمثلِ الشيخِ المازندراني ؟! .

الجواب هو لأنه لم يكن من المتذرّعين بالشروطِ المبالَغِ فيها ، فهو كان يقول : إنّ رسولَ الله (صلّى الله عليه وآله) قال : ـ « إذا جاءكم مَن تَرْضَون

خلقَه ودِينَه ، فزوِّجوهُ .

وإن لا تفعلوه ، تكن فتنةٌ في الأَرضِ وفسادٌ كبيرٌ »

٢ ـ المراسم الشكلية الزائدة :

العقبـة الثانيـة هي أهمّ من سابِقتهـا خصوصـاً في عصرِنـا الحاضـرِ حيث يصعُب تجاوزُها حالياً ، وهي المتعلِّقة بالشيءِ الذي يأخذه الشابُّ لِيُنقَـلَ بمعية عروسِه إلى بيتِ الزوجيّة ، ففي البداية كان نسخةٌ من القرآنِ ، ثم أُضيفت إليها مرآةٌ ومحمل الشموع ، ثم أُضيف إليها وأُضِيف ، حتى وصل الأمر إلى ما ترونَه الآنَ مِنْ أَغـلالٍ في عنقه يبيع كلَّ مـا عنده لتـوفير ثمنهـا ، فـلا يفي بـالـذهب المطلوبِ ، فيرفض عنـدَها الـزواج أصلاً ، في حين مـاذا كان سيحـدث لو لم يكن لهذِه العروسِ مرآةٌ وحمالةُ شمع أو كانت المرآة من النـوع المُعتادِ إضـافةً إلى القرآن ؟! .

وأي نقصٍ يظهر بذلك ؟! .

وماذا يحدث لو لم يقدم الشاب ذهباً ؟! .

وما المانع من أن يقدم خاتماً مألوفاً للفتاة وتقـدِّم هي له خـاتماً من العقيقِ بدلاً من الخاتَمِ الذهبي حيث يسبب له المشاكل بدءاً من أنه لا يستطيع الصلاة لبطلان الصلاة بـه ومروراً بـإيقاعـه في المعصية وتثبيتهـا في صحيفة عملِه منـذ اللحـظة الأولى لوضـع العروس لهـذا الخاتَمِ الـذهبيّ في يدِهِ ، لأنَّ الـرجل لا يَحِـلُّ له التـزيُّنُ بالـذهبِ سواء كـان خاتمـاً أو ساعـة أو نظاراتٍ أو أزراراً أو أيَّ شيءٍ آخَرَ فيهِ زينةٌ له .

وما المانع من أن يكون الخـاتم خاتمَ عقيقٍ ، أو لا يقـدم خاتمٌ أصـلاً ؟! وأن يقدم للعروسِ خاتماً مُعتاداً ؟! .

أُقسمُ بـالله لن يحدث شيء ، ولن تقـع السمـاء على الأرض ولا العكس

كما يقول النـاس ، بل إنّنـا نحن الذين نخـرب بأفعـالنا القبيحـة السماء ونـدمر الأرض .

مَنْ يستطيع تجاوز هذهِ العقبةِ الثانيةِ (غيرنا) ؟! إذن فتعالوا وحطِّمـوها ؛ لا أقول ليقمِ بذلك اثنان أو ثلاثة أو مجموعة ، فلا يمكن تحطيمُها بذلـك ، بل نقـول : ـ إنَّ لمدينـةِ قم إنجـازات كثيـرة ، فلتقـرر تحـطيم هـذهِ العقبـةِ وهـذا الحـاجز ، فتعلن منـعَ حمّالات الشمـع والمرايـا التَّرفِيّـةِ الغاليـة الأثمـان ومنـع اشتراط تقديم الذهب في مراسم الزواج وسائر المظاهر الشكلية الزائدة .

فمـا الذي يمنـع عندهـا من انتقال هـذه السنة من مـدينـة قم إلى المـدنِ الأخرى إلى عمومِ المجتمعِ الإسلامي ليصل الأمر إلى الحالة التي نستطيع أن نقول معها : ـ نحن الذين قمنا بالثورة وحطمنا هذه العقبة .

في ذيل الرواية التي نقلناهـا سابقـاً حول مجيءِ شخص غيـر متزوِّجٍ إلى الإمامِ الباقرِ (عليه السلام) وتأكيد الإمام فيهـا لرفضـه المبيت ليلةً واحدة دون زوجة حتى لو أُعطِيتْ له الدُّنيا وما فيها ، ورد أَنَّ الإمـامَ (عليه السـلام) أعطى هذا الشخص سبعةَ دنانيرَ وأَمَرَه أن يتزوَّج بها .

وهذا هو ما أريد الإشـارةَ إليهِ هنـا ، فهذا المبلغ يعـادل سبعة مثـاقيل من الـذهب ، وليس بالمِثقـالِ المتعارَفِ حـالياً وهـو (٢٤) حبة ، بـل بـالمثقـال الشـرعي الذي يعـادل (١٧) حَبَّـة أي أنّ المبلغَ يُعـادِلُ خمسـةَ مثـاقيـل ذهب حالياً .

فالزواجُ الذي يرى الإمـامُ أَنَّ كلفته لا تتعـدّى السبعة دنـانير أصبـح الآنَ يكلِّفُ سبعين دينـارَ ذهب ، بل أكثـر منها ، حيث يصـل الحـال أن يبيـع المـرءُ دارَهُ ، لكي يؤمن تكاليف إقامة مراسم العقد وهذا ما لا يرضاه الله ـ تعالى ـ .

(يـروى أَنَّ) الرسـولَ الأكرمِ (صلّى الله عليـه وآله) كـان جـالسـاً بين أصحـابِه عنـدما جـاءتْ فتاةٌ وأخبـرتْهُ من خلفِ الحِجـابِ أَنّها تـريـد الـزواجَ ،

وطلبت منـه (صلّى الله عليه وآلـه) أن يُزوِّجهـا ، فتوجَّـه إلى أصحابِـه وسألهم عمّن يريد الزواج . فقام أحدهم فسأله (صلّى الله عليه وآله) عن المهرِ الـذي يستطيعُ تقديمه ، فأجاب بأنه لا يملك غير القميص الذي يرتديه .

وعنـدهـا سـألـه (صلّى الله عليـه وآلـه) عمّـا إذا كـان يعـرف شيئـاً مِن القرآن ؟! .

فأجابه أنَّه يعرف سورة الواقعة ، ثم توجَّه صوبَ الفتاةِ ، وسألها إنْ كانت مستعدَّةً للزواجِ على أنْ يكون مهرها تعليمهـا هذِه السـورة من القرآن ، فـردّت بالإيجابِ ، وتم العقد .

وهذا ما كان يريده (صلّى الله عليه وآله) ؛ لا أقول يجب الالتـزام بمِثلِ هـذِه الحادثـةِ ، ولكني أسأَلُ لمـاذا نكون مقيّـدين بهذِه الأغـلال التي نبتلي بها جميعـاً من العلماء والكسبـة والمزارعين والقـرويين وأهـل المـدن والمقـدسين وغيـرهم وخاصـةً المقـدسين الـذين يكثـرون من هـذه الاستخـارات ومن هـذه الذرائعِ والشروطِ التي نُبالِغُ فيها وصنعنا بها هذا السدّ ؟ .

عندما يجلس الشابّ في مراسمِ عَقدِه يُشْغَلُ ذِهْنَهُ بكيفية تسديد الأمـوال التي اقتـرضها من أجـلِ شراءِ الـذهبِ المطلوب ، وهـل يمكنـه تسـديـدهـا أو لا ؟! .

فلماذا وضعت هذه العقبة ؟ .

وما هو النقص الذي يُوجِدُه الزواجُ بلا ذهب ؟! .

ثِقـوا بأنَّ الله يتلطف بـرزقهم فيما بعـد ، فـلا يمكن أن يحبس الله أجـرَه عمّن يعمل في سبيله .

أنتم تعملون لأفـرادٍ عـاديين ، فيشكـروكم فهـل يمكن أن لا يفعــل الله تعالى مثل ذلك ؟! .

أيتها السيدة الـوالدة ، الـذهبُ يأتي فيمـا بعد أيضـاً ، فليكن هدفـك هو

العثور على زوجٍ صالحٍ لابْنتك يُحِبُّها أو لا يلحق بها الأذى إذا لم يُحِبَّها .

فهذا ما لا يسمح به تديُّنه كما ينبّه لذلك الإمـام الصادق (عليـه السلام) فهـو عندمـا يرى أن زوجتـه لا تمتلك الحلي الذهبيـة ، فسيقتني لها ذلـك بمـا استطاعَ ، فلا حاجةَ أن تثيـروا هذِه العَقَبـةَ في وَجْهِه منـذُ البدايـةِ ، فتجرحـون مشاعره وأحاسيسه قبل العقد .

قضيةٌ أُخرى أُريـدُ التنبيهَ عليهـا هنا ، وهي أن لا تضـاعفوا كـلّ يوم هـذهِ الـطلبات ، ففي الأَقَـلّ أن تقتنعوا بـالمقدار المـوجود ؛ فقـد كان من الـرسـومِ المتعارفةِ ـ وإنْ كان خطأً ـ هو أن يرسلوا للشاب مِقداراً من الفاكهةِ مـع نوعٍ مِنَ المـلابِس ، ثم أضافـوا إليه الحلويـات وقالـوا هي ضروريـة لا يمكن الاستِغناء عنهـا ثـم قالـوا لا يمكن أن نعطي للشـابّ دون والدتِـه ، فأضـافـوا شيئـاً آخـرَ لوالدتِه ، وألزموا بذلك الأبَ أن يقترض لتوفيرِ هذِه « الضروريات » !! .

فهـذا المسكين الذي لا يملك مـا يشتري بـه فاكهـةً أو خضرةً مـع طعـام إفـطار عيالـه أصبح عليـه أن يشتري شيئـاً لوالـدة صهـرِه المستقبلِيّ ، لِيُـدخـلَ السرورَ إلى قلبِها !! .

ولكن إذا كانت هذه الوالدة سيئةَ الأخلاقِ ، فلن يسـرّها ذلـك وإذا كانت حسنة الأخلاق ، فهي مسـرورة على كلِّ حـالٍ فلا يمكن استِجـلابُ الوُدِّ بهـذِه التقاليدِ غيرِ الصحيحة .

نحن نشتبـه عنـدمـا نتصـوّر ذلـك ، والسـر هـو أننـا خلطنـا بين فتحـات (مواقع) الدعاء !!

ينقل جلال الـدين الرومي أن شخصـاً كان يقـرأ في محلِّ قضـاءِ الحاجـةِ الدعاء المأثور أن يقرأ حين التمضمض عند الـوضوء ، ويقـرأ حين التمضمضِ الـدعاءَ المـأثورَ أن يقـرأ حين قضاء الحـاجة ، فقـال له من اطلع عليـه : ـ لقد حصلت على وردٍ جيِّدٍ ، ولكنك خلطت بين فتحات (مواقع) الدعاء !! .

نحن نتوهَّمُ أنَّ المودَّة تستجلب بالذهب الكثير الذي نقدمه للعروس ولكنّ ذلك لا يستجلب غير المشاكل ، فالمودَّةُ مِن الله ، وهذا ما يؤكِّدُه القرآن : ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً ﴾(١٠) .

فهو يؤكد أنَّ عليك أن تقوِّي علاقتك بالله ، وتتعرَّف ما يريدُه (بشأن الزواج) إذا أردت أن تتعزز المودَّةُ بين ابنتِك وصِهرِك .

أُقسم عليكم بالله . (أن تجيبوا) هل يستطيع أحدٌ أن يقول بجرأةٍ : إنَّ مراسمنا هذِه في الزواج تحظى برضا الله وإمامِ العَصْر ؟! .

وهل يرضىٰ الإسلام بهذه العقبات التي نضعها بوجه الزواج ؟! .

إنّ هذا ما لا يرضاه النبي (صلّى الله عليه وآله) وولي العصر (عليه السلام) والزهراء (سلام الله عليها) فتعالَوا نحطِّمْ هذِه العقبة أيضاً .

٣ ـ ارتفاع المهور :

العقبة الثالثة التي تحوّلت إلى مصيبةٍ هي قضية ارتفاع المهر ، ففي السابق كان الذين لا علاقة لهم بالثورة والقيم الدينية يشترطون مهراً بمبلغ مليوناً واثنينِ وثلاثةٍ ، ثم اصطبغ نفس هذا الموقف بصبغة ثورية ، فأصبحوا يقولون (١٢٤) ألف من مسكوكة « الحرية » الذهبية تيمناً بعدد الأنبياء !! .

ومعلوم أن مَنْ يقول ذلك لا يريد التزويج .

ثم أضافوا في العديد من المناطق ـ ومنها مدينة قم ـ شيئاً خرافياً بعيداً عن العقلائية سموه ثمن الرضاعة وهو بدعة سيئة وكأن الوالدة تُطالب الزوج بثمن اللبن الذي أرضعته بنتها !! .

والغريب أن المال الذي يُقدَّمَ تحت هذا العنوان يأخذُه الأب ؟! .

---

(١٠) سورة مريم/ ٩٦ .

فما أقبح هذه البدعة ! .

كأن البنت بضاعة تباع ، فثمن الرضاعة يعني بيع البنت .

ويفتي الكثير من الفقهاء بأنَّ لا يجوز للفقير أن يتحمل بذمته مهراً ضخماً ، وبعضهم ـ ومنهم مرجعكم في التقليد ـ يقول إن الذمة واسعة فيمكنه أن يجعل مثل ذلك في ذِمَّتِه ، وإن لم يكن يستطيع التسديد فلا يستطيعون أخذه منه .

ونقرأُ في الرواياتِ وَصْفَها ارتفاع المهرِ بأنّه علامةُ شؤم الفتاة[11] ، فإذا فُقدت المودة فما جدوى ضخامة المهر ؟! .

أنتم تطلبون مهراً ضخماً لكي توجدوا بذلك رابطة بين هذا الشابّ وبين ابنتكم ، فإذا لم يكن يودّها أو لم ينسجم معها ـ لا سمح الله ـ فماذا يجدي أن يدير بصورة جيدة جداً شؤون ابنتِكم من جهةِ المصارفِ الماليّةِ والترفيهيّةِ ، ويتعامل معكم بما تُحِبُّون ، لكنَّه عندما يدخل بيت الزوجية ينتفخ (تكبراً) ولا يتحدّث .

وقد يمر اليوم الأول والثاني والعاشر مُفْعماً بما يُحوِّلُ هذا البيتَ فيما بعدُ إلى سجن ، بل إلى أسوأ من السجن بالنسبة لابنتِكم حيث تجد زوجها عبوساً بوجهها ولا يتحدّث معها وإن كان لا يضربها ولا يشتمها ، لكي لا يُقال له : ـ لست بمسلم ؛ ومع هذا الحال لا يمرّ عامٌ حتى تصرخ هذه البنتُ لا أُريد هذا المَهْرَ إنَّني أتنازل عن كلِّ ما أملِكُ من أثاثٍ وغيرِه لكي أُحرر نفسي ؛ وعليه ، فالمَهْرُ الضخم لا يمكن أن يوجد عامل ارتباطٍ ومودّةٍ في الزوجِ .

أَجَل ، أقول لكم : إنّي في المقابلِ أرفِضُ بعضَ الأعمال الثورية المتطرّفة كأن يتم الزواج دون مهر ، فهذا أيضاً ليس صحيحاً ، أو أن يكون المهر نسخةً من القرآنِ الكريم أو خمسَ سبائكَ من « مسكوكةِ الحريّة » ولا أن

(١١) جامع أحاديث الشيعة ج ٢٠ ص ١٠١ وراجع ايضا المحجة البيضاء ج ٣ ص ٩٠ .

يكون مليوناً وأكثر فهذا إفراط ، كلا فلا إفراط ولا تفريط : ـ « لا يُـرى الجاهـلُ إلاّ مُفْرِطاً أو مُفَرِّطاً »[١٢] .

إذن فكيف يكـون العمل الصحيـح ؟! الجواب هـو وفق الحد الـوسط ؛ فتجب مراعاة وضع الشاب والفتاة ، ومعرفة ما الـذي يناسب شـأنها ومـا يناسب إمكانية الشاب .

وكثيراً ما يحدث أن تُوجَّـه ضربـةً للمودَّة المتقـابلة في نفس ليلةِ التحدُّثِ حول موضوع المهر ومراسم الخطبة والزواج بين أُسْـرَتَي الشابِّ والفتـاةِ ؛ وكأن الحديث عن شراء منزلٍ فيسأل هذا : ـ بكم ؟! .

فيقول : ـ مليون فيطلب الطرف الأول تقليل السعر .

وهكذا يتقابـل اثنانِ من هـذا الطرف واثنـانِ من الطرف الآخـر في عملية « مماكسة » حتى يستقر الأمر على مبلغ معين لشراء البيت ! ونفس الأمر يجـري في الخطبة .

وقـد يجرّ النقـاش إلى تبادل الكلمـات الجارحـة والتخاصم والتهـاجـر ، وبذلك توجه الضربة للمودّة مُنذ البدء ، والمودّةُ مثل الزجاجة يصعبُ إصـلاحها إذا انكسرت ؛ وتبقى أُمُّ الزوجِ تكرهُ زوجةَ ولدِها إلى آخر العمر .

وفي المقابل تبقى والـدة الزوجـة تكره زوج ابنتهـا إلى النهايـة وما أتعس الزواج الذي يقع فيه نزاع .

٤ ـ الولائم الضخمة :

والعقبةُ الرابعةُ هي الوليمـةُ ، فقد نَـدَبَ الإسلامُ إليهـا ، لكِنْ ما الـوليمةُ التي نَدَبَ إليها الإسلامُ ؟

إنما هي التي أقامها رسول الله (صلّى الله عليـه وآله) في زواج الـزهراء

(١٢) نهج البلاغة : الحكمة رقم ٦٧ .

(عليها السلام) فقـد ذبح كبشـاً ودعا فقـراءَ المدينـةِ الذين قلّمـا أكلُوا لحماً ، فأطعمهم منه،ثم أمر بتوزيع ما بقيَ منه على الفقراء الذين لم يستطيعوا أو لم يـرغبوا(استحـوا) في المجيءِ ، وبعدهـا حملوا العروس إلى منـزِل زوجِهـا ، ولكن هل في الولائمِ التي تُقام حالياً غير المشاكل والأذى لوالد العروس ؟! .

نرى والداً لا يزوج ابنته ، وعندما نفتـح قلبه ونستمـع لقولـه نرى أن سـرَّ ذلك يكمن في عدم قـدرته على إقـامة الـوليمة (بـالصـورة المتعـارفة ، ولـذلك يتذرَّعُ بِحججٍ أُخرى ، فيتجاوزُ عمـر ابنتِه العشـرين والخمسة والعشـرين عامـاً وهي في بيتِ أبيها بسببِ ذلك .

فمثلُ هذِه الـولائمِ انحرافٌ وبؤس وأقـول لكم أنه ليس فيهـا ولا ذرة من ثواب ، فالوليمةُ تُقام لمباركة الزواج والتي نقيمهـا الآن لا تبارك في الـزواج بل على العكس تسلبُهُ البركة .

ومن الممـارساتِ المنحـرِفـة أيضـاً هي قضيـة الإطعـام الـذي يقـدم في المآتم ، فنرى أحيـاناً شخصـاً توفِّي والـده لكِنّه يُشغَـلُ بمصيبةِ الإطعـامِ الذي يجب أن يقدّمه ، ويذهل عن مصيبتِه بوالدِه ليلاً ونهاراً للمعزّين ، فنـرى أحيانـاً أن ابن المتوفّى قد يصرف مِئَتَي أَلْفٍ أو ثلاثَ مئةِ ألفِ تومانٍ (العملة الإيرانية) من أجل إقامةِ مراسمِ العزاء .

وقد يبيع داره بسبب ذلك في حين أنّ الإسلام يأمرُنا بعدم السمـاح لأسرةِ المتوفّى بطبخِ الطعامِ لمدةِ ثلاثةِ أيام وبإعداد الطعامِ لهم وعدمِ تـركِهم يبقون في منازِلِهم ، ونهى عن الذهـاب إلى بيتهم لأكلِ الـطعامِ فهـذا أمرٌ مكـروه ، حتّى شربُ الشاي مكروهٌ في منزلهم أيضاً .

قبل أيام جاءَني شابٌّ ، وذكر أنَّ أَباهُ قد توفِّي واقترض سبعين ألف تومان من أجل إقامـة مراسم العـزاء على الرغم مِنْ أنّـه اقتصد كثيـراً في المصارف ، فالفردُ يتوفّى والِدُه ، فتكـون مصيبتُهُ الأُولى هي إطعـامُ المعزّين ـ ليـلاً ونهاراً ـ

حتى يتمّ الأُسبوع وهو نفسُه جاهلٌ إذْ يقولون له لا يحتاج الأمر إلى القيامِ بالإطعامِ على مدى أُسبوعٍ ، فيرد بأنَّهم لم يدفُنوا « بنجراً » !! .

فأي جواب هذا ؟! .

إنَّ والِدَك المسكينَ يتأذّى ـ وهو في قبرِه ـ من وقوعِك تحتَ ضغطِ الاقتراضِ ومنك لتصديقك بهذه الخرافات ومن الذين يأتون يأكلون الطعام ويتأذّون لأذى أُسرتِه !! .

إذا أردتَ حقّاً أن تُقيمَ وليمةً ، فليكن اهتمامُك بالفقراءِ و« الأغنياء من التعفّف » يُنقل أنَّ امرأةً كانت تُعِدُّ كلَّ أُسبوع مِقداراً مِنَ الحَلْوى وتعطِيهِ لولدِها لكي يذهبَ بهِ إلى قبرِ والدِه ، فيأكل كلُّ واحِدٍ مِن المارَّةِ منها شيئاً ، واستمرَّت على هذا الحال فترةً . ومرةً كان ابنُها جائعاً ، وقد اشتهى الحلوى عندما أعطته طبقها ـ كالمعتاد ـ فلم يذهبْ بها إلى المقبرةِ ، بل إلى خلوةٍ أكلَ فيها الحلوى كاملةً .

وفي الليل رأتِ المرأةُ في عالَم الرؤيا زوجَها وهو في غايةِ السرورِ ، وقال لها : ـ لم يصِلْني شيءٌ مِن الحلوى التي كنتِ تقدّمينها على مدى عامٍ كاملٍ ، ولكن البارحةَ وصلتني ، وكانت لذيذةً للغاية .

فعلينا أن نفكّر بأيتامِ المتوفّى وأسرتِه ولو كُنّا متمكّنين ماليّاً ونريد تقديمَ شيءٍ فلنقدمه للفقراء والضعفاء والمساكين ، وليس للقادرين على تهيئةِ الطعامِ المناسبِ ، بل ليس صحيحاً أن نزاحم هؤلاء وندعوهم للوليمةِ ، ونقترض من أجلِ إعدادِها من هنا وهناك لهذه المادّةِ الغذائيةِ وتلك ، فنقع تحت ضغط الديونِ ، حتىٰ نموتَ نحن أنفسنا غمّاً .

إنّ طريقة إقامتِنا لولائمِ الزواجِ والإطعامِ في المآتم غيرُ صحيحة ، فيجب الكفُّ عن هذِه الخرافاتِ التي لا يرضاها لنا الله ولا رسولُه ولا الأئمةُ الأطهار (عليهم السلام) ولا إمامُ العَصْرِ ـ بقيّة الله ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف .

المحاضرة الخامسة :-

الفصل الثاني

٥ ـ ضخامة الجهاز التأثيثي
٦ ـ المسكن
٧ ـ التفاخر
● البخل
● الخلاصة

٥ ـ ضخامة الجهاز التأثيثي :

الخرافة (العقبة) الخامسة الموجودة خاصة في الزواج المتعارف في عصرنا الحاضر هي ضخامة الجِهاز التأثيثي الناشئة من التفاخرِ ، وهذه الحالة التَّرَفِيَّةُ مخالِفةٌ للشرع .

فتاةٌ يبلغُ عمرها الثلاثين عاماً دون أن تستطيع أن تتزوّج ، لأنها لا تستطيع تهيئةَ الجِهاز التأثيثي الذي هيئته بنتُ الجيران !![1] .

والدٌ يرى ابنته قد كَبُرت والخاطبونَ يأتون واحداً بعدَ الآخر ، وهو يتعذّر رافضاً بكونِه يعلم أنه لو وافق ، لوجبَ عليهِ عُرْفاً أن يُهيِّئ الجِهازَ التأثيثي بمستواه المتعارفِ الآن ـ بحدِّه الأدنى ـ فضلاً عن المقدارِ الضخمِ القاصمِ للظهر !! .

الجهاز التأثيثي هنا أمرٌ واجبٌ ، ولكن بأي شكل ؟! .

الجواب هو الجهاز الذي على نمط ما أعطاهُ الرسولُ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) للزهراءِ البتولِ (عليها السلام) وهذا يجب على الشخص تهيئته ، فإنْ لم يستطِعْ وجبتْ تهيئتُه على الحاكم الإسلامي ، فإن لم يستطع وجب على

---

(١) من المتعارف في إيران وعدد من البلدان الأخرى أن تقوم عائلة الفتاة بتهيئة الجزء الأكبر من وسائل بيت الزوجية .

الناسِ كافة ، لأنّه من ضروراتِ المعيشة .

عندما تقرر تزويج الزهراء (سلام الله عليها) أرسل والدُها (صلواتُ الله عليه) رجلين وامرأةً إلى السـوقِ ـ لإعدادِ الجِهـاز التأثيثي فـاشتروا سبـع عَشْرة مادّةً بلغتِ قيمتُها ثلاثةً وستّينَ درهمـاً وهو العملة المتـداولة في ذلـك الزمـان ، وشملت خماراً واحِداً وليس عـدة عباءات من التي نجهـز بها نحن من الأقمشـة الغالية التي تُسيءُ لشخصيةِ المرأةِ ، حيث يجسد تقاطيع بدنها ، بل كان خماراً عادياً مثل «المقنعة »، وقميصاً (ثوباً) وهبتْهُ الزهراء لفقير، وذهبت بنفس القميصِ القديم الذي كانت ترتديه في النهارِ إلى بيتِ زوجِها ، وعنـدما سـألها أبـوها ـ في صبـح عرسِهـا ـ عن القميصِ ، أخبرتْـهُ أنها أنفقتْـهُ في سبيل الله ، فسألها عن سرِّ عدم تصدُّقِها بالقميصِ القديمِ ، أشـارت إلى قولـه ـ تعالى ـ : ﴿ قُلْ لَنْ تنالُوا البِرَّ حتّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾(٢) .

واشتمل جِهازُهـا على جلدِ كبشٍ للجلوس عليه وفـراشينِ حشوُ أحـدِهما لِيفٌ وسقاءٍ طِينيٌّ للماءِ وقعبٍ طينيٍّ للَّبنِ .

وعندما نظر (صلّى الله عليه وآلـه) لهذا الجهـاز انهمرت من عينِـه دموع الشوق ـ وطلب من الجميعِ ولا سيَّما السيدات أن يتأمَّلن في أمرِ هذا الجِهاز ، الذي دعا الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآلـه) وبعد أن رآه الله ـ عـزّ وجلَّ ـ أن يبارك به فأغلبه من الطين وكان بمقـدار المعيشة الضـرورية للسيـدة الزهـراء (عليها السلام)(٣)

---

(٢) الحادثة تجدها في كتاب رياحين الشريعة ج ١ ص ١٠٦ باختلاف يسير والآية الكـريمة هي من سورة آل عمران /٩٢ .

(٣) كتاب العوالم ج ٦ الخـاص بالـزهراء ص ١٧٤ وفيـه : « فلما نـظر إليه (الجهـاز) بكى وجرت دموعه ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : « اللهم بارك لقومٍ جُلُّ آنيتهم الخزف » وحديث التزويج طويل ينقله البحراني في العوالم نقلاً عن « كشف الغمّة » ج ١ ص ٣٧٠ وهو مروي في البحـار أيضاً ج ٤٣ ص ١٣٤ .

إذن فالجهاز ضروريٌّ ، ولكن بمِقدار الضرورة ، فكيف نتعامل مع هذه الخرافات وهذا التفاخر الذي يجعل والدة العروس تشعر وكأنّها في الليلة الأولى من إدخالها القبر إذا لم يكن الجهاز ضخماً متكاملاً فهي تفكِّرُ بالضجيجِ الذي ستُثيره أُمُّ الزوجِ .

وقد يصل الحال ـ مع الأسفِ ـ إلى حدِّ القيام بتصرّفاتٍ مخجلةٍ ، كأنْ تَتِمَّ إعادةُ الجِهازِ وعدم قبوله ، وبذلك يتّضح أنّ هذه العقبة الخرافية تمنع ذهابَ العروسِ إلى بيت زوجِها وتُعِيقُ الزواج .

أيها السيد المتحضِّر الثري إذا أردت تقديم هذا الجهاز فافعل ولكن لا تُصِر على هذِه الخرافاتِ والبِدَعِ ، فقبلاً لم يكن متعارفاً تقديم مُجمِّدةٍ و« موبليا » فجاءَ ثَرِيٌّ أحمقُ ، وابتدعَ تقديمَ ذلِك ضِمْنَ الجِهازِ ، وتلاه أحمقُ آخرُ فأضاف سجّاداتٍ ثمينةً إليه ، وهكذا .

فتعالوا للقيام ـ في سبيل الله ـ وكحدٍّ أدنى بما من شأنه أن يحدَّ من اتّساع هذِهِ النارِ المحرقة ومن ترويج هذِهِ البِدعة .

أنا لا أقول : ـ لا تقدّم شيئاً لابنتِك ، فإن كنتَ ثرياً ، فسجِّلْ باسمِها ـ إن شئت ـ ملك بيت عندما تذهب إلى بيت زوجِها ، ولكن دون أن يعرف أحدٌ أعطِها كلَّ ما تملِكُ .

ولكن لا تفعلْ ذلِك (بحيث يتحوّل الأمرُ إلى عرف) فلا يستطيعُ الفقيرُ القيام بهِ ، فتبقى ابنتهُ في بيتهِ ، فهذِهِ عقبة خرافية مخالفة للشرع ، ولن يباركها الله .

فهل تتصوّرون أنَّ الله يبارك مثلَ هذا الزواج ومثلَ هذا الجِهاز ؟ .

لا فعادة لا يكون فيها خيرٌ وبركة خاصة إذا كانت العروس بخيلةً ، فتمنع زوجها من التصرُّفِ أصلاً في جِهازِها وأثاثِها ، حتى ثلاجتها .

وإذا فعل . ارتفع صُراخُها وكأن جهازها يجب أن يصير تحفةً أثرية تبقى

قرناً وقرنين !! .

وعلى الزوج أن يستعمل الأوعية القديمة !! .

٦ ـ المسكن : ـ

وهو يشكل العقبة الخرافية (المبتدعة) السادسة وقد وصل وضعنا العملي درجةً أصبح معها حتى القرويّونَ يرفضون الحياةَ المشتركة ، بمعنى أنّ والدة الزوج ترفض العيش مع العروس ، وهذه ترفض العيش مع أُمِّ زوجِها ، وتطلب بيتاً مستقلاً ، ولو مُستأجَراً .

وهذه من المشاكل الكبيرة المانعة لزواج الشباب ، فمرتب الشابّ لا يكفي للمصارف اليومية فكيف يمكنه دفع إيجار المنزل والعروسُ ترفِضُ الزواجَ إلاّ في منزلٍ مستقِلٍّ ، وأصبحَ الحالُ أنَّ السؤالَ الأولَ الذي يوجَّه للخاطبِ حول امتلاكِه لمنزلٍ مستقل ، فلا يسألون عن تديُّنِهِ وأخلاقِه على الرغم من أن امتلاكِه الدار وفقدانه للدِّين والأخلاق يجعل داره سِجناً لزوجتِه ، أي : كأنّهم أول ما يسألون عنه هو : ـ هل لديك سِجْنٌ ؟ .

في السابق لم تكن هذه المشكلة الصعبة مطروحة ؛ فكان الأب والأم مع أبنائهم الأربعة المتزوِّجينَ في دارٍ واحدةٍ ذاتِ خمسِ غرف يسكن الأب وزوجتُه في غرفةٍ وكلُّ واحدٍ مِن الأبناء مع زوجته في غرفة والجميع يعيشون في رفاهيةٍ وهناء .

أمّا الآنَ ، فقد أصبح أمر المسكن مشكلةً صعبةً ، لأنَّ الناسَ أصبحوا ميالين للدعة والراحة ، وهذه هي إحدى مشاكل إيران .

ينقل أحد كبارُ علماء إصفهانَ : « جاءَني شابٌّ وقال لي : إنّ أُمّه وأباه يرفِضان تزويجَه وهما يكنّان الاحترامَ لي وطلب أن أزورَهُما وأتحدَّث معهما لكي يزوّجاه ، فذهبتُ صباحَ أحدِ الأيام إلى منزلِهم فعبَّرا عن بالغِ الاحترام لي وهما في عجب من زيارتي لهما .

وبعـد تناول طعـام الإفطارِ ألقيتُ محـاضرةً كـاملةً استمرّتْ سـاعـةً على الوالدةِ وقلتُ وقلتُ عن أهميَّة الزواجِ .

وإذ انتهيتُ أجابتني بكلمةٍ واحدةٍ فقط ، هي : ـ مولانا إنّني مادمتُ على قيدِ الحياةِ ، فلا يمكن إدخال كَنَّةٍ (زوجة ابن) إلى بيتي !! .

وعندها ـ يضيف هذا العالم ـ خاطبتُ الشابَّ قـائلاً : ـ إذن فـادْعُ للوالدةِ بالموتِ !! » .

أجلْ لقد وصل الحالُ درجةَ رَفْضِ الوالـدةِ قبولَ عـروسِ ابنِها ، وهكـذا حالُ العروسِ على الطرف الآخر .

وإحدى المشاكل الأخرى هي قضية « إكمال الدراسة » للشاب والشابّة ، ولا سيّما للشابِّ :

الشـاعر الفـردوسي في القِصَّة التي كتبهـا يذكـر أنَّ رستم ـ بـطل القصـة الأسـطوري ـ لم يصل إلى هـدفِه إلّا بعـد أن تجاوزَ العقبـاتِ السَّبْعَ حيث قتـل العفريتَ الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث .

ولكن إذ تجاوز الشاب ـ اليـوم ـ العقبات السبـعَ التي ذكرتُهـا واحدةً بعـدَ الأُخرى وجاءت عروسه إلى بيت الزوجية فهل تنتهي مشاكله ؟! كلا .

٧ ـ التفاخــر !!

يبدأُ أولاً قتالٌ فرديٌ ونزاعٌ بين الزوج والزوجة ، وهو نزاعٌ تسبّبُهُ المعيشـةُ التفاخريَّةُ التي تُولِّدُ بطبيعتِها النزاعَ ولو درسنا الاختلافاتِ التي تقع بين الأزواجِ والزوجاتِ لوجدنـا أن (٨٠٪) منها تـرجع إلى ذاك الـطراز التفاخـري والحالـة الترفية في المعيشة ، فمثلاً عندما تـأتي الفتاة إلى بيت زوجهـا تلبس بدلـةً ، ثم ثانية ، ثم تطلب بدلةً ثالثة ، أي : أنَّها ترفض ارتداءَ نفسِ البـدلةِ في أكثـرَ مِن محفِلٍ واحدٍ ، ولأنَّ الزوجَ لا يستطيع الاستجابَة لذلك ، يبدأُ النزاعُ من هنا .

فالزوج يقول : كان المفروض أن يعطيك أبوك ذلك ، فتردّ عليه : لا لقد أدّى أبي ما عليهِ ، والآنَ عليكَ أنتَ أن تدفع ، فتبدأ من الشهرِ الأولِ طلبات الألبسة وطلبات الحلي الذهبية منذ العام الأول ، فيقع الاختِلافُ ، ويصل الأمرُ شيئاً فشيئاً إلى أن تطلب منه مهرَها لكي تشتري ألبسةً وذهباً ، وتقول له : إنّ مهري هو حقي ، ويجب أن تُعطيَني إيّاهُ ، لكي أعيشَ حياةً مترفةً !! .

ولا تتصوروا أن الأمر ينتهي حتى إذا حصلت على ما تريدُ وتجاوزت « العقبات السبع » .

لا ، فإذا كان « رستم » قد وصل بعد أن عبرها إلى مقصودِه ، فنحن إنّما نصل إلى بدايةِ الاختلافِ ومعاناة « ماذا أفعل » ؟ .

نعم لقد وصل الحال بنا إلى حيث أن الرجل عندما يتزوّج يرى أنه قد سقط في فخّ كبير ونفس الشيء تقوله المرأة !! .

إن ما تحدّثنا عنه أمسِ واليومَ هي أمراضٌ اجتماعية وغدد متعفّنة تشكّل سَرَطاناً يُدمِّر المجتمع .

أمّا علاجها ، فهو يسير ، إنَّهُ آيةٌ قرآنيةٌ لو عمِل بها مجتمع المسلمين ، لزَالتْ كلُّ هذِه الأمراضِ والعقباتِ ، ولزال هذا النزاع الفردي مع العقبات الخرافية الستِّ الأولى التي ذكرتُها ، ولانتهت مشكلةُ الأُميَّةِ ، وهي مشكلة أساسية ؛ يقول القرآن الكريم في وصف المؤمنين : ﴿ **وعِبادُ الرحمنِ الذِينَ يَمْشُونَ على الأرضِ هَوناً وإذا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالوا سَلاما * والذينَ يَبِيتُون لِرَبِّهِم سُجَّداً وقِياماً والذينَ يقولون : ربَّنا اصرِفْ عنَّا عذابَ جهنَّمَ إنَّ عذابَها كانَ غراماً إنَّها ساءَتْ مستقرّاً ومُقاماً * والذين إذا أنفقوا لم يُسرِفُوا ولم يَقْتُرُوا وكانَ بين ذلك قَواما** ﴾(٤) .

---

(٤) سورة الفرقان / ٦٣ ـ ٦٧ .

فالمؤمنُ لا يسرف في إنفاقِه ، ولا يدخل في (مسابقة) التفاخر بالإنفاق ، فمعيشته ليس فيها تجمّل ترفي ، لكنه في نفس الوقت ليس بخيلاً بل يلتزم الاعتدال : ـ﴿ وكان بين ذلك قَواماً ﴾ .

فلو اجتنبَ الإنسان فكرةَ المعيشةِ المُترَفَةِ والتفاخر بها ، وعاش ببساطةٍ لزالت العقبات الخرافية ولاستطاع الشابّ التزوّج ومواصلة دراسته الجامعية في نفس الوقت .

وما تراه من عدم قدرة الشابّ حالياً على الجمع بين ذلك ناشىءٌ من كونِ المجتمعِ قد تم تقيِّيدُهُ بتلكَ العقباتِ الخرافيَّةِ وبحياةِ التفاخُرِ بالترف التي يعتبرها القرآن إفراطاً .

وإلّا لاستطاعَ مواصلةَ دراستِه الجامعيّة بصورةٍ جَّيدةٍ وإدارة مصارفِه الزوجيّة بصورة جيّدة أيضاً .

● البخـــل :

الإسلام نهى الإنسان عن البخل في الإنفاق ، وذمَّ البخيلَ بشدَّةٍ، قال تعالى : ﴿ ولا يَحْسَبَنَّ الذينَ يَبخلون بما آتاهُمُ الله من فضلِه هو خيراً لهم بل هو شرٌ لهم سيُطوَّقُون ما بَخِلُوا بِهِ يومَ القِيامةِ ولله مِيراثُ السَّمواتِ والأرض والله بما تعملون خبيرٌ ﴾(٥) .

وعليه ، فلا يتصور ـ الذين لا ينفقون أموالهم في التوسعة على عيالهم وجعلِهم في رفاهِيَة ـ أنّ ما يقومون بهِ هو عملٌ جيِّدٌ ، بل على العكس ، فالقرآنُ يحذّرهم من أنّ أموالهم ستتحول يوم القيامة إلى طوقٍ من نارٍ يُحيط بأعناقِهم ، ويدخلون المحشر بهذِه العلامةِ الفاضِحة .

فالقرآن يعتبر البُخلَ عملاً سيِّئاً ، وينهى المستطيعَ عن التضييقِ على

---

(٥) سورة آل عمران / ١٨٠ .

زوجتِه وأطفالِه في الإنفاق ، وينهى عن أنْ يلهَجَ لِسانُ الإنسانِ بكلمةِ (لا أملِك) يصفع بها زوجتَه أو أطفالَه كلّما طَلَبُوا منه شيئاً ، حتى إنَّهُ لو سألُوهُ هل لديك إيمانٌ لأجابَ : « لا أملِك » التي اعتادها لسانُه !! .

ولو لم تكن لدينا ـ آيةٌ أو حديثٌ شريفٌ ينهى عن البخلِ ـ غير هذه الآيةِ الكريمة ، لكفتنا في أن نجتهد لاجتِنابِ البخلِ في حياتِنا ـ في البيتِ ومع المجتمع ـ وأن نهتمَّ بالإحسانِ للآخَرين ، فعارٌ علينا عظيم أن نَرِدَ المحشر يوم القيامة مُطَوَّقِينَ بِطَوقٍ من نارِ مشكلته أموالنا .

ومثلما أنَّ البخل انحرافٌ ، كذلك حال الإسرافِ أي : الحياة المترفة والتفاخر بها وبالمظاهر ، فالقرآن يعتبر ذلك سبباً لفساد المجتمع ودماره : يقول ـ تعالى ـ ﴿ **وإذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قريةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فيها فَحَقَّ عليها القولُ فدمَّرناها تَدْمِيرا** ﴾(٦) .

ولا تتوهَّمُوا أنَّ دمارَ المجتمعِ المُترَف يكونُ بزلزالٍ مُدمِّرٍ ، بل إنَّ هذه الحياةَ التَّرَفِيَّةَ الزاهيةَ بالمظاهرِ التي انجرَّ لها عالَمُ اليومِ بهذا التفاخرِ بالمظاهرِ ، هي أشدُّ تَدْميرا مِنْ أَخْطرِ زِلزالٍ وأصعبُ من كل مشكلةٍ ؛ فأقسِمُ عليكم بالله أن تتفكَّروا في : ـ أيٌّ من تلك العقباتِ الخرافية التي تحدَّثنا عنها أقل تدميراً مِنَ الزلازلِ وصواريخ صدَّامٍ .

يُشير القرآنُ الكريمُ إلى أنَّ التفاخُرَ بالمعيشةِ المُتَرفةِ يقود الإنسان إلى السقوط في كبائرِ الذنوب ، يقول ـ تعالى ـ : ﴿ **وأصحابُ الشمالِ ما أصحابُ الشمالِ * في سَمومٍ وحَميم * وظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لا باردٍ ولا كريمٍ * إنَّهم كانُوا قبلَ ذلِكَ مُتْرَفِين * وكانُوا يُصِرُّونَ على الحِنْثِ العَظِيم** ﴾(٧) .

فالآياتُ الكريمةُ تُشِيرُ إلى أنَّ إتراف المترفين يدفعهم إلى الوقوعِ في

---

(٦) سورة الإسراء / ١٦ .

(٧) سورة الواقعة / ٤١ ـ ٤٦ .

الـذنبِ العظيمِ ، كمـا أنَّ القرآن يؤكـد أنَّ المُتْرَفين هم الـذين يعرقلون حـركـةَ الأنبياءِ ، لأنَّهُم يرون في الأهدافِ النبويةِ تهديـداً لترفهم يقـول تعالى : ﴿ ومـا أرسَلْنا في قريةٍ مِنْ نَذيرٍ إلاّ قالَ مُتْرَفُوها إنّا بما أُرْسِلْتُم بِهِ كافرون ﴾[٨] .

فلو لم يكن هناك تحذير من الحياةِ الترفيةِ التفـاخريّـة والإسراف والتبـذير سوى هذه الآية الكريمة لكفت في دفعنا لاجتنابِ الإسراف والتبذير والتفاخُرِ في حياتِنا .

يُنْقَلُ في كِتابِ « معراج السعادة » أنَّ رجُلاً بَلَغَ بهِ البخل أنَّه وَضَعَ مقداراً مِنَ اللبنِ المخمَّر في زُجاجةٍ كانَ يضعها وسط السفرةِ ، ويقول لعيالِه : امسَحُوا الخبزَ بالزُّجاجةِ ، وكلوا خُبزاً ولبناً . وذهب يوماً في سَفَرٍ ، فوضع الزجاجـةَ في مكـانٍ وأقفَلَهُ ، وعنـدمـا رأى الأطفـالَ أن أبـاهم تـأخَّـر أخـذوا بمَسْـحِ الخبـزِ بـالقُفْـلِ ، وشـرعـوا بـأكلِه ، فـدخـل عليهم أبـوهم وشـاهـدهم يفعلون ذلـك فَضَـرَبهُم ، ونهـرهم قـائـلاً : ـ ألم تستـطيعـوا أكْـلَ الخبـزِ وَحْـدَهُ ولا ليـومٍ واحد !! .

أجل هذا ما يوصل له البخـل والبخيل حقيـر جداً حيث يُحـرم نفسَه حتى النوم والراحة .

إذن ما هو حدّ المعيشة المريحة ؟! .

الجـواب هو أنهـا التي يستطيـع فيها الإنسـان الحصول على حـاجتـه من الطعام والمسكن والملبس وبالمقدار الكافي .

يُروى أنّ الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) كان يسيرُ مـع أصحابـه ، فالتَقَوا براعٍ وطلَبُوا مِنه شيئاً من اللبنِ ، فأبى ، فدعا له الرسولُ ربَّهُ أنْ يرزقَهُ ما لا يستطيع عَدَّهُ مِنَ الأموالِ !! .

---

(٨) سورة سبأ / ٣٤ .

ثمّ ساروا حتى التقوا راعياً آخَرَ ، فطلبوا منهُ شيئاً مِنَ اللبنِ ، فأعطاهُم ما أرادوا بكثيرٍ من التوقيرِ والتكريم ، فدعا رسولُ الله له بالكَفافِ !!

فتعجَّب الأصحابُ ، واستفسروا منه (صلّى الله عليه وآله) عن سِرِّ الدُّعاءِ للأَوَّلِ بأفضل مِمّا دعا بِهِ للثاني فأوضح لهم الرسولُ أَنَّ الدُّعاءَ الأَوَّلَ كان طلباً بإنزالِ المشقَّةِ لا أكثر !![9] .

فالذي يجعلُ الحياةَ مريحةً للإنسانِ هي المعيشةُ البسيطةُ المُرَفَّهةُ الخاليةُ مِن الغلِّ (القيود) والغِشّ والمشاكل .

وهذه المعيشة لا تُضْعِفُ أَعصابَ الزوجةِ والزوجِ وهي الحياةُ المرفَّهةُ بالإنفاقِ ، وليستِ الحياةَ التَّرَفِيَّةَ التي تدُقُّ أعناقَ الرجالِ ، وتسترقهم كما يُبَيِّن أميرُ المؤمنين (عليه السلام) .

● خلاصة البحث :

وخلاصة كلامِنا هي أن الواجبَ علينا القيام بثورة وإيجاد تحوّلٍ في حياتنا ، والقيام بإعادةِ إِعمارِ البناءِ الأخلاقي .

ومن هنا تبدأ الخطوة الأولى أي : من موضوعِ الزواجِ ، فعلينا أن نسحقَ تلك العقباتِ الخُرافيَّةَ الواحدةَ بعدَ الأخرى ، لتكون حياتنا كريمةً ، وليستْ مُتْرَفةً .

فالمسلِمُ (الحقيقي) يسعده أن يجعل أربعةَ أو خمسةَ أو ستةَ أشخاص أصحاب مسكن فيوفر بذلك بمقدار سعتِه معيشة متوسّطة للآخرين إضافةً إليهِ نفسه .

أيّها السيّد وأيّتها السيّدة ، إنّ لنا احتياجات معنوية روحيّة مثلما لنا احتياجات ماديّة .

---

(٩) راجع سفينة البحار ج ٢ ص ٤٨٥ .

فمن الجهة المادية يجب علينا توفير احتياجاتنا البدنيّـة ، فيجب أن تكون لنا حياةٌ مرفّهة ، ولكنّ الأهم والأسمى توفيرُ احتيـاجاتِنـا الروحيـة ، وهذا مـا لا يتحقّق بامتلاك طعامٍ جَيِّدٍ ومسكنٍ جيِّدٍ وزوجٍ أو زوجةٍ جيّدةٍ ، بل احتيـاجاتنـا الروحية يتم توفيرها ـ مثلاً ـ بقيامنا بنصرةِ مظلومٍ أو معونةِ فقيرٍ أو القيام بتزويجِ فتاةٍ أو شابٍّ مرةً واحدة ـ في الأقلّ في كلّ عـامٍ مثلما كـان يفعل أميـر المؤمنين والزهراء (عليهما السلام) الزهراء المرضية كـانت عباءَتهـا مرقّعـة لكنها وهبت الكثير من العباءاتِ للآخَرينَ ، والمولى أمير المؤمنين كان ملبَسُه مـرقعاً ، لكنّـه كـان يُنْفِق الكثير من المـلابس للآخـرين وكان ينفق على تـزويـج الكثيـرين مِن الفتياتِ والفِتيان .

والـزهراء كـانت تملك « فدكـاً » وقَميصُها كـان من قماش « الكـرباس » وعباءَتُها مرقّعة !! .

زار أحد التجّار وزوجتُه المرحـومَ آيةَ الله الصـدرَ[١٠] فذهبت زوجتُـه إلى القسمِ الداخِلي من بيتِ المرحوم الصدر ، فيما ذهب هو إلى القسمِ الخارِجيّ حيث كانَ محل عمل المرحوم الصدر ؛ عندما طـرقت زوجتُه البـابَ فتحتْهُ لهـا السيِّدةُ زوجةُ الصَّدْر ، فرأت ملابِسَها رخيصـةً جِدّاً ، فتصـوَّرتْ أنّها خـادمةٌ في المنزِل ، فسألَتْها : أين سيدتُك فإني أريدها هي ؟! .

فخجِلت زوجته أنْ تقولَ : إنّها هي سَيِّدةُ الـدار ، فقالت لهـا : إنَّها غيـرُ موجودة !!

وعندما جاء المرحوم الصدر ـ رضـوان الله عليه ـ إلى منـزِلِه لاحظَ الأذى بادِياً بِشدّة على زوجتِه ، فسألها عن ذلـك ، فأجـابته أن زوجـةَ التاجـرِ توهَّمتهـا خادمةً ، فسألتها عن سيِّدةِ الدار ، فردَّتْ بأنها ليست موجودةً .

---

(١٠) أحد كبار علماء قم ومراجعها عند ورود آية الله البروجردي إليها .

فقال المرحومُ كلِمةً سامِيةً للغـايةِ هي كلِمـةُ مَرْجِـعٍ للتقليدِ ، قـال لها : ـ صدقتِ لأنَّك لَسْتِ سَيِّدةً ، فالسيِّـدةُ هي تلكَ التي كانت في عبـاءَتِها رُقعتـانِ و« فَدَكُها » كانَتْ لِلفُقراءِ والضعفاءِ والمساكين .

وما أبلغ ما قال ! .

إنَّ الرجلَ (الحق) ليس الذي تكون له حياة التفاخُرِ بالمظاهرِ المُترفـةِ ، بل الذي يُعِينُ مِسكيناً عفيفاً فيؤدِّي عنه دَينَه .

وإن السيدةَ ليست تلك التي ترتدي لكل مجلس بـدلة خـاصَّة تبـدلها في المجلسِ الآخرِ وهكذا ، وليست التي ترتدي « مُلاءَةَ الشيرمن »[١١] (المجسِّد لِتقاطِيعِ بدنها) ، فهذا يُسيءُ إلى شخصيتِها إسـاءةً توجِّهُهـا بنفسِها ؛ إذن فمن هي « السيدة » ؟! .

إنَّهـا تِلك التي تستبدل « مُـلاءَةَ الشيرمن » بـأربـعٍ أو خمسٍ أو سِتٍّ من النوع الذي يكون حجاباً حقيقياً) وتأخذ واحدةً لها وتوزِّع البقيةَ بينَ المسكيناتِ اللآتي ما زلنَ في المنزلِ ، ولا يمتلكن مُلاءَةً ، لِيذهبنَ إلى منزِل الزوجيَّة .

إنّني أدعوكم للتفكيرِ قليلاً في هذا المـوضوع ، سعيـاً لرضـا الله وصالـح أطفالِكم ولأجل أن تكونَ عاقبتُكم حُسنى ، ولأجل إسلامِكم ورضا إمام زمانِكم ـ عجل الله تعالى فرجَه ـ .

لا تَقُلْ إنَّ مُستوى هذا البحث هابِطٌ ، بل عالٍ جِدّاً ولكن ماذا أفعل :

إذا كان السمع سمعـكَ والنحيبُ نحيبي
فبـديهي أن الشكـوى لن يـسمـعَهـا أحدٌ[١٢]

---

(١١) الشـادور اسم إيـراني يـطلق على لبـاس تتحجب بـه النسـوة يشبـه العبـاءة بعض الشيء ، والـ « شيرمن » نوع من القماش الغالي يستخدمه الأغنياء لصنع الشادور .

(١٢) ترجمة نثرية لبيت شعر بالفارسية .

اللهم . . إنـا نسألـكَ بحق « باب الحـوائج »[١٣] بحق الـذي آثر غـايـةَ الإيثارِ ، بِحقِّ الذِي امتنع (وهو ظـامئٌ) عن شُرْبِ المـاءِ ذاكِراً لِعـطش عِيالِ أبي عبدِ الله الحسين ؛ نسألك بحقِّه أن تتلطّفَ علينا جميعاً بنعمـةِ امتلاكِ صِفَـةِ التضحيةِ والفِداءِ والإيثار .

(١٣) يُطلق هذا الوصف على عدد من عظماء أهـل البيت والمقصود هنـا هو أبي الفضـل العباس بن أمير المؤمنين (عليهما السلام) .

المحاضرة السادسة :-

الفصل الثالث

- قدسية البيت
- الخدمة في المنزل
- تأثير المال الحرام

● قدسية البيت :

بحثنا هو عن أخلاقِ الأُسْرَةِ والفصل الثالث منه يدور حول قدسية البيتِ ، فالقرآنُ وروايـاتُ أهلِ البيتِ (عليهم السلام) تُفيدُ أنَّ البيتَ الذي تحكم فيهِ المودّة وروح الخدمة المتقابلة وتعطِّره الصلاةُ والصيامُ وذكرُ الله وتلاوة القرآن والدعاء والمناجاة والتضرع لله ، هو بيت معظَّم عندَ الله .

وقد أراد ربُّ العالمين أن ترفع مثل هذه البيوت وتكون معظَّمةً ومباركة تشع بالنور لأهل السماء مثلما تشع نجوم السماءِ بالنور لنا .

وعلى العكْسِ نفهم مِن القرآنِ وروايات أهل البيت أنّ البيوت التي تسود فيها العدواة وانعدام الانسجام ، وتخلو من الصلاة وتلاوة القرآن والدعاء وتُرتكب فيها الذنوب هي بيوت مظلمة غير مباركةٍ ،وتتردَّد عليها الشياطِينُ ، وتبغضها الملائكةُ ؛ يقول ـ تعالى ـ ﴿ **في بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَنْ تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فيها اسْمُه** ﴾(1) .

إذن فالقرآن يؤكّد أنَّ البيوت التي أراد الله تعظيمها ورفعها معنوياً ـ هي التي يُذكر فيها الله ويُسبّح ويقيم فيها الذاكرون لله والمقيمون للصلاةِ والمؤتون للزكاة ، فهي معظّمة عندَ اللهِ وعند أهل عالم الملكوت والملائكة ، فهي

---

(1) سورة النور / ٣٦ .

الخالية من المعاصي ، لأنَّ سكنتها يخافون الله .

ولهذه الآيةِ الكريمةِ ظاهرٌ معناه ـ كما قدَّمتُ ـ هو أنَّ رب العالمين يؤكد أنّ هذه البيوت مقدّسةٌ مثلما هو حال المسجد والمدرسة . وسِرُّ تقديسها هو أنّ أهلها مقدسون وفيها ذكر الله وإقامة الصلاة والصيام ، ولكونِها تخلو من المعاصي والاختلاف والنزاعِ والتكتلات المتباغضة .

هذا ظاهِرُ الآيةِ ، ولها تأويلٌ ورد عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) هو أن مقصودها أفرادٌ مقدّسون . فالإمامُ الصادقُ (عليه السلام) يوضح أنّ معنى «البيوت» هنا، ليست تلك المبنية بالحجارة والطين بل معناها الأبدان المقدسة للمؤمنين الكاملين كالرسول الأكرم والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) .

دخل قتادة في محضر الإمام الباقر (عليه السلام) فأخذته هيبة الإمام ، فأخبر الإمامُ أنه (قتادة) قد التقى كثيراً من العلماء وحادثهم لكنه لم يُصَبْ بالاضطرابِ الذي أصابَه في مَحضَرِ الإمام ، فعرفه الإمامُ بطبيعةِ المحضَر قائلاً : ـ « أنت بين يدي بيوتٍ أذن الله أن تُرفع ويُذكَرَ فيها اسمُه يُسبِّح له فيها بالغُدُوِّ والآصالِ رِجالٌ لا تُلْهِيهِم تِجارةٌ ولاَ بَيْعٌ عن ذِكْرِ الله »[٢] .

وهذا المعنى الثاني هو تأويلٌ أي : المعنى الذي لا نعرفه نحن بل يوضحه لنا الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وهم مفسرو القرآن؛ فللقرآن ظاهِرٌ هو حُجّةٌ على الجميعِ وله باطِنٌ ينتفع ويستفيدُ منه كل شخصٍ بحسبِ سَعَتِه وقابليته .

وملخص الكلام هنا هو أن الآية الكريمة ؛ تُبيِّنُ أنَّ البيت الذي يخلو من النزاع وتسود فيه الخدمة المتبادلة ، فالزوجة تخدم فيه لأن زوجها مسلم ، وينبغي أن يكون في رفاهية والرجل يخدم زوجته وأطفاله لأنهم مسلمون وينبغي أن يكونوا في رفاهية وراحة .

---

(٢) الحادثة مروية في الكافي (الفروع) ج ٦ ص ٢٥٦ وكذلك في بحار الأنوار ج ٦٤ ص ٣٢٧ .

هذا البيت مقدّسٌ عندَ الملائكة ، وهو نموذج البيوت التي يرضاها الله ، ولذلك كانت مقدسة في الإسلام وفي عالَمِ الملكوتِ على النقيض من البيوتِ التي يسودُها الاختلاف وعدم الانسجام بين الزوج والزوجة وصدور الكلمات الجارحة منهما .

فهذه بيوتٌ تحكم الآية الكريمة بعدم قدسيتها وتؤكدُ روايات أهل البيت أنها غير مباركة ، وأنها بيوت الشياطين الذين يتردّدون عليها ، فأصحابُها لا يقيمون الصلاة، ويهجرون القرآن والدعاء والمناجاة ولا يخشون الله والقيامة وتُرتكب فيها المعاصي لذلك يسود فيها الاضطراب والهلع ويتردد عليها الشياطين وليس الملائكة، فهي مظلمة كما تؤكد ذلك الآياتُ والرواياتُ الشريفة .

ينقل المرحوم الكليني في كتاب الكافي باب فضل القرآن عدة أحاديث بهذا الخصوص عن النبي الأكرم والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) منها ما رواه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : -

« إنَّ البيتَ الذي يُقرأُ فيهِ القرآنُ ويُذكَرُ الله - عزَّ وجلَّ - فيهِ تكْثُرُ بركتُهُ ، وتحضره الملائكة ، وتهجُرُهُ الشياطين ، ويُضيءُ لأهلِ السماءِ كما تُضيءُ الكواكِبُ لأهلِ الأرض ، وإنّ البيت الذي لا يُقرأُ فيه القرآنُ ، ولا يُذكر الله - عزّ وجلّ - فيهِ تقِلُّ بركتُهُ وتَهْجُرُه الملائكةُ ، وتحضُرُه الشياطِينُ » .

فالبيت الذي يُتلى فيه القرآنُ ، ويحل ذِكر الله محل المعصية فيه هو بيت مبارك يربّي الإنسان الصالح ، ويكون المال فيه مباركاً ، وتحضره الملائكة وتهجرهُ الشياطين لأنَّها لا تستطيع الحضور فيه .

أما البيت الذي يكون أهلُه غافلين عن الله ، وتقع فيه المعاصي ، فالشياطين حاضرون فيهِ ، والملائكة هاجرون له ، فهوعديم البركة ، والأطفال الذين يكبرون فيه غيرُ مباركين ، ومن الصعب جداً أنّ ينالوا السعادة وهذه الحقيقة تؤكدها علوم التربية ، فالبيتُ الذي يسود فيه النزاع لا يمكن أن يوفِّر

سوى الهلع والاضطراب والقلق لصاحبه والبؤس والأَسْرِ لأطفالِه ، فهو عديمُ البركة .

إنَّ البيتَ الذي تقع فيه المعاصي والنزاع يقتل القابليات والنشاط في الطفل ، ويجعله خاملاً ونفس الشيء يفعله مع الوالدين .

فهذِه الرواياتُ تقول لنا : ـ إذا أردت أن يكون بيتُك مقدساً ، فاجتهد ، لتكون الصلاة والصوم وذكر الله والدعاء والقرآن حيَّةً فيهِ .

وإذا أردت أن يكون مباركاً تشمل البركة مالك وأولادك وحياتك وعمرك ، فآحذَرْ أن يكون محلاًّ للمعصيةِ ، فالروايات الشريفة تؤكد أن المعصيةَ تفقده البركة وتحجزها عن العمر الذي يُقضى فيه وعن المال الذي يُصرف فيهِ وعن الأطفالِ الذين يكبُرون فيه ، وتحضره الشياطين وتهجره الملائكة .

وفي الحديث المتقدِّم هناك عبارة يجدر بنا جميعاً الاهتمام بها وهي قوله (عليه السلام) : « ويضيءُ لأهلِ السماء كما تضيءُ الكواكب لأهلِ الأرضِ » .

فالملائكة تنتفع وتأنس بضياء البيوت الخالية من المعصية العامرة بالصلاة والصيام والدعاء والقرآن .

وهناك رواية مشهورة تقول : ـ « لا تدخل الملائكة في بيتٍ فيهِ الكلب »(٣) .

ولها ثلاثة معانٍ :

الأول : هو الظاهر أي : أنَّ المقصودَ هو البيتَ الذي يكون فيهِ مَن يلعب بالكلب ويحتفظ به لذلك ، وليس للحراسةِ ، كما يفعل الغربيُّون والمتغرِّبون ، وهم يُحشَرون يومَ القيامةِ مع يزيدَ الذي كان يلعب بالكلاب

(٣) سفينة البحار ج ٢ ص ٤٨٦ .

والقـردة ، وعليه يكـون المقصـود أنّ البيتَ الـذي فيـه كـلاب اللعب لا تـدخله الملائكة ، وواضحٌ أنَّ هذا هو المعنى الظاهر للحديث .

وهناك معنى آخر يقدِّمُه « أهل القلب » ، وهو أنّ المقصود من البيت قلب الإنسان ، أي : أنّ البيت الذي تسود فيه الصفات الرذيلة لا يشع فيه نـور الله ، ولا يدخله إلهام المـلائكة ، فـإنّ لهم إلهاماً ، لكنّه مختصٌ بـأصحابِ القلوبِ النقيـة ، والملائكـة تدخـلُ القلبَ شريـطةَ أن لا يكون فيـه كلبٌ ولا وحشية ولا حسدٌ ولا أنانية . ولا عجب بالنفسِ ولا تكبُّر ، وهذا معنىً لطيفٌ للحديث .

والمعنى الثالث وهو المتعلِّق بموضوعِ بحثِنـا ؛ حيث يكون المقصـود أن المـلائكة لا تـدخل البيـوت التي يسودُ فيهـا الاختلاف ، وتتحـدَّثُ المرأة فيهـا بكلماتٍ جارحةٍ والرجل يتعامل بوحشية بمعنى أن روحَهُ مُتوحِّشة .

فهذِه محل الشياطين وليس الملائكة .

واحتمـالُ هـذا المعنى قـويٌ ، وقـد يكـون المـراد هـو المعنى الثـانيَ أو الثالثَ ، ولكنَّ الجمع مهمـا أمكن أولى من التركِ بِحَسَبِ اصـطلاحاتِنـا ـ نحن طلبةَ العلومِ الفقهيّة ـ .

وأعتقدُ أنّ بحث اليوم مهمّ . وفيه تحذير يجب علينا جميعاً الاهتمام به ، فويلٌ لنا إذا هجرتِ المـلائكةُ بيـوتَنا ، وأعـرضتْ يدُ الـرعايـة الإلهية عنّـا وعن بيوتنا ، وخلت هذه من فضلِ الله ورحمتِـه ؛ والويـلِ الأشد هـو لأطفالِنـا الذين يعيشون في مثلِ هذهِ البيوتِ ، فمن العسير جدّاً تربيتُهم تربيةً صحيحة .

إنّ ما يريده القرآن هو أن يكون بيتُ الزوجيةِ سكنـاً وطمأنينـة ، فالـزوجة سكنٌ للزوج وهو سكنٌ لها .

ولا ريب في أنَّ البيوت التي تقع فيها المعاصي ، ولا تنـزل فيها الـرحمة الإلهية ، والتي تحضُرهـا الشياطين ليست بيـوتَ سكنٍ وطمأنينـةٍ ، بل يسـودها هلع واضطرابٌ وقَلَقٌ ؛ يقول ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنيانَهُ عَلى تَقوىً مِنَ اللهِ ورِضوانٍ خَيرٌ أَمْ مَّنْ أَسَّسَ بُنيانَه على شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانهارَ بِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ واللهُ لا يهدِي القومَ الظالِمينَ ﴾(٤) .

في هذه الآية الكريمة تشبيه للمعقولِ بالمحسوس ، إذ أنَّ القرآنَ الكريمَ يُشبِهُ مَفْهُوماً معقولاً بأمْرٍ محسوسٍ من أجل إفهامنا به .

وهنا يطرح مثال إقامة بيت على أُسسٍ قويةٍ ، فإذا كانت جدرانها قويّةً جِداً ، فمن الطبيعي أن يكون السقف الذي يُقام عليها مُقاوِماً ثابتاً ، إذا أُقِيمَ هذا البيتُ على حافةِ وادٍ في طريقِ السُّيول فإنّ بقاءَهُ رَهينُ السيولِ والعواصفِ فإذا جاء سيلٌ أو عاصفةٌ انهارَ البيتُ إلى قعرِ الوادي .

والقرآن يوضح هنا أن بيوتكم إذا قامت على أُسسِ التقوى ، أي : سادت فيها التقوى والألفةُ والمودَّةُ والصلاةُ والصومُ والقرآنُ وذكر الله ومناجاته والارتباط به ـ تعالى ـ وخلتْ مِنَ المعاصِي ، وكنتُم فيها مِمَّنْ يصفهم القرآنُ الكريم : ـ **﴿ يَخافون يوماً تتقلَّبُ فيهِ القلوبُ والأَبصارُ ﴾**(٥) .

وكانت خشية الله حاكمةً فيها ، فهذه البيوتُ منيعة ويتربّى فيها الأطفالُ بصورةٍ سليمة ، وتكون الحياةُ فيها مباركةً تنعم برحمة الله وفضله .

أمّا البيتُ الذي لا تقوى فيه ، فهو مثل البيت المقام على حافة الوادي المعرض للسيول .

وهكذا فالحياة المنقطعة عن الله تنهار بعاصفةٍ واحدةٍ إلى جَهَنَّم **﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾** وهذه الهداية هي ـ كما يُسمِّيها علماءُ الأخلاقِ ـ هداية لطف ؛ فالألطاف الإلهية مرفوعة عن مثل هذه البيوت وعن أصحابها لا تحكمها رحمةُ الله وفضله فهي غير مباركة ولا تَحضُرها الملائكة ، بل يحكمها الشيطان العديم البركة ، وتسودها الظلمةُ والهمومُ والغمومُ والهلع والاضطراب والقلق .

---

(٤) سورة التوبة / ١٠٩ ..

(٥) سورة النّوْر / ٣٧ .

إذن فإذا أردتم السعادة والبركة لبيوتكم . فيجب تطهيرُها من المعاصي ، وعليكم أن تعمروها بإحياءِ الصلاةِ فيها .

وقد وردت تأكيدات مشددة في الإسلام على إقامةِ صلواتِ النوافلِ في البيوتِ وإقامةِ الصلوات الواجبةِ في المساجدِ جماعةً ، فلا تجعلوا بيوتَكُم تفتقد إقامةَ الصلاةِ والإسلامُ يحذِّرُكم من التشبُّهِ باليهودِ والنصارى الذين يحصرون ـ حتى عبادتهم الخرافية ـ في الكنائس .

فلتكن بيوتُكم محلَّ عبادةٍ وتلاوةِ قرآنٍ ودعاءٍ وذكرِ الله ومحلَّ المودّةِ والألفةِ والخدمةِ المتبادَلة .

● الخدمة في المنزل :ـ

أفضل العبادة في الإسلام أن تخدم المرأة زوجها ، ويخدم الرجل زوجته ؛ فأنتم تعلمون أن أعظم كرامةٍ للإنسانِ هي الشهادة في سبيل الله .

ونلاحظ في الأحاديثِ الشريفةِ أن للمرأةِ التي تخدم زوجها ، وتُعد الطعامَ ، وتغسل الأواني ، وتقدِّمُ المائدة ، ثم تجمعها أَجْرَ شهيدٍ يكتبه ربُّ العالمين في صحيفةِ أعمالِها(٦) .

كما نلاحظ فيها أنّ مثل هذا الأجر للرجلِ الذي يخدِمُ في المنزل ليُقلِّلَ من مَشَقّةِ زوجتِه أو يكدُّ في العملِ خارجَ المنزِل ليعيش عيالُه في رفاهيةٍ : ـ « الكادُّ على عيالِهِ كالمجاهِدِ في سبيلِ الله »(٧) .

إذن فأفضل الخدمة والعبادة هي الخدمة في البيت ، وإذا أردت أن تشمل البركة والفضل والرحمة الإلهية بيوتكم وتحضرها الملائكة ، وأهم من ذلك أن

---

(٦) راجع كتاب وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١٢٢ فقد أورد ثلاثة أحاديث حول ثواب خدمة المرأة زوجها .

(٧) بحار الأنوار ج ١٠٣ ص ١٣ .

تقـدِّموا للمجتمـعِ جيلاً مبـاركاً ، وأن تكـون حياتكم مبـاركة فـاهتمـوا بتقـويـةِ ارتباطِكم بالله في المنزِل .

ومن عـواملِ تحقيقِ ذلِـك تقويـة الألفةِ والمـودَّةِ بين الزوجِ والـزوجـةِ ، فطوبى للرجالِ الذين يحظون بِرِضا زوجـاتِهم ، وطوبى للنسـاءِ اللواتي يَحظَيْنَ برضا أزواجِهن ، ففي هـذه الحالـةِ يرضى عنهم الله ـ عـزَّ وجلَّ ـ وفي المقـابل تعسـاً لحال الـرجل الـذي لا ترضى عنـه زوجتُه وأسـوأُمنهُ حـالُ المـرأةِ التي لا تستجلب رضا زوجِها فهي من أهلِ جهنَّمَ ولا ريبَ .

ومثـل هذا المنـزِل يفتقـد بـركـةَ الله وفضـل الله ، ولن ينقضي فيـه عمـرٌ مبارك ، ولن يخرجَ منهُ جيلٌ مبارك .

● تأثير المال الحرام : ـ

أقول لكم ؛ إذا دخل في بيوتكم طعامٌ من حـرامٍ كالـربا والـرشوة وأكـلِ أمـوالِ الناسِ (بـالباطـل) فاعلمـوا أنّها ستُحـرم حضور المـلائكة فيهـا ، بل ستكون محلاًّ للنـارِ ، بمعنى أنّ الملائكـة في السماءِ تـرى هذه البيـوت تحترق كما أنها ترى مَنْ فيها مِن النساءِ وأطفالِها الأبرياء يأكلون النار : ـ

﴿ إنّ الـذين يأكلونَ أمـوالَ اليتامىٰ ظُلْمـاً إنّما يـأْكُلُون في بُـطونِهِم نـاراً وسَيَصْلَونَ سَعِيرا ﴾(٨) .

ومال اليتامىٰ هنا مذكورٌ على نحو المِصداق ، والقرآن ذكر هنا المصـداق الأوضح ، وعليه يكون معنىٰ الآيةِ أَنَّ الـذين يأكلون المـالَ الحرامَ إنمـا يأكلون ناراً . يقول الإمام المهدي (عليه السلام) : ـ

«مَنْ أكل من أموالِنا شيئاً ، فإنَّما يأكُلُ ناراً ، وسَيَصْلى سعيراً »(٩) .

---

(٨) سورة النساء / ١٠ .

(٩) سفينة البحار للشيخ عباس القمي ص ٤٢٨ من الجزء الأول .

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) وقد سأله أبو بصير ـ رضوان الله عليه ـ عن أيسرِ ما يَدْخل به العبدُ النارَ ، فقال : ـ « مَن أَكَلَ من مالِ اليتيمِ دِرْهماً ونَحْنُ اليَتِيمُ »(١٠) .

ولكِن مَن يرى ذلك ؟! .

إنّه الذي لديهِ عينُ البصيرةِ ، فيرى البيت الذي لا يؤدّي الخُمُسَ وهو يحترق والمرأة والأطفال فيه يأكلون ناراً ؛ يشاهد ذلك عندما يتحقّق : ـ ﴿ فكشفْنا عنكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ اليومَ حديد ﴾(١١) .

فاللحمُ والرزُّ في مائدةِ الدُّنيا هو نارُ جَهَنَّمَ في يومِ القيامةِ فتوضع في جهنم نفس هذه السفرة ويأكلون حينئذٍ المال الحرام الذي أكلوه ولكنه نار هذهِ المرَّةَ .

وويل لِعِيالِ مثلِ هذا البيتِ إذْ بعيدٌ أن ينال أطفاله السعادة ؛ وهؤلاء العيال سيكونون أعداءً له ويتصدّون له يومَ القيامة ـ زوجته وأولاده ـ ويخاطبونه : ـ أيُّها الظالمُ لماذا أطعمتَنا المالَ الحرامَ ؟ .

لماذا أطعمتنا ناراً ؟ .

لماذا لم تُؤدِّ الخُمُسَ الذي كانَ عليكَ لِتُطعِمنا مِنْ مالٍ حلالٍ ، فلم يكن لدينا إقبالٌ على العبادة ، وتَوجَّهْنا نحو المعاصي ؟ .

لقد حرمتنا السعادة بما أعطيتَنا من مالٍ حرامٍ .

تذكُرُ رواياتُنا أَنَّ أحدَ الأشقياءِ يومَ القيامةِ هو الذي كان يكدح ليلَ نهارَ في العملِ من أجل عيالِه ولكِنَّهُم سيُعادونه ـ يومَ القيامةِ ـ ويلعنونه ويطلبون من الله

---

(١٠) مستدرك الوسائل للميرزا النوري ج ١ ص ٥٥١ من الطبعة الحجرية من منشورات المكتبة الإسلامية بطهران نقلاً عن العياشي في تفسيره .

(١١) سورة ق / ٢٢ .

أن يقتص منه ، لأنّه لم يؤدِّ حق الخمس ، فأطعمهم من المالِ الحرامِ وجعل قلوبَهم قاسيةً .

فيحيطُه من جهة البؤس والأوزار والوبال ، ومن جهة أُخرى لعنات زوجتِه وأطفالِه ، يقول ـ تعالى ـ : ﴿ **وقَدِمنا إلىٰ ما عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فجعلناهُ هَبَاءً مَنْثوراً** ﴾[١٢] .

الآية الكريمة ؛ تتحدث عن طائفةٍ من الناسِ يتعبدون بصورةٍ جيدة (ظاهرياً) ، فهم قد أقاموا الصلاةَ ، وصاموا ، وحَجُّوا ، وزاروا كربلاءَ والإمامَ الحسينَ (عليه السلام) وفضيلة هذه الزيارة أعظم من غيرها ؛ وأقاموا مجالِسَ العزاءِ ، وبكوا على الإمامِ الحسين ، وهو العمل الذي يصفه الإمام الصادق (عليه السلام) بأنه يجعل أصحابه يتألقون يوم القيامة بحللٍ بيضاء[١٣] ، لكنهم أكلوا المالَ الحرامَ وحقوقَ الآخرين . وهذا ما يؤدِّي إلى تحوّلِ كافةِ أعمالِهم إلىٰ الذينَ أكلوا أموالَهم فتخلو أيدِيهم ، ويَسْخَرُ منهم الآخرون ، ويصفونهم بأنهم الذين أكل عيالُهُم أعمالَهم ، لأنهم استحصلوا الأموالَ ـ عن طريقٍ محرَّم ـ فأكلها عيالُهُم وعاشوا بها في ترفٍ ، وعليه هو أن يدفع يوم الفصل الغرامات وهي أن يعطي أعماله ويبقى هو دون عملٍ ، فيكون مصيره جهنم كما تبين ذلك الآية الكريمة المتقدّمة .

إنَّ بقاء حق الناس في ذمةِ الإنسان أمرٌ صعبٌ، فاحذروه واعلَموا أنَّ دخولَ (المال) الحرامِ إلى بيوتِكم يُذْهِبُ عنها رحمةَ الله والبركةَ والمودّةَ ، وفي النهاية يؤدِّي إلى أن يقومَ نفس هذا الطفل الذي تكدح كثيراً من أجلِه الآن بلعنِكَ يومَ القيامةِ ، ويجعلك من أهلِ جهنّمَ .

---

(١٢) سورة الفرقان / ٢٣ .
(١٣) أورد الشيخ الصدوق في كتابه « ثواب الأعمال » العديد من الروايات بهذا الشأن راجع ص ١٠٨ وما بعدها .

المحاضرة السابعة :-

الفصل الثالث

- تجسم الأعمال
- تفاهم الأسرة

في المحاضرة السابقة أشرنا إلى شدة كراهة النزاع في الإسلام وقدسية المودة والألفة والأخوة فيه ، ويذكر القرآن الكريم أنّ أحد الصفات البارزة لأهلِ جهنَّمَ هو التلاعنُ فيما بينَهُم عندما يلتقون ويلقي كلٌّ منهم مسؤولية هذه العاقبة ودخولهم جهنَّمَ على عاتقِ الآخرين ، ويطلب كل منهم الاقتصاص من الآخرينَ ، فيأتيهم الخطاب الإلهي الغاضب أنَّ لكلٍّ منهم عذاباً مضاعفاً ، لأنّهم كانوا في الدنيا يُؤذون المؤمنين ويدفعون الآخرين إلى الردّ عليهم بالإساءةِ المتقابلة قال ـ تعالى ـ : ﴿ كُلّما دخلت أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها حتى إذا ادَّارَكوا فيها جميعاً قالت أُخراهُمْ لأُولاهُم ربَّنا هؤلاءِ أَضَلُّونا فآتِهِمْ عَذاباً ضعفاً من النار ؛ قال لكلٍّ ضِعْفٌ ولكن لا تَعلَمونَ ﴾[1] .

إذن فدأب أهل النار التنازع فيما بينَهم ورفضُ الإقرارِ بالتقصير .

تجسّم الأعمال :ـ

وإذا أوردتم قانون تجسم الأعمال هنا يكون الأمر هو أن البيت الذي يتنازعَ فيه الزوجانِ ، ويرفِضُ كلٌّ مِنهما الإقرار بالتقصير ـ فالزوج يقول أنت التي جلبت الشقاء والبؤس لي ، والزوجة تتهمه بمثل ذلك وهو يلقي على عاتقِها المسؤوليةَ عن انحرافِ الأولادِ والبيت الذي يشهد تبادلَ الإساءاتِ

(١) سورة الأعراف / ٣٨ .

والكلِماتِ البذيئةِ والفحشاء والشتائم ـ والعياذ بالله ـ هو بيتٌ في الـظاهرِ ، وهـو في الحقيقةِ ـ بِحَسَبِ قانونِ تجسُّم الأعمالِ ـ جهنَّمَ ستتضـح حقيقتُهُ يـوم تُرفـع الحجب .

أقول لكم ـ أزواجاً وزوجات ـ إنَّ الدُّنيـا والآخِرة وجهـان لعملةٍ واحدةٍ ، فالظاهر هي الدنيا ، والآخِرة هي باطِنُ نفسِ هذِه الدنيا .

فمـا يقع في هـذِه تظهـرُ حقيقتُه في الآخِـرةِ ، فإذا كـانت العـاقبـة النـار ونقماتها فمن أعمالنا : ـ ﴿ **ذلك بما قدمت أيديكم** . . . ﴾[٢] .

وإذا كانت الجنّةُ ونعيمُها وحورُهـا وقصورُهـا فمن أعمالنـا نحن أيضاً : ـ ﴿ **كلوا واشـربوا هنيئـاً بما أسلفتم في الأيـام الخاليـة** ﴾[٣] ففي الجنَّةِ يُخـاطَب الصائمون : هذه النعم هي التي قدمتموها في شهـرِ رمضانَ المبـارَك في الدُّنيـا فكلوا واشربوا هنيئاً .

إذا كان النزاع يسود في بيوتكم ـ كأن يتنازع الزوجان فيمـا بينهما ويتبـادل الأخ والأخت الشتائم فيما بينهما ، أو أن تُعنِّف الزوجة زوجها ـ والعياذُ بالله ـ أو يشتم الزوجُ زوجتَه .

فهذِهِ البيوتُ ظاهرهـا هذا ، وبـاطِنُها جهنَّمُ ، وعلى هـذه الحقيقة يـراها أصحابها عنـدما تُفتح البصائـر فترجـع الإساءات والشتـائم ـ التي كان يـوجِّهُها الأزواجُ لـزوجاتِهم أو بـالعكس إلى فاعليهـا ، ويرجـع إلى الأبِ نفسُ التعنيف الذي كان يوجِّهه لأطفاله .

إنَّ ما تتحدَّثُ عنـهُ الآيةُ الكـريمةُ ﴿ **كلّمـا دخلت أمةٌ** . . . ﴾ هـو قانـونُ تجسُّمِ الأعمـالِ ، بمعنى أنَّه إذا كـان في بيوتِكم نِـزاعٌ فستتنازعـون في جهنَّمَ أيضاً فيما بينكم ، وإذا كان التعامل فيما بينكم في بيوتكم بسباب وتلاعن وتنابـز

---

(٢) سورة آل عمران / ١٨٢ .

(٣) سورة الحاقة / ٢٤ .

بالكلمات البذيئة أو ضرب ـ والعياذ بالله ـ فستشهدون نفس ذلك هناك ؛ وكل ما نزرعه هنا نحصده هناك من عبوسةٍ وغلظة وتعامل جاف في البيت ، حيث يظهر تجسم هذا التعامل في جهنم ونارها ؛ فهنا احتراق وتكيف وهناك احتراق وتكيّف .

وعلى العكس حالُ أهلِ الجنّة على ما يقولُ القرآن الكريمُ عنهم : ـ ﴿ على سُرّرٍ مَوضُونةٍ مّتكِئينَ عليها متقابِلِينَ ﴾[٤] وهم مفعمون بالحيوية والأُنس : ـ ﴿ لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلاّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً ﴾[٥] .

فلا تجد عندهم لغواً ولا سُباباً ، بل يثني ويَشكر بعضهم بعضاً على المعونة التي قدمها كلٌّ منهم لجعلِ الآخرين من أهل الجنّة . هذه صفةُ أَهْلِ النعيمِ ، وقانون تجسم الأعمال يقول لنا : إنّه إذا كانت المودّةُ والأُلفةُ تسودُ في بيتٍ ما ـ فالرجلُ يشكر زوجتَهُ على جودةِ طبخِها للطعام ، فتبتسم له وتشكره بدورها على جلبِه هذا الطعام .

وإذا كان كلٌّ منهما يعلّل طِيب أجواءِ البيتِ بطِيب أخلاقِ الطرفِ المقابِل ، وكانت الزوجةُ تعتذر لزوجِها مِنَ التقصيرِ حينما يقع في البيتِ أمرٌ غيرُ مُناسِبٍ ، فيرد هو بالاعتذارِ المتقابل متحملاً مسؤوليةَ التقصيرِ ، فتجسم هذا الوضع هو أنهما يكونانِ مِصداقاً للآيةِ الكريمة المتقدِّمة المتحدِّثة عن صفة أهلِ الجنة .

إذن فلتكن سُنّتُكم القيامَ بما من شأنِه تحويلُ أعمالِكم إلى نعم في الجنة .

---

(٤) سورة الواقعة / ١٥ ـ ١٦ .
(٥) سورة الواقعة / ٢٥ ـ ٢٦ .

● تفاهم الأسرة :

ليكن التعامل فيما بينكم ـ في المنزِل ـ بالمدح والثناء وتقبُّلِ التقصيرِ .

وأوكد هذِه الوصيّةَ على الرجالِ خاصَّة ـ الذين لا يتعاملون علىٰ وفقِ هذِه الصورةِ عادةً ـ وأُخاطِبهم بلغة الرجاء أَنْ إذا غَضِبْتُم ـ ولا ينبغي لكم الانفعال ـ أو صدرتْ عنكم كلِماتٌ جارحة ـ ولا ينبغي أن تصدُرَ عنكم ـ فبادروا إلى الاعتِذارِ فورَ زوالِ الغَضَبِ عنكم ، وتحمَّلُوا مسؤوليةَ التقصيرِ وآخضعوا لذلِك ، فالخضوع هنا نوعٌ من البِناءِ الذاتي ، والبيتُ يجب أن يكونَ مدرسةً لنا ، بل أفضل مدرسةٍ وأفضل كتابٍ أخلاقيٍّ وأفضل معلِّمِ أخلاقٍ للنساءِ خاصّةً .

وإذا قامَ الرجل بعملٍ سيِّىءٍ ورَفَضَ الاعتذار ، فأرجو مِنَ الزوجةِ أَن تبادرَ فوراً إلى الاعتِذارِ وتتجَنَّب الإِيذاءَ والتهاجُرَ والتعالي والعُبوسَ والتضجُّرَ والكسلَ فهذِه من أخلاقِ أهلِ النار ، لا مِن أَخلاقِ أهلِ الجنَّةِ .

وإذا أردتَ أن تكونَ من أهلِ الجنّة فاعملْ مِنْ أجلِ أن يكونَ بيتُك مُفْعماً بالنَّشاطِ .

إذا أحجمَ أَحَدُ الزوجينِ عن الاعتِذارِ فليبادر الآخَرُ إلى تحمُّلِ التقصيرِ والاعتِذارِ وتجنُّبِ إلقاءِ تَبِعةِ التقصيرِ على الآخر .

وهكذا الحالُ عادةً في مختلفِ النِّزاعاتِ ، فإذا تَراجَعَ أحدُ طرفيها ، انتهتْ .

وعدم انتِهاءِ النزاعِ يرجع إلى عدمِ تراجُعِ الطرفينِ أو أَحدِهما .

وإذا أردتُم الجنَّةَ ونعيمها وحيويتها والجلوس على تلك « السرر الموضونة » متقابلين فليتراجع (لِيَعْفُ) كلٌّ منكم إذا وقع بينكم نِزاعٌ وأَنْهوهُ فَوراً ، واحرصوا على أن لا يستمِرَّ النزاع في البيتِ حتّىٰ لساعةٍ واحِدَة .

يجب على الرجل التحلّي بالرجولة ، وعلى المرأة أن تكون « سيِّدةً » حقاً والقرآن يقول إنَّها تكونُ كذلك عندما تتواضعُ لزوجِها حتى لو كان مُقصِّراً : ـ ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ ﴾[٦] فللمرأةِ الصَّالحةِ ـ كما يُبَيِّنُ القرآنُ الكريمُ ـ صفتانِ :

الأولى : التواضعُ لزوجِها حتى لو كان مقصِّراً .

والثانية : حفظ العِفَّةِ في السرِّ والعَلَنِ في حضورِ زوجِها أو في غيابِه ، فهي تلتزمُ الحجابَ الكامِلَ في مقابلِ أرحامِ زوجِها وغيرِ المحارِمِ حتى شقيقِ زوجِها ، فهي عفيفةٌ وملتزمةٌ الحجابَ الكامِلَ الجيِّد في غيابِ زوجِها في الزُّقاقِ والمدرسةِ وكلِّ مكان .

وهذه هي الجديرةُ بوصفِ « المرأةِ الصالحةِ » .

ومورِدُ استشهادي بالآيةِ الكريمةِ هو الصفةُ الأُولى وهي أن تخفض جناحَها لزوجِها إذا وقع اختلافٌ في البيت ، ووقوعه أحياناً أمرٌ طبيعي حتى لو كان كلا الزوجين لا يريدانِ وقوعَه أصلاً ، وهذا هو حالُ المسلِمِ الحقيقي . ويُؤكِّدُ القرآنُ الكريمُ أنّه يجبُ على الزوجينِ أو أحدهما ـ ولا سيما الزوجة ـ التِزامُ التراجُعِ وخفض الجناح والسكوت ، لكي تخمد نارُ الاختلاف ، فتأجيجُ هذهِ النار هو في الحقيقة إشعالٌ لنارِ جهنَّم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ﴾[٧] .

فوقودُ هذهِ النارِ هم الناس ورذائل الصفات التي في قلوبهم .

ويُؤكِّدُ المنطِقُ القرآنيُّ وجوبَ اجتِنابِ النزاعِ في البيت لأنه يُؤدِّي إلى ذهابِ هيبتِكُم ، ويدمِّرُ شخصيَّتكم ، وإذا تجرَّأ ـ لا سمح الله الزوجان ـ أحدهما على الآخَرِ لا تبقى لأيٍّ مِنْهُما شخصيَّة (إحترام) في عينِ الآخَرِ .

---

(٦) سورة النساء / ٣٤ .

(٧) سورة التحريم / ٦ .

وتعسا للرجلِ الذي لا هيبة لـه في بيتِه ، وتعسـا للمراةِ التي لا حكمَ لهـا في قلبِ زوجِها ، وتعساً للبيتِ الذي يفتقِدُ الحيويَّةَ ، فالأُمُّ لا تستطِيعُ ـ إذا كان قلبُها ميتاً تقديمَ شابَّةٍ أو شابٍّ نشيطٍ لِلمجتمعِ .

والرجلُ الفاقدُ للحيويّةِ لا يمكن أن يكونَ فعَّالاً في العملِ لِدنْياهُ وآخرتِـه وللآخـرينِ . وبِحَسَبِ القولِ المُتـداوَلِ بينَ الناسِ : ـ اليـدُ الكسيـرةُ يمكِنُهـا العملُ ، والقلبُ الكسيرُ عاجزٌ عن ذلِكَ مفتقِدُ النشاط

قـال الإمامُ مـوسى بنُ جعفرٍ (عليـه السلام) في حـديثٍ مَـرْوِيٍّ عنـه : ـ « إيَّاكَ والضجرَ والكَسَلَ ، فإنَّهمـا يَمْنعانِ حـظَّك مِنَ الدُّنيـا والآخِرَة »(٨) فهـو (عليـه السلام) يخـاطبنا نـاهياً عن الكسـل داعياً للحيـويةِ والنشـاط ، يخاطب السيّدة أن تجتنب الكسلَ في بيتِها ، ويخاطب الـزوجَ أن لا يدع الكسـلَ يسيطِرُ عليهِ ، لأَنَّ ذلِك يحرمنا من خيرِ الدنيا والآخِرة .

وواضِـحٌ أَنَّ المـرأة الفـاقِـدةَ للحيـويَّـة لا تقـدر على القِيـامِ بِـواجبـات الزوجيَّةِ ، ولا برعايةِ الأطفالِ ولا رعايةِ شؤونِ البيت .

وواضحٌ أيضاً أنّ الرجلَ الكسولَ عضوٌ زائدٌ في المجتمع .

يقـول ـ تعالى ـ في القـرآنِ : ﴿ **ولا تَنازَعُـوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُم** ﴾ ماذا يعني ذهابُ ريحكم ؟! .

إنّ للمسلمِ شخصيَّـةً وهيبةً ، ولـو كان المسلمـون الـذين تبلغ نفـوسُهُم المِليارَ مُتَّحِدينَ ، لما استطاعَتْ (قُوى الاستكبارِ) أميركا والاتحادُ السوفيتي أنْ تنـام بِدعـةٍ في مواجَهَتِهِم فضـلاً عن أن تفكِّـرَ في استعمـارِهِم وجَعْلِهِم خَـدَمـاً لها ؟! .

لا يتوهّم الرجلُ الذي تطغىٰ الركّةُ (والابتِذال) على كلامِه (في البيتِ)

---

(٨) بحار الأنوار / ج ٧٨ ص ٣٢١ .

أنَّه يُسيءُ إلىٰ زوجَتِه ؛ بل إنَّ الإساءةَ تلحقُ أوَّلاً بشخصيته هو وتُشوِّهُها ! .

ولا نتصوَّرِ الزوجةُ أنّهَا تُبرِّد غليلَها عندما تنطِقُ بكلماتٍ جارحةٍ لِزوجِها ، فالخسارة الأولى التي تلحقُ بها هي أنَّ حُبَّها يخرجُ من قلبِ زوجِها .

وتعساً للزوجةِ التي لا حكم لهـا على قلبِ زوجِها ، وتعسـاً للزوجِ الذي لا احترامَ (هيبة) له في بيتِه .

إنّني أرجو من الحاضِرينَ في هذا المجلس ومِنَ الذين يستمعونَ لِحديثي هذا مِنَ الإذاعةِ أن يجعلوا هذِه الآيَة الكريمةَ نصبَ أعينِهم دائماً ، فالقرآن يُبيِّنُ شِدَّةَ خطورةِ النزاعِ والاختلاف ويُشبِّهها بحالِ الشخصِ الجالسِ على حافةِ وادي جهنَّمَ وإذا لم يكن هنـا الآن « وادي جهنَّمَ » فتصـوَّروا الأمـرَ كـحـالِ جلوسِكم على صخرةٍ على حافـةِ وادٍ تُشاهَـدُونَ اشتعالَ النـارِ فيهِ فيمـا الصخرةُ التي تجلِسُونَ عليها ينهار ما تحتَها فتسقطونَ أنتُم في قَعْرِ هذا الوادِي .

والقـرآن يوضِـح أنَّ هذِه هي حقيقـة (تأثيـرِ) النزاعِ ، ويؤكِّـد أنَّ الأُلفةَ والمودَّةَ هي إحدى النعم العظيمة ، ويُـذكِّرُ المسلِمينَ بِمَنِّ الله ـ تعـالى ـ عليهم بِها : ـ

﴿ وٱعْتَصِمُـوا بِحَبْلِ الله جَمِيعـاً وَلاَ تَفرَّقُـوا وٱذكُروا نعمـةَ الله عليكُم إذْ كنتم أعداءً فألَّفَ بينَ قلوبِكم فأصبحتُم بنعمتِه إخواناً وكنتم على شَفَـا حُفْرةٍ مِنَ النارِ ، فأنقذكم منها كذلِك يُبيِّنُ الله لكم آياتِه لعلَّكُم تهتَدُون ﴾[٩] .

الآيةُ الكريمةُ وإن كانت تخاطِب مسلمي صدرِ الإسلام ، لكنّها تتحـدَّثُ لنـا جميعاً ، وتَقُـولُ ـ فيمـا يتعلّق بمـوضـوع بحثِنـا ـ أنَّ على الـزوجينِ الـذين يعيشانِ في بيتٍ يَسودُهُ الائْتِلافُ والمودَّةُ أنْ يَشْكُرا الله كثيراً على ذلـك ويدعـواهُ ـ تعالى ـ لدوامِ هذِه النعمة ، وعلى الـزوج أن يشكر زوجتَـه على إفعامِ البيت

---

(٩) سورة آل عمران / ١٠٣ .

بالعطف والمـودّةِ فيما على الـزوجةِ بـدورها أن تُثْنِيَ دائمـاً عليهِ لِتـوافُر المحبَّـةِ والأُلفةِ لديهِ .

ولو التزاماً شُكْرَ هذِه النعمةِ ليلاً ونهاراً ، لكانَ شُكرُهما قليلاً .

وعندما نَضُمُّ قانونَ تجسُّمِ العملِ والآيةَ التي قرأتُها سابقاً يُصبِـحُ المعنى هو أنّ الزوجـةَ السليطةَ اللسـان والزوجَ السيِّيءَ الأخـلاقِ وأنَّ الزوجيـن اللذينِ يتنازعان فيما بَيْنَهُما ـ والعياذ بالله ـ إنّما هم جالسونَ على حافةِ النارِ ! .

أمَّا متى يَدْخلُونها ؟! .

الجواب بمجرد الموت .

(يُنقـل) أنَّ شخصاً سَقَطَ من شـاهِقٍ ومـاتَ ، فـرأوهُ في عـالَمِ الـرؤيـا وسـألوه عن أحـوالِه ، فقـال : ـ يكفيكم أن أقولَ لكم : إني لم أرَ لا مَنكـر ولا نكيـر ولا ضغطةَ القبـر ، فبمجـرد أن سقـطتُ من ذلـك الشـاهقِ ، وقعتُ وسطَ جهنَّمَ !! .

أيُّها السيِّدُ ، أيَّتُها السيِّدة ، إنَّ الدنيا تنقضي والذي يبقى أمرانٍ :

الأوّلُ : التضحيـة والتسـامـح والإيثـار ، فهي صفـات تُكسِبُ الإنسـانَ نورانيةً تجعلُه يتـألق مثل القمـر عندمـا يدخـل صفّ المحشر ، يجـذب مَن في المَحْشَرِ إليهِ .

والثّاني : هو نعيمُ الجنّة وعذابُ الجحيم .

أمَّا الدنيا ، فهي فانية .

والاختلافُ فيما بيننا بلغ درجةً أصبح معها المتجدّد أسوأ مِن المتقـدِّمِ ، والمتعلِّمُ أسوأَ مِن الأُمّي ، والكاسِبُ أسوأ مِنَ الموظَّفِ وهذا أسوأ مِن سابِقِهِ .

فنرى هذا السيِّدَ الدكتور وقد وصل درجةً متقدِّمة من التخصُّصِ في عملِه وأخلاقُه الاجتماعية حسنة أيضاً ، ولكن عندما تفتح قلب زوجتِه تجـدُهُ بحراً من

الأذى الذي ألْحَقَهُ بها على الرغمِ مِنْ علمِه وحُسْنِ سِيرَتِه خارجُ البيتِ ! وترى سَيِّدَةً مُثَقَّفةً مُتَحَضِّرةً حسنةَ التعامِل مع مثيلاتِها ، ولكن عندما تفتحَ قلبَ زوجِها تجدُها قد تحوَّلتْ فيهِ إلى عفريت !! .

يقول علماءُ النفس : إنّ الأمثلةَ المتداوَلةَ في المجتمعِ تكشِفُ عن أفكارِهِ وهكذا هو الحالُ فخذوها بعين الاعتبار ، وهنا أنقل لكم أحدَ الأمثالِ العامِّية في هذا الصدد ، وهو أنَّ خطيباً طَلَبَ مِن الحاضِرينَ ـ وهو على المِنبرِ ـ أنْ يقومَ مَنْ كان منهم غيرَ راضٍ عن زوجتِه ، فقاموا جميعاً باستِثناءِ شخصٍ واحد ، فَسُّرَ الخطيبُ لذلك ، وقال : الحمدُ لله ، فلقد عثرنا في هذا الاجتماعِ على زَوْجٍ راضٍ عن زوجتِه ، وعندها ارتفعَ صوتُ هذا الرجلِ قائلاً : لا يا سيِّدي لا ، فأَنا لا أَسْتَطيعُ القِيامَ ، لأنّ زوجتي قد كسرت رجِلي !! .

هذا هو حالُنا الآنَ ، فلا تجد زوجاً راضياً بالكامل عن زوجتِه ، كما لا تجد زوجةً راضيةً بالكامل عن زوجها .

تؤكد رواياتُنا أنّه إذا وقعَ نزاعٌ بين اثنينِ من المسلمين بين زوجٍ وزوجتِه ، فالواجبُ هو أن يتصالحا في اليومِ الأَوَّلِ ، والمرسومُ هو أن يعتذر الأَصغَرُ إلى الكبيرِ ، أي : أَنْ تعتذِرَ الزوجةُ حتى لو كان زوجُها هو المقصر .

فقد ورد في الحديثِ الشريفِ الأمرُ بالتصالُحِ في اليومِ الأولِ ، وإلا ففي اليومِ الثاني ، وإذا اعتذر الصغيرُ فبها ، وإلا فليذهب الأكبرُ لِتُزَالَ الضغينةُ والحقدُ حتى لو كان الخطأُ المُرتكبُ كبيراً وصَدَرَ عنهُما كلِماتٌ جارحة ـ والعِياذُ بالله ـ فعليهما التحلّي بالصفاء والتسامح ، ويتناسوا ما جرى .

وإذا لم يتصالحا في اليوم الثاني ، وَجَبَ ذلك حتماً في اليومِ الثالِثِ ، وإلّا ترسّختِ الأضغانُ في قلبيهما ، وخرجا من الإسلام ، كما تؤكد ذلك

الأحاديث الشريفة التي روى الكليني ـ رحِمَه الله ـ أكثر من عشرةٍ منها[١٠] ، وروى العلامة المجلِسيُّ أكثَر من ثلاثِينَ منها .

فإذا كنّا لا نهتمُّ بأَمرِ دُنيانا وأولادِنا ، فلنتدبرْ في هذِه الأحاديثِ الشريفةِ ، ونهتمّ بما تقولُه وما يُوجِبُه إسلامُنا ـ في الأَقلِّ ـ ؛ يجِبُ أَن تُزال هذِه النزاعاتُ ، فلما نتنازع إلى هذا الحد ؟! .

أيُّها الزوجُ ؛ إذا كنتَ تتحملُ المشاقَّ في توفير الجانب المادّي ، فإنّ زوجَتكَ المسكينةَ تتحمَّلُ مثلَ ذلك في المنزل .

أيتها الزوجةُ ، إذا كان زوجُك لا يستطيع تلبيةَ كلِّ ما ترغبين فيه ، فضعي نفسَك محلَّه لتعرِفي هل تستطيعين شِراءَ كلِّ ما تريدِينَه مِنْ ذَهَبٍ وملابِس ؟! .

إذن لماذا النزاعُ والتعنيفُ والضجرُ والتهاجرُ والصُّراخ ؟! .

أُقسِمُ عليكما بالله أن تقوما بالتشاورِ فيما بينكما ـ عندما تُريدان تقديم جِهازَ عُرْسِ ابنتِكما ـ والتفكير بهدوءِ أعصابٍ لتعرِفا ما الذي يجِبُ عملُه ـ دونَ تعنيفٍ مُتبادَلٍ ـ فتهيئَةُ هذا الجِهازِ بِبالغِ المشقَّةِ والأَذىٰ تُفْقِدُه البركة .

---

(١٠) الأصول من الكافي ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الهجرة .

المحاضرة الثامنة :-

الفصل الثالث

- اعتياد الذنب
- سـوء الحجاب وإشـاعـة الفساد
- تسويغ الذنب
- الغيبة والبهتان

● اعتياد الذنب

(إرتكابُ) المعصيةِ في البيتِ من العـواملِ المؤدِّيـةِ إلى قطعِ الألـطافِ الإلهيَّة عن الشخصِ أو البيتِ .

والـذنوبُ أقسـامٌ ، ـ فمنها الكبـائرُ والصغـائر ، وهـذا ليس مـوردَ بحثِنـا الآن ، ومنِها المستمرّة وغيرها ، بمعنى أَنَّ الإنسانَ مرّةً يصـدرُ عنهُ ذنبٌ ، كـأَنْ يكذِبَ ـ والعياذُ بالله ـ أحياناً وهذا عمل غير صالح تجبُ التوبةُ منه ومعالجتُـه . ولكن قد يكون مستمـرّاً فيهِ ، فمثـلاً يكذِبُ ويغتـابُ ويُثيرُ الشـائعاتِ ويـظلم ، وهكذا كلَّ يومٍ .

وهذا الاستمرارُ في المعصيةِ يشكِّلُ حالةً خطيرةً يُبيّن القرآنُ الكريم شـدة خطرها في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّؤىٰ أَن كَذَّبُوا بِآياتِ الله وكانُوا بِها يَسْتَهزؤُون** ﴾[1] .

فليحذر الذين يُصِرُّون على المعاصِي أن ينجر حالُهم إلى إنكارِ كلِّ شيءٍ وتكذيبِ المِنبرِ والمحرابِ وما يقولُه العلماء ، فيحسبه خرافات ، ويوضح الإمام الصادق (عليه السلام) في العديد من الروايات أنه : ـ « إذا أذنبَ الرجلُ خَرَجَ في قلبِه نكتَةٌ سَوداءُ ، فإنْ تابَ آنمّحتْ وإن زادَ زادتْ ، حتى تغِلبَ على قلبِه ،

---

(١) سورة الروم / ١٠ .

فلا يُفْلِح بعدَها أبداً »(٢) .

لذا أطلبُ منكم جميعاً أن تجتنبـوا الذنـوبَ في حياتِكم أصـلاً وإذا صَدَرَ عنكم ذنبٌ ، فتداركوا الأمر فوراً وآحذَروا الاستمرار في الذنب .

وهناك تقسيم آخَرُ للذنوبِ هو أنَّها ـ مرّةً ـ تؤدّي إلى إثارةِ قلبِ الإنسان ، فمثـلاً إذا نظر نـظرةً محرّمـةً إلى أحدٍ ، أو اغتـابَ أحداً أو كَـذَبَ ، أثـارَ ذلـك صِراعاً داخلياً لديهِ ، وهذِه الحالةُ تعبِّر عن أن هناك تهيُّباً داخِليّاً مِنَ الذَّنْبِ .

ومرَّةً أُخرى تزول هذهِ الحالة من التهيُّب من الذنب ، ويُصبح الحالُ أسوأ مِن المـداومةِ على الـذنبِ لأَنَّ التوبَـة هنا صعبـةٌ جداً ، فيمـا أَنَّ المـداوِمَ على الذنبِ قد يتوفَّق للتوبةِ بصورةٍ أيسر .

● سوء الحجاب وإشاعة الفساد :

ولتوضيح ذلك (نطرح المثال التالي) نلاحظ مرةً أن إمرأةً تتجاهَـلُ التزامَ الحِجابِ الصحيحِ في حفلِ زواجٍ وهي تعلمُ أَنّ ذلك عمل غير صحيح .

وعندما ينتهي الحفل تتوبُ عنه وتبكي ويحدث لديها صراعٌ داخلي .

ونلاحظُ في حالةٍ أُخرى أَنّ عدمَ التِزامِ الحجابِ الصحيح يتحـوّل لديهـا ـ تدريجياً ـ إلى أمرٍ مُعْتادٍ ، فيصبح عملُها أسوأَ مِنَ الزِّنا حتى لو كانت ـ فرضاً ـ عفيفة تتأذّى من اسْمِ الزِّنا وتعنف من يرتكب هذا العمـلَ القبيحَ ، لكنهـا نفسها تقوم ـ والعياذ بالله ـ بما هو أسوأُ مِنْهُ عندمـا تخرجُ متبـرِّجةً مُبـدِيةً زينتَهـا ترتـدي قميصاً بأكمامٍ قصيرةٍ وجَورَبٍ يشفُّ عن ساقَيْها ، وتدخـل على هذه الهيئـةِ إلى دكانِ البائعِ ، وتتحدَّثُ وتضحـكُ معه . فهـذا العملُ أَسـوأُ من الزنـا ، لأنَّ فيهِ إشاعةً للفحشاءِ .

---

(٢) الأصول من الكافي ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الذنوب الحديث رقم ١٣ .

وذنب هـذه أكبرُ من نفسِ الفـاحشةِ ، يقـول ـ تعـالى ـ : ـ ﴿ إنَّ الَّـذِينَ يُحِبُّـونَ أَن تَشِيـعَ الْفَـاحِشَـةُ فِي الَّـذِينَ آمَنُـوا لَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ فِي الـدُّنْيَـا والآخِرَةِ ﴾(٣) .

فالشابُّ الذي يُحبُّ النظرَ إلى غيرِ المحارمِ من النساء ، والكاسبُ الذي يرغبُ في مُمازَحَتِهنّ والضحكِ معهن إنَّما يُحِبُّ أن تَشِيعَ الفاحشةُ .

ولهذا العملِ نوعانِ مِن العذابِ : الأَوّلُ : في الدنيا ، وهو أَنْ يبتلِيَ مثل هذا الشخص بالفاحشةِ (في الدنيا) ؛ والآخر في الآخرة وهو عذاب جهنم .

وإشـاعةُ الفـاحشةِ أسـوأُ مِنَ الوقـوعِ فيها على الـرغمِ مِن أَنَّ الزِّنـا ذنبٌ عـظيمٌ إلى درجـةِ أَنَّ القـرآن الكـريم يقـول عنـه : ـ ﴿ وَمَنْ يَفْعَـلْ ذَلِـكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴾(٤) .

فالزاني والزانية مصيرُهما جهنَّم ، وهنـاك أيضاً تكسـوهم الذِّلَّـةُ والعارُ ، ونقرأ في الأحاديثِ الشريفةِ أن لعوراتِهم رِيحاً نتنـة للغايـة تخرج منهـا ، فيتأذى منها أهلُ النارِ(٥) .

وإشـاعة الفـاحشةِ أَسـوأُ من ذلِك ، كـأَنْ تخرُجَ المـرأة ـ متبرجـةً متزيّنـةً بجـورَبٍ لا يستـر سـاقيهـا وقميصٍ بـأكمـامٍ قصيـرةٍ ـ إلى الشـارع ، فتُعلِّمُ الأُخرَياتِ هذا السلوكَ القبيح ، وتدخل بهذِه الحالـةِ إلى دكانِ البـائعِ ، وهـذا يُمازِحُها ويُحادِثُها بدلاً من أن يعبس بِوَجْهِها ويطردها نهياً لها عن هذا المنكر .

والقرآنُ الكريم يؤكـد أن هذا العمـلَ المُشِيعَ المـروِّجَ للفاحِشـةِ أَسوأُ من ذنبِ الفاحشةِ .

---

(٣) سورة النور / ١٩ .
(٤) سورة الفرقان / ٦٨ .
(٥) ورد ذلك في حديث المعراج وفي خطبـة الرسـول الجامعـة لعقاب الأعمـال التي يرويهـا الشيخ الصدوق في نهاية كتاب « ثواب الأعمال وعقاب الأعمال » .

نرى أحياناً نساءً مُوقَّراتٍ عفيفاتٍ لكنهن فقدن حالةَ التهيُّبِ من الذنب ، واعتدنَ عَدَمَ مُراعاةِ الحِجابِ في حضورِ غيرِ المحارِمِ فتجلس إحداهُنّ مثلاً مع شقيقِ زوجِها وتُحادِثُه وتُمازِحُهُ وهي متزيِّنة غير مراعيةٍ للحجابِ الكاملِ .

وهذِه الحالةُ تشتمل على المخاطِرِ ، فتجبُ التوبةُ من هذا الذنبِ ، وعليهِن تدارك تبعاته ، وويلٌ لِمَن فَقَدَ حالةَ التهيُّبِ مِنَ الذنب .

أرجو من الأزواجِ والزوجات أن لا يسمحوا بِخُروجِ النساءِ بِجَوارِبَ شَفَّافةٍ خاصَّةً مع حلولِ فصلِ الصيف ، فهذِه الحالةُ هي مِصداقٌ لِما قالَه أميرُ المؤمنين (عليه السلام) للأصبغ بن نباتة بشأن مجيء زمانٍ على أُمَّةِ الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) تخرج فيه النساء : ـ « كاسيات عاريات »(٦) ثم يذكر (عليه السلام) أنَّ هذا الزمنَ هو زمنُ الفِتنة « شرُّ الأزمنة » وأن هذه النسوة خالدات في جهنَّمَ ، فاحذرن هذِه العاقبةَ ، والتزمنَ بارتداءِ ما يَسْتُرُ مِن اللِباسِ حتى لو استلزم الأمر ارتداءَ جَوْرَبَيْنِ ، ولا تخرجن بقميصٍ ذي أكمام قصيرة .

فإمّا أنْ تستبدلنّه بغيره ، وإمّا أنْ تسترنَّ ما ظهر من الذراعينِ بأكمامٍ إضافيَّةٍ .

والتزمنَ بالعِفَّةِ ـ بصورةٍ كاملة ـ خلال تعاملكن مع الباعة . والأهم من ذلك أرجو من السيدات والسادة أن يلتزمن الجدَّ في التعامُلِ فيما بينَهُم .

إحدى الصفاتِ البارزةِ للسيدة المحترمةِ وللمؤمنةِ هي أنَّها تتعاملُ بغايةِ الجديةِ مع غيرِ محارِمها ، فالمِزاحُ والتبسُّمُ هنا خطأٌ .

في آخرِ خطبةٍ خطبَها رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله) قبل وفاتِه قال :

---

(٦) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١٩ ؛ ونص الحديث هو : ـ « يَظْهَرُ في آخرِ الزمانِ واقترابِ الساعةِ وهو شَرُّ الأزمنةِ نسوةٌ كاشفاتٌ عارياتٌ مُتبرِّجاتٌ مِنَ الدينِ خارجات في الفِتَنِ داخلات مائلاتٍ إلى الشهواتِ ، مسرعات إلى اللّذّات ، مستحلات المُحرّمات ، في جَهنَّمَ خالِدات » . .

« . . . ومَن فاكَهَ امرأةً لا يملِكُها حُبِس بكـلِّ كلِمةٍ كلَّمها في الدُّنيا ألفَ عامٍ (في النارِ) .

والمرأة إذا طاوعتِ الرجلَ فألتزمَها أو قبَّلَها أو باشَرَها حَراماً أو فاكهها أو أصابَ مِنها فاحشةً ، فعليها مِنَ الوِزْرِ ما على الرجل . . . »[٧] .

وليحذر الكسبةُ مِمّا يقولـون (في التحادُث مـع النساء) ، فـالمالُ الـذي يكسبـونه عن هـذا الطريق عـديم البركـة ، وهو يسلُبُ البـركـةَ من البيتِ الـذي يُصرف فيه .

● تسويغ الذنب :

وهناك تقسيم آخر للتعامل مع الذنب ، فمرةً يُذنِبُ الإنسـان ويعترفُ بـأنَّ ما آرتكبه ذَنْبٌ ، ولكن تارةً يُسَوِّغُ ذَنْبَـهُ ، وهنا مكمن الخـطرِ الأكبر ؛ كـأن ترى المـرأةُ أن التحضُّر في إظهـارِ (زينة) وجهِهـا ، وأنّ علامـة الثقافـة هي ارتـداءُ الجَوْرَبِ الفاضِـحِ أو الاختِلاط بين الـرجالِ والنِّسـاءِ أو التحادث والمـزاح بين الرجلِ والمرأةِ (من غير المحارم) .

وقد يُوجِّهُ الإنسانُ الغِيبةَ ـ والعياذُ بـالله ـ بأنَّهـا « غيبةٌ ثـوريةٌ » أو « حـزب اللهيـة » ، أو أن يُوجِّـهَ الاتهامـاتِ ويَحْسَبَه عمـلًا ثوريّـاً ، وليس معصية ، بـل يتـوهَّم أن له عليـه أجراً !! يقـوم بترويـجِ الإشـاعـاتِ ، ويحسب أن ذلـك من السياسةِ و« أننا يجب أن نكونَ ساسة » !! فيرد الموارد المشؤومة بهذا التسـويغِ ودعوى الثورةِ والسياسةِ .

وهذا خطرٌ أشدُّ مِن كلِّ الأخطارِ .

أطلبُ منكم اجتنـابَ الذنب بصـورةٍ كاملةٍ صَغيـرةً وكبيـرةً فـالـذنبُ هـو ـ مطلقاً ـ عامل السقوط .

---

(٧) عقاب الأعمال للشيخ الصدوق ص ٣٣٤ .

وأَهَمُّ من ذلِك هو أَنْ أَطلُبَ مِنكم أن لا تسمحوا بزوالِ حالةِ التهيُّب من الذنبِ منكم حتى لو أذنبتُم ، فخطيرٌ جداً عليكم أن تقعوا بذلك في مهاوي الذنوب .

فأرجوكم أن لا تعمدوا إلى تسويغِ الذنب ـ إذا وقعتُم فيه وزالت منكم حالةُ التهيُّب منه ـ فهذا التسويغُ يجلبُ عليكم أخطاراً عظيمةً ، لأنَّه يَصُدُّ الإنسان عن التوبةِ ويحرمه من شفاعةِ أهل البيت (عليهم السلام) ، « وهذه هي مقدمة البحث » .

يُؤسِفُني أن أَقولَ أَنَّ ذَنْبَ الغِيبةِ والبُهتانِ وإثارة الإشاعات موجودة في منازلِ الجميعِ ـ الكسبةُ والموظفين المقدّسِينَ وغيرهم مِنْ ثوريِّين وغيرِهم ـ وهو ذنبٌ عظيم زال التهيُّب منهُ من القلوب ، بل قد تطرح له العديد التسويغاتِ !! .

ولو بكينا جميعاً على هذِه المصيبةِ دماً ، لكان الأَمْرُ جديراً بذلك .

هناك بيوتٌ فيها موسيقى وغناء وصورٌ مستهجنة مثيرة للشهواتِ ، وتُعرض فيها أفلامٌ فيديوئية من هذا القبيلِ .

وهذا لا يتعلَّق بموضوعِ بحثِنا (لهذا اليومِ) .

ويكفي هنا أن أقول : ويلٌ لمثلِ هذهِ البيوتِ ، فهذا ما يقوله الإمامُ الصادِقُ (عليه السلام) ، إذ يُروى أنَّه قد جاءَه رجلٌ لم يكن في بيتِه رقصٌ وغناء ، بل كان ذلك يحدث في بيتِ جيرانِه فقال للإمام : ـ « بأَبي وأُمّي إني أدخُلَ كنيفاً لي ولي جيرانٌ وعِندَهُم جَوَارٍ يتغنين ويضربنَ بالعُودِ ، فربما أَطَلْتُ الجُلوسَ استِماعاً مِنّي لهنَّ . فقال : لا تفعل .

فقال الرجل : والله ما هو شيءٌ آتيه برجلي ، إنّما هو سَماعٌ أَسمَعُهُ بأُذني .

فقال له : أما سمِعْتَ الله يقول : ﴿ إنَّ السمعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كلّ أُولئك كان عنهُ مسؤولا ﴾ .

قال : بلىٰ والله ، فكأني لم أسمعْ هذِه الآية قط من كتابِ الله من عجمي ولا من عربي ، إنِّي لا أعود إن شاءَ الله ، وإنّي أستغفِرُ الله .

فقال (ع) له : ـ « قم فآغْتَسِلْ (غِسْلَ التوبة) وصَلِّ ما بدا لك ، فإنَّك كنتَ مقيماً على أمرٍ عظيم ما كان أسوأ حالِك لو مِتَّ على ذلِك ، آحمِدَ الله وسَلْهُ التوبةَ من كلِّ ما يكْرَهُ إنَّه لا يكره إلّا القبيحَ ، والقبيح دعه لأهلِه فإن لكلٍّ أهلاً »[(٨)] .

فشيعةُ الإمام ليس أهل طربٍ وغناءٍ وصُوَرٍ شهويَّةٍ مبتذلة ، وويل للبيت الذي فيه مثلُ ذلك ، وويلٌ للأطفالِ الذين يكبرون فيه ، فتأثيرُه السِّيءُ يتحدَّث عنهُ علماءُ النفس والإسلام يؤكِّدُ ذلِك ، فمثل هذا البيتِ تكثرُ فيه الشياطينُ ، وتنعدم فيه بركةُ الله ورحمتُه وملائكتُه ، كما يخبر عن ذلك الرسولُ الأكرمُ (صلّى الله عليه وآله) .

● الغيبة والبهتان :

يُؤسفني أن أقول : إنَّ قليلاً ما تجِدُ شخصاً أو بيتاً غير مبتلى بالغيبةِ والبُهتان وتوجيهُ الإشاعةِ والكذب ، وهِي مِن كبائرِ الذنوبِ ، والانتِقاص ـ حضوراً وغِياباً ـ ذنبٌ عظيم يقوَلُ عنهُ القرآنُ الكريم : ـ ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾[(٩)] .

ومن مصاديقِ ذلِك أن تطبُخَ المرأةُ طعاماً فيسخر زوجُها منه لأنَّه لم يُعجِبْه ، أو أن يجلُبَ هو شيئاً اشتراهُ مِنَ السوقِ فتسخر منهُ لكونِه لم يُعْجِبها ،

---

(٨) سفينة البحار للشيخ القمي ج ٢ ص ٣٢٨

(٩) سورة الهمزة / ١ .

وهذا السلوك يُحذِّرُ منهُ القرآنُ الكـريمُ ، ويُبيِّن أنَّ عاقِبَتـه الاحتراق بنـارٍ مُوقَـدَةٍ يَشْوِي عذابُها الجُلُودَ والعِظام .

أمّـا الغيبـةُ ، فيعتبـرهـا القـرآنُ أكْـلَ لَحمِ الأخِ المؤمنِ وهُـوَ مَيِّت ، فاجتنبوها .

وواضحٌ أنَّ البيتَ الذي يشهدُ أكلَ لحمِ الأمـواتِ ، وتعيش فيهِ الكـلابُ تهجُره البركةُ وألطافُ الله ورعايتُه فلا قدسيةَ له .

روي عن الإمـام الحسين (عليه السـلام) حديثاً يرويـه صـاحبُ كتـابِ (تُحَفِ العُقـولِ) عن الإمامِ السجّـادِ (عليه السـلام) أيضاً ، وهـو قصيـرٌ في لَفْظه عظيمٌ في معناه ، وهو : ـ « كُفَّ عَنِ الغِيبةِ ، فإنَّها إدامُ كلابِ النَّار » .

ومعناه هو أنْ يا أيتُها السيدةُ ويا أيُّها السيدُ ، إنَّ تَكـرارَ الوقـوعِ في الغِيبةِ يجعلهـا ملكةً فيـك ، فتعتادهـا وتُصبح صفـةً ملازِمـةً لـك ، وتُحـوِّلَ هُـويَّتَـكَ الإنسانيةَ إلى هويةِ كلبٍ يذهب إلى جهنَّمَ ، وعندمـا يَسْتَطْعِمُ يكـونُ طعامَـهُ هو نفسَ الغيبـةِ التي كان يـرتكِبُها في الـدنيـا ، أي : يـأكُـلُ نفس اللحمِ المتعفِّن الناريِّ يُقدم له هناك وعليه أن يأكُلَه ! .

وأيُ بيتٍ ـ ويـا للأسف ـ يخلو من الغِيبـةِ والسخريـة ؟! فيا أيهـا الأب لا تَسْخَرْ مِن أطفالِك ولا تهِنهُم ، بل احترمْهُم .

ويا أيتها الزوجة احترمي زوجَك ، ويا أيها الزوج احترم زوجتَك .

واعلمـوا أنكم إذا تبادلتم الإسـاءاتِ ، ووقعتم في ارتكـابِ الغيبـةِ زالتْ عنكمُ حـالةُ التهيُّبِ من هـذهِ المعصيةِ واعتـدتمُـوهـا ، وحينئـذٍ تـزولُ هُـويَّتُكم الإنسانيَّةُ ـ بِحَسَبِ قـانونِ تجسم الأعمـال ـ وتتحولـون إلى صورة وحـوشٍ : ـ « الغيبةُ إدامُ كلابِ النار » .

والأسوأُ مِنَ الغيبةِ البهتانُ ، وهو أنْ تقولَ في شخص ما ليسَ فيه سواءٌ في غيبتِه أو حضورِه ، والفرقُ بينَه وبينَ الغيبةِ هو أنَّ البهتانَ ذكرك عيباً لشخصٍ هو

بريءٌ مِنه .

أمَّا الغيبة ، فهو ذكرُك عَيْبَهُ في غيبتِه .

أمَّا اللَّمَزُ ، فهو تعييرُك الآخَرين .

وتسويغُ الغيبةِ بأن العيبَ موجود في الشخصِ المذكور ، فهو منطِقُ العوامِ (والجهلة) ، وهو من تسويلاتِ الشيطان ، فإذا كان العيبُ فيه حقّاً وذكرتَه للآخَرين ، فهذه غيبةٌ تصبح بارتكابِها كَلْباً وإن لم يكن فيه ، فهو بهتان وذنْبُه يتحدّث عنه القرآنُ الكريم فيقول : ـ ﴿ **إنَّما يَفْتَري الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُون بِآيَاتِ الله وأُوْلَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ** ﴾(١٠) .

فهو ذنبٌ يخرجُ عن الإيمانِ ، يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : ـ « . . . مَن بَهَتَ مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه أقامه الله ـ تعالى ـ على تلٍّ مِن نارٍ ، حتى يَخْرُجَ مِمّا قال فيه »(١١) .

وفي رواية الكافي عن الصادق : ـ « مَنْ بهتَ مؤمناً أو مؤمنةً بما ليس فيه بعثه الله في طينةِ خبالٍ ، حتى يَخْرُجَ مِمَّا قال .

قلت (الراوي) : ـ وما طِينة خبال ؟ .

قال : صديد يخرجُ مِن فروجِ المُومِسات »(١٢) .

ومع الأسف فإنّ هذه المعاصِي كثيرةٌ في بيوتِنا ، فهي ـ بِحَسَبِ قانونِ تجسُّمِ الأعمالِ ـ بيوتٌ ملأى مِن القيحِ والدمِ ، وإن كنتم لا ترونها ، فكثيرة

---

(١٠) سورة النحل / ١٠٥ .

(١١) سفينة البحار ج ١ ص ١١١ .

(١٢) أصول الكافي ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر « باب الغيبة والبهت » الحديث ٥ ، وما ذكره الشيخ في المحاضرة هو جمع بين هذا الحديث والذي سبقه وحديث ثالث ينقله الفيض في المحجة البيضاء نقلاً عن الشيخ الصدوق (ج ٥ ص ٢٥٤) وفيه : ـ « . . . وكشف الله عورتَهُ على رؤوس الخلائق » .

هي الأشياء التي يسمعُها ويـراها أصحـابُ البصائـرِ فقط ، فآحـذروا أن تُشاهِـدَ الملائكةُ القيح والدم بدلاً مِنَ القدسيـةِ ، إذا نظرت إلى بيـوتكم ، وهذا القيـحُ والدمُ هو محصول أعمالِكم في الدُّنيا ، وسيـظهر لكم يـومَ القيامـةِ ما لـم تُـزيلُوه بالتوبة ، وفي ذلِكَ اليومِ سَيكون بَصَرُ الجميعِ « حديد » وسيرونكم ـ كما ترون أنْفُسكم ـ واقِفين على تِلالٍ مِن القَيْحِ والدم .

لا تُروِّجوا الإشاعاتِ بقبولِ أو نقلِ شيءٍ دونما دليل ؟! .

ومَنْ مِنّا يجرؤُ على الادعاءِ بعدمِ الوقوعِ في ذلِك ، وهذا مـا لا يستطيـع ادّعاءَهُ الآنَ حتى المقدّسون الملتزمون ، فليس لدينا لِسانٌ يصومُ عن ذلك .

وأقسِمُ بالله أنَّ مِن الواجبِ أن نبكيَ على هذِه المصائبِ دَمـاً ، فهي ذنبٌ كبيرٌ مغفولٌ عنه كما يؤكّـد ذلِك القـرآنُ الكريم قـائلاً : ﴿ إِذْ تَلَقَّـوْنَهُ بِـأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُـولُـونَ بِـأَفْـوَاهِكُمْ مَّـا لَيْسَ لَكُم بِـهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُـونَـهُ هَيِنـاً وَهُـوَ عِنـدَ الله عَظِيمٌ ﴾[١٣] .

فهـذا القبولُ والنقـلُ لما ليسَ لنـا بهِ علمٌ هـو عندَ الله عـظيم ، وإن كـان إعتيادُنا له جَعَلَهُ هيِّناً عندَنا ، والقرآن ينهانا عن اتِّباع الشكِّ والظنِّ .

فليكن استمـاعُـك وقبـولُـك ونقلُك لقـولٍ مقـرونـاً بـالاستِـدلالِ ، وإلاَّ ستتعـرض حواسُّـك تلك للاستجـوابِ يومَ القيـامةِ ، وستشهـدُ عليـك ، يقـول ـ تعالى ـ : ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾[١٤] ويقول تعالى : ـ ﴿ آلْيَـوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَـا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[١٥] .

---

(١٣) سورة النور / ١٥ .

(١٤) سورة الإسراء / ٣٦ .

(١٥) سورة يس / ٦٥ .

فهذِه الحواسُّ ستَشْهَدُ على الإنسانِ يومَ القيامةِ ، وتقولُ له : ـ أنتَ الذي اغتبتَ ، واستمعتَ للغيبةِ ، وأَنْتَ الذي ارتكبتَ البهتانَ وقبلتَه عندما نقله الآخرون ، وأَنتَ الذي وقعتَ في ترويجِ الإشاعات .

لا ترتكبوا هذِه المعاصِيَ ، وفكروا بسبيلٍ لِمُعالجتِها .

يجب أن يكون الرجلُ صادقاً في تعامُلِه مع زوجتِه ، وكذلك يجب أن يكون حالُها في تعامُلِها معه ، فلا ينبغي أن تشهدَ حياتُكم وبيتُكم الكَذِبَ ، فإنَّه إذا حلَّ في بيتٍ هَجَرتْهُ الملائكةُ ، بل لَعَنَتْهُ ، فقد وردَ في الأحاديثِ الشريفةِ : ـ « . . إذا كَذَبَ المؤمنُ ـ من غيرِ عُذْرٍ ـ لَعَنَهُ سبعونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، وخَرَجَ مِن قلبِه نَتَنٌ ، حتّى يبلُغَ العرش ، ويلعنه حَمَلةُ العَرْشِ »(١٦) .

فيا أيتها الزوجةُ احذَرِي الكَذِبَ على زوجِك .

ويا أيها الزوجُ احذرِ الكَذِبَ على زوجتِك .

والأَهَمُّ هو الحَذَرُ مِن أن تكذِبا على أطفالِكُما ، فإذا قلتما لهم شيئاً فاعملُوا به ، واحذروا أن تعِدُوهما وعوداً كاذبة .

تَحَلَّيا بالصراحةِ والصدقِ إذا أردتما أن يكون موقفكما يومَ القيامةِ موقِفَ المسلِمِ الحقيقي .

تَعساً للبيتِ الذي يسودُهُ النفاقُ ، ويكذِبُ فيهِ الزوجانِ أحدهما على الآخر ، فهو مِثلُ المستنقع المتعفِّن تنظر إليهِ الملائكةُ ، وتلعنه وتلعن رَجُلَهُ وامرأَتَه ، لأَنَّهما مُسلمانِ ويكذِبان !! .

والقرآنُ الكريمُ يقول : ـ ﴿ فَٱجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾(١٧) .

---

(١٦) سفينة البحار ج ٢ ص ٤٧٤ .
(١٧) سورة الحج / ٣٠ .

فهو يقرن الكذبَ بعبادةِ الأوثـان ، ومع الأسف فـإنّ الكذب منتشـرٌ بكثرةٍ في بيـوتِنا وأسـواقِنا وتجـارتِنا ومكـاسِبِنا وشـوارِعِنا . وملعـونٌ القَسَم (اليمين) الكاذب ، والمدينةُ التي ينتَشِرُ فيها الكـذِبُ تصل رائحتُهـا العفنةُ إلى السمـاءِ ، فتلعنها الملائكةُ .

المحاضرة التاسعة :-

الفصل الرابع

- تكوين الأسرة
- الغيرة والحياء
- تربية الجيل الصالح

● تكوين الأسرة :

أنهينا ثلاثة فصولٍ من موضوع بحثِنا عن « أخلاقِ الأُسرةِ » والفصل الرابع يدور حول تكوين الأُسرة وفوائده بِحَسَبِ الرؤيةِ الإسلامية ؛ وهو موضوع مفيدٌ وقيمٌ للغاية . وأملي أن نعالج خلال هذا الفصل إحدىٰ العقد (الأمراض) الاجتماعية .

ولتكوين الأسرةِ فوائدُ كثيرةٌ يَصغُر في مقابلها كثيراً أمرُ تلبية الغريزة الجنسية على الرغم من أنّ إرضاءَها (إشباعها) مهمٌّ للغاية ، كما عرفنا ذلك في البحوث السابقة ، فقد أوضحنا أنَّ قتلَ النفسِ الأَمَّارة ـ بمعنى قتل الميول والرغبات (الفطرية) ومنها الغريزة الجنسية ـ ، أمرٌ يرفضه الإسلام فهو يوجب إرضاءَها ، لكنّ فائدة ذلك ضئيلة مقارنةً بفوائدِ تكوين الأُسرةِ ، وأوَّلُها إشباعُ الحاجةِ الفطريَّة لذلك ، وهذه فائدةٌ مهمّةٌ ، فآختِصاصُ المرأةِ برجل معيَّنٍ ، واختِصاصُ الرجلِ بامرأةٍ معيَّنةٍ وأطفالٍ مُعيَّنينَ هو أمرٌ طبيعي (فِطري) .

وقد ظهر مُنذُ أن وطيءَ الإنسان الكرة الأرضية ، فكان في البداية (أُسرةُ) آدمَ وحوّاءَ (عليهما السلام) ومازالت هذِه الظاهرةُ الفطريّةُ حيةً إلى الآن .

ويقرر الإسلام ثواباً عظيماً للأُسرةِ التي تستطيع تقديم جيلٍ سالمٍ وأولادٍ صالحين للمجتمع ، وقد لا يكون هناك ثوابٌ أعظم منه . وفي القرآن الكريم

آيةٌ تتحدَّثُ عن قيمةِ الإنسان ، فتقول : ـ

﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ في الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَاس جَمِيعاً . وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾[1] .

فالذي يقتل إنساناً دون سَبَبٍ شرعيٍّ ، فكأنما قَتَلَ كُلَّ مَن على الأرض مِن بني الإنسان ، ومَنْ يُنقِذُ إنساناً يشرِفُ على الموتِ ، فكأنما أحيا العالم أجمع ، هذا هو معنى ظاهر الآية .

ويذكر الإمام الصادق (عليه السلام) في ذيل الآية[2] أحد البطون الدقيقة للآيةِ الكريمةِ ، وهو أنَّ مَن أضلَّ إنساناً عن الصراطِ المستقيم ، فكأنَّما قتل الناس جميعاً وذلك لعظمة هذا الذنب .

وعلى العكس فمن أنقذ إنساناً من الضلال وجعلَه من الصالحين ، فكأنما أحيا الناس جميعاً .

وعليه فالإمام الصادق (عليه السلام) يأمرنا بالحذر من أن نُضِلَّ الآخَرين بأقوالِنا ، ومِن أن نجعلَ أطفالَنا يَظُنّون السُّوءَ بعلماءِ الدِّين والمِحراب والمِنبر .

فلو فعلنا ذلك ، فكأنما قتلنا الناس جميعاً .

ويوضح (عليه السلام) أنّ علينا الانتباهَ على ما نقولُ ونكتب وعلى سُلوكِنا ، فلو استَطَعْنا هِدايةَ شَخْصٍ إلىٰ الصِّراطِ المستقيم ، فكأنما أحيينا الناس جميعاً .

واستناداً إلىٰ تفسيرِ الإمامِ الصادق (عليه السلام) للآيةِ الكريمةِ يُصْبِحُ أحدُ مصاديقِ معنى الآية هو أنَّه لو استطاع زوجان تربية أولادٍ صالحين ، فإنَّ ثوابَهما على ذلك ثواب مَنْ أحيا الناس جميعاً ، وليس ثواب مَن أنشأ مَسْجِداً أو

---

(١) سورة المائدة / ٣٢

(٢) راجع مثلاً تفسير البرهان للبحراني أو تفسير نور الثقلين

مدرسةً أو أحيا إنساناً واحِداً أو اثنَيْنِ .

إذن فثواب تربية جيلٍ سالمٍ وتقديمه للمجتمع هـو أسمى من ثواب كـلِّ عملٍ آخر في الإسلام ؛ وهذا ما يمكن فِعْلُهُ بتكوينِ الأُسرة .

ويُؤكِّـد الكثيرُ من الأحـاديث الشريفـة المرويـة عن النبيِّ الأكـرم والأئمـة الطاهرين (صلواتُ الله عليهم أجمعين) أَنَّ عمـلَ ابنِ آدمَ ينقطعُ بمـوته ، فـلا يعـود يستطيـع القيامَ بمـا ينفعُه إلّا أن يكـونَ قد خلّفَ « البـاقيات الصـالحات » وأحدُ مصاديقِها الولدُ الصالحُ(٣) ذكراً كان أم أُنثىٰ ، فلو صلّى سُجِّلَ لأبيـهِ وأُمِّه مثلَ ما له من ثوابِ الصلاةِ .

ونفس الأمر يصدق لو صامَ أو خدم المجتمع أو قام بأيِّ عملٍ مِن أعمالِ الخيرِ ، فلوالديه مثل ما يُعطى له من الثواب .

ولذا يؤكِّد الإمام الصادق (عليـه السلام) أنّ عمـلَ مَن له ولـدٌ صالـح لا ينقطع بموتِهِ .

ومن الأحاديث المشهورة بين السُّنَّةِ والشيعةِ الحديث الذي يـرويه الشيـخ الصـدوق ـ رحمـه الله ـ في كتـاب « ثـواب الأعمـال » عن الإمـام البـاقـر (عليه السلام) أَنَّه قال : ـ « أَيُّما عَبْدٍ مِن عِبـادِ الله سَنَّ سُنَّةَ هَـدَىً كانَ لَـهُ أجرُ مثل أجرِ مَنْ عَمِلَ بذلِكَ مِن غير أن يَنْقُصَ مِن أُجورِهم شيءٌ »(٤) .

ومن مصـاديق ذلـك بنـاء المسـاجـد والمـدارس والجسـور ، وأي عمـل عمراني ، ولكن أسمى هذه المصاديق تقديم أولادٍ صالحين للمجتمع .

فلهذا المصداقِ أجران : أجر نفس تقـديم هؤلاء الصالحين للمجتمع ،

(٣) راجع مثلاً المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء ج ٣ ص ٦١ ، الوجه الثالث من الفائدة الأولى من فـوائد الـزواج ، والحديث ورد مضمونه وبألفـاظ متقاربة في المجاميع الروائية الشيعية والسنة . .

(٤) تجده أيضاً في بحار الأنوارج ٧١ ص ٢٥٨ .

وأجرٌ يشملُ ثواباً مثل ثواب كل عملٍ خيرٍ يقومُ بـه الأولاد الصالحـون من صلاةٍ وغيـرها ، فلهؤلاء أجـرٌ عليه ولآبـائهم وأمهاتهم مثـل ذلك ؛ ونـظائـر الحـديث المتقدِّمِ كثيرة (وفيهـا حثٌّ) للإنسـانِ لكي يقومَ بتكـوينِ الأُسْرَةِ ويقـدم أولاداً صالحين للمجتمع .

هـذا من زاويةِ الفـطرةِ وقد عـرفنا الإسـلام ـ ومُنذ اليـوم الأول ـ منسجماً بالكاملِ معَ الفِطرة .

أما عدو الإنسانية ، فهو ـ ومُنذ البداية أيضاً ـ يسعى ـ وخاصـة في العصر الحديث ـ إلى حرمانِ المجتمعِ من الجيلِ الصالحِ ، ووصلت به الوقاحـة حدَّ تقديم منهجٍ فلسفيٍّ لحـرمانِ البشـرِ مِن نظام تكـوينِ الأُسرةِ ، وهـذا هو عمـلُ « المُفسِدِ في الأرضِ » فهو ﴿ يهلك الحـرث والنسل ﴾ على حَسَبِ المنـطوق القرآني ، يقـول ـ تعالى ـ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُـهُ في الحَيَاةِ الـدُّنْيَا وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا في قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ ﴾[٥] .

فللبعضِ بيـانٌ معسولٌ للغـايةِ وبَـراهينُهم تجذبُ العـوامَّ بشدَّةٍ حتى إنّهم يُقدِّمون كتاباً ومنهجاً فلسفياً نـظير مـا فعلَه ماركس ودوركهيم ونيتشـة وفرويـد ، ويروِّج المستعمرون الشرقيون والغربيون بكثـرة لهذِه المنـاهج ، ولكنَّ الله يعلم ماذا يُضمرون من (نوايا شريرة) .

ثمَّ يوضح القـرآن الكريم أنّ هؤلاء هم أعـداءُ البشريـة ـ ولم يقل أعـداء المسلمين وحسب : ـ ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَـامِ ﴾ ، وبعد ذلِـك يذكـر صفةً لهم ، وهي أنّهم ـ إذا لم تكن لهم سلطة ـ أفسـدوا في بيوتهم ومـع أصدقـائهم ، وإذا استقـروا فمِصـداقُهم : ـ ﴿ وإذَا تَـوَلَّى سَعَى في الأرضِ لِيُفْسِـدَ فِيهَـا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ وَالله لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ ﴾[٦] .

---

(٥) سورة البقرة / ٢٠٤ .
(٦) سورة البقرة / ٢٠٥ .

فعملهم إذا تسلطوا هو إضلال الناس وإهلاك الحرث والنسل .

ولهذا معنيان أو مصداقان ـ بعبارةٍ أخرى ـ ، أحدهما : نظير المصداق الذي شاهدناه في ثورتنا ، فإنَّ « الكلب الأميركي المدرّب » عندما أُطلق وجاء إلى إيران كان عملُه في كل قرية يدخلُها هو إبادة أهلِها ، حتى النساءِ والأطفالِ وتدمير كلِّ عمران ليس البيوت فقط ، بل حتّى المساجد وحتى الأشجار والمزارع .

وهذا أحد معاني إهلاكِ الحرثِ والنسلِ الذي يتحدّث عنه القرآن ، فلو تغلَّب صدامٌ وأمثالُه أو أسيادُه أو القوى الكبرى شرقيةً كانت أم غربيةً على شعبٍ ما ، وتسلطوا عليه ، لَدَأَبُوا على إضلالِ الناسِ وارتكابِ المجازر في صُفوفِهم وتدمير كلّ عمار .

أما المعنى الآخر ، فهو أنّ سعي هذه القوى المستكبرة المعادية للبشرية أمثال الحركة الصهيونية هو إفساد الجيل الحاضِرِ بِكشفِ الحجابِ أو تشويهه وإخراجِ المرأة بوضعٍ مأساويٍّ مبتذَلٍ تحت شعار التحضر ليَفسدَ الرجالَ أيضاً بذلك . وينغمسوا في شهواتِهم ويُدمِّروا جيلَ المستقبل أيضاً .

فمن الواضح أن الجيل المعاصر إذا فَسَدَ ودُمِّر ، فإنّ الجيل المستقبلي سيفسد أيضاً .

من هنا تُكثِّفُ تلك القوى المستكبرةُ جهودَها (الإفساديةَ) على المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات والصغار ، فتبعدهم ـ بصورةٍ خاصة ـ عن المنبر والمحراب وإذا لم تهتم بإفساد الجيل الحاضرِ خطّطت لإفسادِ جيل المستقبل .

مدرسة « دوركهيم » تصل بها الوقاحة إلى إنكار الحاجةِ إلى تكوينِ الأُسْرةِ ، و« رسل » الفيلسوف الإنجليزي الذي يحسب له العالم حساباً خاصاً ـ وإن كان في رأينا لا يعرف شيئاً ـ يصل به جهلُه في آخرِ عُمُره إلىٰ تكرارِ

القول بأنّ تكوينَ الأسرةِ أمرٌ خاطىءٌ !! .

وهكذا كان حـال فرعـون : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ * يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾(٧) .

ففرعونُ كـان مفسداً جلبَ بـلاءً كبيراً على بني إسـرائيـل عنـدمـا تسلّط عليهم ، فأثار الاختلاف بينَهم في البدايـة ، واستطاعَ بـذلك أنْ يـذبح أبْنـاءَهم ويستحي نساءَهم وهو ما يفسِّره المفسرون عادةً بقطعه رؤوسَ الأطفال ، لكي لا يـظهـر مـوسى (عليـه السـلام) فيمـا كـان يُبقي على البنـات ، ولكنّ بعض المحقّقين وأهـل القلب والذوق يقـولـون : إنَّ المعنى هـو أنّـه كـان يقتـل روح الإنسانيةِ والرجولـةِ لدى الـذكور ، ويقتـل الحياءَ لـدى النساءِ فيُقـدِّم للمجتمعِ فتياتٍ دون حياء .

وعليه فإنَّ أحـد أعمالِ فـرعون هـو تدميـر جيل المستقبـل وإفقاد النسـاء الحياءَ .

وويل للزمنِ الذي تفقد فيه المرأةُ حياءَها ، فقد ذكرتِ الأحاديثُ الشريفةُ أنَّ (الله) قسم الحياء عشرة أقسامٍ : تسعة منها للنساء وواحداً للرجال .

ولكن ويل للزمن الذي تفقـد المرأة أقسـام الحياءِ التسعـةَ هذِه ، فيصـل حـالها إلى التجـرُّؤ على التعطُّرِ والخـروجِ من المنـزل أو أن تجـولَ في الأزقّـةِ والأسواق سافِرةً ، أي كاشفةً (قناعها) متزيّنة لا ترتدي جورباً أو ترتدي جوربـاً غيرَ ساترٍ ، وتتحدَّثُ مع الرجال وتُضاحِكُهم .

فويلٌ لهذا المجتمع ، وويلٌ لهذه المرأة .

إنّ فرعون كان يقومُ بإيجادِ مثلِ هذا الوضعِ ، لكي يستطيع التسلّط على

---

(٧) سورة القصص / ٤ .

الناس ويعزِّزَ سلطته ، فيخطط لمستقبل هذا الجيل بما يحقّق له هذا الهدف .

وهـذا ما يفعله الاستعمـاريون الآنَ أيضـاً ، فهـم يسعونَ عـادةً لاستعمـار جيـل المستقبـل ، وهـذا مـا يُمكّنُهم تحقيقُـه إذا أزالـوا الحيـاء عن النسـاء ، وأغرقوهنّ في الشهواتِ ، وانتزعوا الرجولةَ من الرجالِ بمعنىً أن الرجل يشاهد أجنبياً (غير مَحْرَم) ينظرُ إلىٰ ابنتِه نِظرةً شهوانيةً ، فلا يتأثّرُ أصلاً لذلك ، أو أنَّه لا يتأثّرُ لخروج زوجتِه أو ابنتِه بجوربٍ خفيفٍ غيرِ ساتـر ، بل يـذهب هو لشـراءِ مثلِ هذا الجوربِ لها ، أو أنّـه يرى زوجتَـه لا تهتمُّ بسِترِ نفسِهـا ، وتتزين لغيـر زوجِها ، فلا يبالي بذلِك ، وفي هذه الحالة تجبُ إقـامةُ « الفـاتحة » على مثـل هذا المجتمع .

لقد جاء ظهـور (سياسـات) رضا خـان المتجبِّرِ (في إيـران) وطاغـوت تـركيـة(٨) في آن واحـدٍ ضِمن نفس سيـاقِ تلك الأهـداف ونـزع الحجـاب عن النساء .

وفي البدايةِ كان رضا خان المتجبر يدّعي بأنَّه لم يكن يريد وصول النسـاء إلى تلك الحالة (الانحرافية) المبتَذلةِ ، وكان يتمسَّكُ في كـلِّ محفلٍ بـالقول « إنَّ النساء أنفسَهن أردنَ ذلك ، وما أردتُه أنا نزع الملاءَة فقط » !! .

كنتُ صغيراً ـ لعلي لم أتجاوز الأربعة أو الخمسة أعوام ـ عندما كان رضا خان يفعل تلك الأفعـال (الشنيعة) في مختلف مـدن إيران ، ومنهـا إصفهان ، كان الرجال الطاعنون في السنِّ يعترضـون بالتمـاس ، فيجيب أولئك (جـلاوزة رضا خان) بأنَّهم لا يُريدون بهم شرّاً ، وكل ما يريدونه هو نـزع « المُلاءَةِ » عن

---

(٨) رضا خان ملك إيران الأسبق والذي جاء به الانجليز للحكم بداية هذا القرن واستبدلوا به حكم العائلة القاجارية ، والمقصود من طاغوت تركيا هو «مصطفى أتاتورك» زعيم العلمنة والتغريب في تركيا وهو أيضاً من عملاء الإنجليز وقد نصبوه بعد أن أسقطوا دولة الخلافة العثمانيـة ؛ وقد نفـذ الاثنان سياسات ـ إنجليزية متشابهة في إيران وتركيا بهدف إزالة الصبغة الإسلامية عنها . .

النسـاءِ وليرتـدين ما شئنّ من أنـواع الحجاب ـ بـاستثناء المُـلاءَةِ ـ وهذا مـا كان يريدُه رضا خان ، لأنَّ الإنجليز كانـوا يعرفـون ماذا سيؤول إليـهِ الحال بعـد نزع المُلاءَة ، وقد أوصلوه بالفعل إلىٰ مـا رأيتموهُ ، فقـد كانت المـرأةُ تخرج عـاريةً إلى الشارع ، وتفتخر بذلك !! .

قـرأتُ في إحدىٰ المجـلّات ـ في زمن الطاغـوت ـ ، أنّ ممثلةً سينمائيـة (إيرانية) ـ وهي فاسدةٌ بالكامل ـ كانت تجولُ في الشارع مـع زوجِها ، فـآلتفّ حولها المصوّرون لالتقاطِ صورٍ لها وكان ما تلبسه أشبه بقميص النوم ، فتعمّدتْ فتحَ رباطِه ، فقام المصوِّرون بصنع حلقةٍ حولها ليستروهـا ، حتى اضطرّت إلى إغـلاقِ ربـاطِ قميصِهـا ، فتـوجّهت لـزوجهـا ، وقـالت : « وعجيبٌ أمـرُ هـذهِ (النجابةِ (الغيرة) الحمقاء) لدى هؤلاء المصوِّرين » ! .

فكـأنها تقـول : إنَّها أرادتِ التعـرّي على الملأ ، ليلتقط لهـا المصوّرون صورةً . على هذِه الحالة ، لكنّ هؤلاءِ التفّوا حولها ، ومنعوها من ذلك !! .

لقد أوجد رضا شاه وحاكم تركيةَ هذا الفسادَ بأمرٍ من الإنجليز .

وهذا هو فعل المستعمرين ، فـرعون أو الإنجليـز ، هامـان أو أمريكـة أو الاتحاد السوڤيتي أو غيرهم فهم جميعاً يعملون لإفسادِ جيلِ المستقبل .

فآحذروهم لأنهم يريدون إفساد الجميع ، والتزِمُوا بـالعملِ على وفقِ مـا يُريدُه الإسلامُ والفطرة الإنسانية .

فالأجدر أن نفسِّر قوله ـ تعالى ـ : ﴿ يُـذَبِّحُ أَبنـاءَهم وَيَسْتَحْي نِساءَهُمْ ﴾ على وفقِ المعنى المتقدِّمِ مثلما فَعَل بعضٌ من المحقّقين ، فيكون معنـاه أنّ ما فعله فرعون أنَّه كان يقتـل روح الرجـولة في الأبنـاء والحياء لـدى البنات ، فـإذا كبُروا على ذلك استطاع التسلُّطَ عليهم .

واستنـاداً إلى ما تقـدَّم لا تستغربـوا ما تُـلاحظونـه في القرآنِ والأحـاديثِ الشريفة من تأكيد مشدّدٍ لتكوينِ الأُسرةِ ، فهي وعاء إيجادِ الجيل السالم ، وهذا

هو الذي يُحقِّق التـطوّر ، ويهتمُّ بوضـع مجتمعه ويـوجد العمـران ويطوّر العلوم بالاختراعات بالمِقدارِ الذي يثير الحسرة لدى الأجانب ، ولكن إذا فسد حقّق ما تريدُ الحركةُ الصهيـونية التي تخـطط للتسلُّطِ على العالَم ، حتّى لـو قتلت ثلثي العالم ، كما تقول (أدبياتها) .

ولتحقيق ذلك تعمل لترويج نظريات « دوركهيم » ـ وهو نفسه صهيـوني ـ ونظريات ماركس ـ وهو يهـوديّ أيضاً ـ وتـوجد « الشيـوعية الجنسيـة » ، وأفكار فرويد ـ وهوَ أيضاً يهودي ـ وأفكار « نيتشه » اليهودي أيضاً .

وعنـدما نـدرس التيارات الغـربية نجـد مُؤَسِّسيها من الحـزب الصهيـوني وجميعُهم يهود ، وهدفها تدمير جيل المستقبل .

وعلى الطرف الآخر يقف الإسلام ، ويقول لـك : إذا استطعتَ أنْ تُقـدِّمَ للمجتمعِ ابناً صالحاً وبنتاً عفيفة ، فثوابك عليه أعظم من ثـواب بناء مسجـد أو الحج أو أيّة عبادة أُخرى ، ولا ريب في ذلك ، فمثلاً الإسلام يفضل الذي يقدم طفلين صالحين للمجتمع لكنه لا يستطيع القيام بشيءٍ من أعمـال الخير تلك ، على الذي يقوم بعملٍ خيري ولا يستطيع تقديمَ طِفْلَينِ صالِحينِ للمجتمع .

وعليـه أبارك للنسـاءِ اللواتي يقرنَ في بيـوتهن لتـربيـةِ أطفـالٍ صـالحين للمجتمـع ، فهُنَّ فضـلاً عن كـونِ حـالِهنَّ هـو حـال المـرابط في الخط الأول لجبهاتِ القِتالِ ، يُعتبر البيت مدرسةً لهن ، ولهنّ ثوابُ مَنْ أحيـا الناس جميعـاً (لتربيتهن الأطفال تربيةً صالحة) ، ولذلك أرجوكم أيُّها الأزواجُ والـزوجاتُ أنْ تلتزموا عرى المراقبة لتقديم أولادٍ صالحين للمجتمع .

● تربية الجيل الصالح :

الإسلام يُحذِّر كلا الزوجين من التفكير بشخصٍ آخر غير زوجِهِ في أُثنـاءِ الجِماع ، كأنْ يفكِّرَ الرجلُ بامرأةٍ لا تحلّ عليه أو تفكِّرَ المرأةُ بغير زوجِهـا خلال ذلك ـ والعياذُ بالله ـ فهناك الكثير من الروايات تؤكد أنّ الطفل الناتج من ذلك إذا

فَسَد ـ كأنْ يصبح من الزناة ـ فلا يلوما إلّا نَفْسَيْهما ، بل إنَّ الإسلامَ يهتَمُّ بِصَلاحِ الأطفالِ حتّى إنَّهُ ينهى عن الجِماع إذا كان طِفلُ العَشرةِ أيّام مستيقظاً وهو في مَهْدِه ، ويأمر بالذهاب إلى غرفةٍ أُخرى ما لم يكن الطفلُ نائماً .

ويُحذِّر من أن يسمع أحدٌ أنفاسَكُم وحديثكم في تلك الحالةِ ، ويحذِّرُ من أن يشاهد وجوهكنَّ وأجسادكنَّ غير المحارم ومن غمز العيون ، فكلُّ ذلك يُؤثِّرُ في الجيل القادم(٩) .

إن الكاسب الذي يمازح ويضحك مع إمرأةٍ أجنبية لا يمكنه أن يُقدِّم جيلاً صالحاً للمجتمع ، فليحذر ، فالإسلام يدق له أجراس الخطر ، ويدقها للمرأةِ التي لا تتورَّع عن أن يراها غير محارمها ، فعلينا جميعاً أن ننتبه على ما نقوم به ، فالإسلامُ يأمرك ـ إذا أردت التشيُّعَ ـ بتلاوة الأذان والإقامة والتكبير في الأُذنِ اليمنى ثم اليسرى للطفل في اليوم الأول لولادته(١٠) ، ويأمر بأن تذيقَهُ تربةَ الإمامِ الحسينِ (عليه السلام) قبل حليبِ الأُمِّ ، كما يأمُركَ بمراقبةِ (حِلِّيةِ) الطعام والحليب الذي تُغذِّيهِ بهِ ـ وحليب الأم مُهِمٌّ جداً في سلامةِ الطفل وسلامةِ قابلياته ـ كما أنّ حلِّيَّةَ الحليبِ والطعامِ مؤثِّرةٌ في ذلك .

ينبغي لنا الحَذَرُ ، فمثلاً لو كانت أَلسِنتُنا بذيئةً ، فإنها تؤدّي إلى إصابةِ أطفالِنا بنفس ذلك ، فيقع إثْمُهم في ذلك علينا بقدر ما يُكتب في صحائف أعمالِهم ، وهذا ما يؤكِّدُه الحديثُ الشريف المتقدم : ـ « مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً . . . . » .

وعليه سيذوق الذي يقدم للمجتمع أطفالاً فاسدين عذابَ الدُّنيا لما يرتكبه هؤلاء من المعاصي .

تذكرُ إحدى السيِّداتِ أنَّها تقومُ بنقلِ أطفالِها إلى بيتِ والِدَيها ، إذا نَشِبَ

---

(٩) راجع وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٩٣ وما بعدها .

(١٠) راجع المحجة البيضاء ج ٣ ص ١٢٠ وما بعدها .

نِزاعٌ بينَها وبينَ زوجِها ، فلا تَرْجِعُهم إلاَّ بعدَ انتِهاءِ النزاعِ والتَّصالُحِ .

وهذا عملٌ جيدٌ للغاية ، أيها الزوج وأيتها الـزوجة !! إذا أردتمـا ارتكابَ الغيبةِ أو استِخدامَ كلمـاتٍ بذيئـةٍ والتنازع والسبـاب فيما بينكم ، فـأَخْرِجـا هذا الطفلَ مِن مَهْدِهِ وأَلقِياهُ ـ ولو على الثلج ـ ، فإذا انتهى ذلك فأرجِعاه ، فإنّه حتى لـو ماتَ جَسـدِيّاً ، لكـان خَيْراً لـه من أنْ تموتَ روحـه !! ولذا كـانَ عليكما أن تفكّرا دوماً بجيلِ المستقبل .

إنني لأُحَذِّرُ مِنَ الخَطر !! فلقد كانت أُمَّهـاتنا في السـابِق يرتـدِين المُلاءَةَ « الشادور » والألبسة الطويلة الفضفاضة ، ويضعن قطعةً صغيرةً من الحصى في أفواهِهِنّ عندما يتحدّثن مع غير المحارم ، لكي لا تظهر جاذبية أصواتهن ، فيما كان آباؤُنا مرتبطين بقوةٍ بـالقرآنِ يتلونـه صباحـاً ومساءً ، ويـواظبون على ارتيـادِ المساجدِ والمنابرِ .

أَمَّا نحن ، فهذا هو وضعنا ! .

فماذا سيصبح حالُ أطفالنا !! .

فبعـد تلك الأمّهاتِ جـاءت أُمّهـاتٌ يُخـرجن ـ بكـل جـرأةٍ مـع الأسف ـ بناتهن الكبيرات دون مُلاءَةٍ ولولا أنَّهن يخشين لَخرجنَّ هُنَّ أَنفُسهُنّ بلا مـلاءَةٍ ، ويأتِينَ بصدورٍ ظاهِرةٍ ، ليجلسنَّ في إيوانِ مرقَدِ السيِّدةِ فاطمةَ المعصومةِ (سلامُ الله عليها) دون حياء .

وقد نقلتْ لي إحدى السيّداتِ أنَّها رأتِ السيِّدةَ فاطمةَ المعصومةَ في عالَم الرؤيا وهي تقول : ـ « لقد كنتُ أَضجُّ سابقاً من الغريباتِ أما الآنَ ، فالويلُ مِنَ القريبات » !! .

ماذا سيكون مصيرُ الطفلِ الذي يكبـر في كنفِ مثل هـذِه الأُمِّ وفي البيت الـذي يعجُّ بـالغناء والصـورِ المثيرةِ للشهـوةِ وبالغِيبـةِ والنزاع وإثـارة الإشاعـات والعِراك ؟! .

فاهتموا بمستقبل الجيل الجديد ، وانتبهوا على حالِكُم - في الأقلّ - لكي لا يُخاطبوكُم يوم القيامة - لا سَمَحَ الله - بـ « القتلة » فتنكروا ذلِك ، وتقولوا : إنّنا لم نكن نملك الجرأة على ما دونَ القتلِ بكثير ، فيأتيكم الجواب : - إن كلّاً منكم قد قَتَلَ الناسَ جميعاً ، لأنّكم لم تهتموا بأطفالِكم ، ولم تربُّوهم تربيةً صالحةً تجعلُهم نافعين للمجتمع .

المحاضرة العاشرة :-

الفصل الرابع

● فوائد الزواج

١ ـ إرضاء الغريزة الجنسية

٢ ـ تربية الجيل الصالح

٣ ـ سكينة النفس

٤ ـ الرجل والمرأة أحدهما زينة للآخر

٥ ـ موطن السلوى والسرور

● فوائد الزواج :

تحدثنا أمسِ عن اثنتَين من فوائدِ الزواج ، وهو مـوضوع الفصـل الرابـع من بحثنـا ، وهما إرضـاء الغريـزة الجنسية ، وهي فـائدةٌ مهمـةٌ من وجهـةِ نـظر الإسلام ومن وجهة نظر علم النفس .

والثانية تقديم جيل صالح للمجتمـع البشري ، وهـو أمرٌ مـرهونٌ بتكـوينِ الأُسرةِ ، ولذا عمد أعداء البشرية دوماً إلى محاربـة الأُسرةِ ، حتّى وصلت بهم الوقاحة إلى عرض فكرةِ الشيوعيّة (الإباحيـة) الجنسيّة . ولـذلك يجب عليكم أن تولوا قضية تكوينِ الأُسرةِ أهمية كبرى ، لكي تستطيعوا تقديمَ جيـلٍ صالـحٍ للمجتمع .

وهذا العمل يتضمَّن بحدِّ ذاتِه . فائدةً مُهِمَّة إضافةً إلى كونـه يمثّل ضـربةً عنيفة للعالَمِ الغربيّ وعالَمِ الجاهليةِ الوحشية وللخطط الصهيونية .

كان هذا هو موردَ حديثِنا أُمْسِ ، أَمّا اليومَ ، فنتحدث عن الفائـدة الثالثـة وهي : -

٣ ـ سكنٌ للنفس : ـ

فـالقرآن الكـريم يعتبر الـزواج عامـلاً لإيجاد السكن والاطمئنـان النفسيّ لكـلٍّ من الرجـل والمرأة ، ويعتبـر ذلك من آيـاتِ الله ، يقول تعـالى : ﴿ وَمِنْ

آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾[1] .

وإذا بحثنا الموضوع من الزاوية الطبيعية ، نجد الرجُلَ عضواً ناقصاً دونَ المرأةِ ، وكذلك حالُها هي أيضاً ، وكلاهما معاً يشكلانِ في الحقيقةِ وجوداً كاملاً ، إذْ يستَندُ كلٌّ مِنْهما إلى الآخَرِ .

وهذا هو ـ في الواقع ـ معنى « الزوج » عادةً ، فالمرأة ـ حسبما يُقِرُّهُ القرآنُ والعلومُ الطبيعيّةُ والنفسيّةُ ـ هي موطِن سكن الرجُلِ واستقرارِهِ .

وكذلك حال الرجل بالنسبة للمرأة .

والإنسان في هذا العالم يحتاجَ إلى مَن يبثُّهُ هُمومَهُ ، ولو لاحظنا الأمر ـ بِحَسَبِ نظرةِ القرآن وحَسَبِ الواقعِ الطبيعي القائم ـ لما وجدنا أحرص من المرأةِ على زوجِها ، ومن الرجل على زوجتِه .

وهذا ما يؤكّده القرآنُ الكريمُ في تَتِمَّةِ نفس الآية المتقدّمة ، فبعد أن تتحدّث عن قاعدةِ الاستِقرار النفسيِّ تلك يقول : ـ ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ .

فعلى هذِه الحالةِ من المودَّةِ والرحمةِ خلقهم ـ تعالى ـ .

وإذا لم نحطم هذا العامل الاستقراريّ الباعث للطمأنينة المتبادلة ، فإنَّ الزوجينِ يتبادلان طبيعيّاً هذا التأثير ، وتعساً لحال البيتِ الذي يفتقِد ذلك ، فهو مثل الفاقد لراحةِ النوم ، وتعرفون ما يصل إليه حال الذي يُعدم النوم من اضطرابٍ وإرهاقٍ ذهنيٍّ وسقم جسدي وهيجانِ قوةِ التخيُّل .

ونلاحظ هنا أَنَّ القرآن الكريم يستخدم نفس وصف « السكن » في حديثِه عن خلقِ نعمةِ « الليل » للنومِ وعن خلقِ الأزواجِ ، فحال الذي لا زوجةَ له ،

---

(١) سورة الروم / ٢١ .

وحالُ التي لا زوج لها هو كحال الشخص الذي يفتقد النوم ، فكلا الزوجين سَكَنٌ للآخر ، وعلينا الحذر مِنْ تدميرِ ذلِك .

٤ ـ الرجل والمرأة أحدهما زينةٌ للآخر :

ومثلما يوضح القرآن أنّ كُلًّا من الرجلِ والمرأةِ عامل استقرار للآخر يؤكّد كذلك أَنَّ كلًّا منهما زينة للآخر ، يقول ـ تعالى ـ : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[٢] .

ولـ « لباس » هنا معنيانِ أو ثلاثة ، أحدُها هو « الزينة » فيكون المعنى هو أن المرأة زينةٌ للرجل مثلما اللباس زينةٌ له .

ونفس الأمر يصدُق على الرجلِ بالنسبةِ للمرأة ، ويَشْهَدُ على هذا المعنى أنّ القرآن أطلقَ مفردةَ « الزينةِ » في الحديثِ عن اللباس مثل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[٣] .

فالمرادُ هنا هو الأمرُ بارتداءِ الألبسةِ الجيِّدةِ عندَ الخروجِ والذهاب إلى صلواتِ الجماعةِ والجمعةِ والاهتمام بالنظافة والزينة .

وعليه يكون معنى ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ أَنّ النساءَ زينةٌ لكم وأنتم زينةٌ لهنَّ .

والمعنى الآخَرُ للآيةِ هو أَنَّ الزواجَ يُحْصِنُ الرجلَ والمرأةَ من الانحراف ، وهذا مبحثٌ آخرُ سنتحدّثُ عنه غداً ـ إنْ شاءَ الله .

والمعنى الثالث هو أن كلًّا من الرجلِ والمرأةِ سترٌ للآخرِ ، فالرجل بلا

---

(٢) سورة البقرة / ١٨٧ .

(٣) سورة الأعراف / ٣١ .

زوجةٍ مكشوفُ العورةِ ، وكذلك حالُ المرأة بلا زوجٍ .

فالآيةُ الكريمةُ تؤكِّـدُ أَنَّ الرجـلَ والمرأةَ كـلٌّ منهما زينـةٌ للآخـر ، فيجب حفظ هذهِ الزينة ، يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : « المـرأةُ قِلادة فـآنظُرْ إلى ما تُقلِّده » .

فالمرأة للرجل مثل القلادةِ .

ولذا يجب الاهتمام باختيارِها ، ثم يتابع (عليه السـلام) التأكيـد لأهميَّةِ أمرِ الاختِيار ، فيقول : « ليس للمرأةِ خَطَرٌ ، لا لصالحتهن ولا لطالحتِهنَّ .

أمَّا صالحتهن ، فليس خطرها الذهب والفضة ، بل هي خيرٌ من الـذهبِ والفضة .

وأَمَّا طالحتُهن ، فليس التراب خطرها ، بل التراب خيرٌ منها »[٤] .

ونفسُ الأمرِ يصدُق على الرجل ، فلو كان يتحلّى بالرجولةِ وكانت زوجتُـه راضيةً عنه ، فهو نعمة كبرى للمرأةِ تفوق كلّ الدنيا وما فيها .

فالإمام الصادق يُبين هنا أَنّ على الزوجينِ أن يعرفا عظمةَ قدرِ النعمةِ التي هُما فيها ، إذا كانا منسجمينِ فيما بينَهُما وكان كلٌّ مِنْهما زينةً للآخَر .

٥ ـ موطن السلوى والسرور :

إضافةً إلى كـونِ الزوجِ والـزوجةِ سَكَنـاً وزينةً بَعْضهم لِبعض ، فـإنَّ كُلاً مِنهما سلوى وعاملٌ للترفيهِ عن الآخر ، وأَفضلِ عاملٍ في هذا المجـال إذا كان البيتُ هو حقّاً كما يريدُه الإسلامُ وكان سلوكُ كلٍّ منهما على وفْقِ تعاليمِه .

ولعـلّ في محفِلنا هـذا أشخاصـاً تتطلَّع قلوبُهم دومـاً إلى بيوتِهم والعـودة

---

(٤) جامع أحاديث الشيعة ج ٢٠ كتاب النكاح ص ٥٧ حديث رقم ١٩٦ نقلاً عن فـروع الكافي ج ٥ ص ٣٣٢ .

إليها بعدَ انتهاء عملِهم اليومي ، لكي يُـذهبوا عن أَنْفُسِهم فيهـا التعب والنصب والهموم ، ويستعيدوا الحيوية والنشاط .

ولعلّ في هذا المجلِس سيّدةٌ تحرص على انتظار زوجِها لِتفتح له البـابَ بنفسِها ، وتزيلَ تعبَهُ ونَصَبَهُ بنظرةٍ وابتسامةٍ واحدةٍ .

ولهـذا يقول النبي الأكـرم (صلّى الله عليه وآلـه) : ـ « ما استفـادَ امـرُؤٌ مسلِمٌ فائدةً بعدَ الإسلامِ أفضلَ مِن زوجةٍ مُسلِمةٍ تَسرُّهُ إِذَا نظر إليها »[٥] .

ونلاحظ أنّ الروايـات الشريفـة تعتبر المـرأة الصالحـة أفضلَ من الـذهبِ والفضةِ ، بل لا تعتبرُ شيئاً بعدَ الإسلامِ أعظمَ قيمةً منها .

وعلى الـذين لهم مثلهـا ، كمـا على النسـاء اللواتي يحـظَيْنَ بـأزواجٍ صـالحينَ بحيث يبعث كلّ منهم السـرور لدى الآخـر أَنْ يحمَدُوا الله على ذلـك كثيراً .

والذي يريدُه الإسلام هو أن يكونَ البيتُ الزوجيُّ مبعثاً للسرور .

وأفضـلُ أشكال السـرورِ هو الـرفقةُ الـوديةُ بين الـزوج والـزوجـة ، فعلىٰ الأزواجِ أن يتعاملوا مع زوجـاتِهم بما يبعث السـرور لديهنَّ ، وعليهِن أن يفعلن مثل ذلك .

يُروى أنّ رجلاً جاءَ إلى الرسولِ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) وأَخْبَرَهُ أَنَّ لَدَيهِ زوجةً تتعامَلُ مَعَهُ علىٰ وفقِ تلك الصورةِ المتقدِّمةِ الباعثـة للسرورِ في قلبِـه المـزيلة للتعب والنصب عنـه ، فقـال (صلوات الله وسـلامـه عليـه وآلـه) : « . . . خيرُ نسائكم . . . الهينةُ اللينةُ المؤاتيةُ التي إذا غَضِب زوجُها لم تكتَحِلْ (عينها) بِغَمْضٍ ، حتى يرضى وإذا غابَ (عنها) زوجُهـا حَفِظَتْـهُ في غَيْبَتِه ، فتلك عاملةٌ مِن عمّالِ الله وعامِلُ الله لا يَخِيب »[٦] .

---

(٥) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٢٣ .

(٦) جامع أحاديث الشيعة ج ٢٠ ص ٣٨ حديث رقم ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ والأحاديث الثلاثة مـروية =

فهـذه المرأة هي مثـل الملائكـة وثوابهـا وعملها عـظيم ، وكذلـك حـالُ الرجلِ إذا كان على نفس تلك الحالة .

عليكم ـ أزواجاً وزوجات ـ أن تنتبهوا لكي لا تحطموا هذه الحـالة ، فلن يبقى لكم بعدَها مَنْ تسكنون إليهِ ، وتَبُثُّونَهُ همـومَكُم فطرف الـزوجيةِ الآخَـر هو الـذي يُزيـلُ عنكم الاضـطرابَ ، ويحـولُ دون الإصـابـةِ بضعفِ الأعصـاب ، وابتساماتُ الزوجةِ وحديثُها الوديُّ هو الذي يجعل البيتَ موطِنَ السرور .

وإذا زالت المحبّـة والـودُّ مِن البيتِ أصبـح ملوّثـاً ليس للزوجينِ وحسب ـ ويا ليت الأمر ينحصر بذلك ـ بل يصبح أفسدَ من كلِّ مركزٍ فساد .

فـإذا رأيتُم الأطفالَ ضعيفي القـابليات والمـواهبِ ذوي حـافـظةٍ ضعيفـةٍ وتزداد ضعفاً يوماً بعدَ آخر ، فاعلموا أن التقصيرَ صادرٌ عنكم ، فعـادةً ما يكـون الـوالدانِ سَبَبَ أشكـالِ الاضطرابِ الـذي يظهـر عندَ الأطفـال فـإنَّـهُ إذا انعـدمَ الاستقـرارُ والـطمـأنينـةُ في البيتِ تحـوَّل إلى سجنٍ للمـرأةِ وعـامـلٍ لانهيـار الأعصاب ، فلا يعود موطِناً للسرور .

يحدُثُ أحياناً أنْ يرغبَ الزوجُ في البقاء إلى مُنتَصفِ الليـلِ في زاويةٍ مِن الزقاقِ أو في المقهىٰ ، ويفضل ذلكَ على الذهابِ إلى بيتِهِ .

وأحياناً تجد الزوجة لا ترغب في النظرِ إلى وَجْهِ زوجِها . وسبب ذلك هو تدميرُنـا لتلك الحالـةِ المطلوبـةِ في بيتِ الزوجيّـةِ ، وكونـه محل السكن ، عبـر الكلمات الجارحة والطلبات غير المناسبة ، في حين أن المـطلوب هو أن تـظل تلك الحالة قـائمةً بين الـزوجينِ ، حتى بعد أن يَشِيخـا بحيث يظهـر كلٌّ منهمـا جميـلاً في عين الآخر ، فـلا تتصوروا أن الجمـال هو فقط بهـذه الزينـة ، لا ، فالجميل الحقيقيّ هو الذي يكون جميلاً في عين الإنسان .

عن الإمام الرضا عن جدّه الأمير وعنه عن رسول الله (ص) دون قصةِ مجيء الرجل للرسول التي أوردها الشيخ في المتن ، وقد وردت قصة الرجل في روايات أخرى . .

جاءَ في قِصَّةِ « ليلى والمجنون (قيس) » ـ ولعلَّها ليست حقيقيـة ، لكنّ فيهـا وفي قصة « شيـرين وفرهـاد » عبرٌ لـطيفة ـ أنّ العشق بين ليلى والمجنـون وصل أسماع الملك في ذلك الزمان ، فاستدعاهما كلاهما ، وعندما ذهبا إليه ، رأى أنّ ليلىٰ مـا هي إلاّ بدويـة سوداء بشفـاهٍ عـريضـة ، وليست جميلةً أَصْـلاً ـ فتعجَّب الملِك من ذلك ومِمّا قالَهُ فيها مجنونهـا كل أشعـار العشق تلك ، فَفَهِمَ المجنونُ سِرَّ تَعَجُّبِه ، فأنشد شِعراً طريفاً للغايةِ قال فيه : ـ

إذا نـظرت بـعيـن « الـمـجـنــون » فلن ترى في ليلى غيرَ الجمال !!(٧)

فهو (قيس) ينظر إليها بِعينِ الحُبِّ والعِشق ، وعندما يقولون له : ويحكَ إنّها سوداءُ يُجيب بِأَنَّ « المِسك » كلّما كان أشدَّ سواداً اشتدَّتْ رائحتُهُ طِيباً !! .

وهكذا يُسوِّغُ نقائصَها .

وإذا أَحبَّتِ المرأةُ زوجَها لم تعد ـ حينئذٍ ـ قادرةً على تصوُّرِ النقصِ فيهِ ، وحتّى لو تحدَّث شخصٌ عن ذلـك ـ من بابِ الحِـرص ، كأن تكـونَ والدتُهـا أو والـدها مثـلاً ـ تصـدَّتْ لهمـا ودافعت عن زوجهـا ؛ ولـو أحبّ الـرجـلُ زوجتَـه أصبحتْ في عينِه أجملَ النساءِ حتّى لو لم تكن جميلةً أصلاً .

ولكن مـا تقـدَّم لا يستـدعي أن تـذهبَ النســاءُ إلى السَّحَـرةِ من أجـلِ استِجلابِ محبَّةِ الزوجِ ، فهذا خـطأٌ ومعصية كبيـرة ، فقد روي أنّ امـرأةً قالت لـرسول الله (صلّى الله عليـه وآلـه) : ـ « إنَّ لي زوجـاً وبـهِ عليَّ غِلْظَة ، وإنّي صَنَعْتُ شيئاً لأَعْطِفَـه عَليَّ (لجأت إلى السحـر) ، فقال لهـا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « أُفٍّ لكِ ، كَدَّرْتِ البحارَ وكَدَّرْتِ الطين ، ولعنتك المـلائكةُ الأَخيارُ وملائكةُ السمواتِ والأرضِ » فصـامتِ المرأةُ نهـارَها ، وقـامت ليلَها ، وحلقت رأسهـا ، ولبِست المسـوح ، فبلغ ذلـك النبي (صلّى الله عليـه وآلـه)

---

(٧) ترجمة نثرية لبيت شعر بالفارسية .

فقال : « إنَّ ذلِك لا يُقْبَلُ مِنْها »(٨) .

ومعنى عدمِ قبونِ ذلِك هو أن تـوبَتَها تكـون بقيامِهـا بواجبـاتِ الزوجيّـةِ ورعايةِ زوجِها ، وليس بتركِ الحياةِ والانشغال بالعِبَاداتِ .

فعلىٰ وَفْقِ ما يُبَيِّنُهُ النبيُّ الأكرم (صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آله) فإذا أَرَدْتِ أَنْ يُسَرَّ زوجَك بالنظرِ إليكِ ، ويراكِ خَيْرَ النساءِ فعليكِ بالقيـامِ بواجبـاتِ الزوجيةِ ورعايةِ البيتِ والأطفال ، وعندها سيُحبُّكِ زوجُك مهما كان سيِّئاً .

وإذا أردتَ ـ أيُّهـا الـزوجُ ـ أنْ تستجلب حبَّ زوجتِـك ، فـأعـرض عن الكلامِ الجارحِ وسَلاطةِ اللسان .

فهذا أحدُ العـواملِ المـزيلةِ للمحبّةِ ، فعليـك أن تجتنب تقريـع زوجتِكَ بمجرَّدِ دخولِك المنزل ـ والعياذُ بالله ـ ، فإذا كانت لديك مشاكلُ وهمـومٌ خارجَ البيتِ ، فتناساها عندَ دخولِك البيتَ ، فليست زوجتُك هي التي أوجدتْها لك .

واجتنب الصُّـراخَ والسُّبابَ لـلأطفالِ فمِثْـلُ ذلِك مِنَ الـذُّنوبِ الكبيـرة ، فإساءةُ الخلقِ مع العِيالِ تُورِثُ ضغطة القبر .

يُروى أَنَّ أَحدَ خواصِّ أصحابِ الرسول ـ وهو سعدُ بن معاذ ـ ماتَ فشارك (صلّى الله عليه وآله) في تشييعه ، وأنزله القبرَ بيـدِه المباركـة ، فغبطه النـاسُ على ذلـك ، فقال (صلّى الله عليـه وآله) : ـ « مثـل سعد يُضمُّ ؟! (بضغـطة القبـر) ، فقـال الـراوي قلتُ : ـ جعلتُ فـداك إنـا نحـدث أنـه كـان يستخفُّ بالبول ، فقال (ص) : معاذَ الله إنما كان من زعارةٍ في خلقه مع أهلِه(٩) .

أَجـل ، فالمسلِمُ ليس فحّـاشاً ، وليس من الـرجـولـةِ أن يضـرِبَ الـزوجُ زوجتَهُ ، وليس ذاكَ مُسْلِماً ، ولا ينبغي له تقصِّي الهفواتِ الصغيرة ، فمِثلُ هـذا

---

(٨) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١٨٤ .

(٩) الزعارة : شراسة الخلق والحديث مروي في الكافي ج ٣ ص ٢٣٦ الحديث رقم ٦ . .

يعرضه لضغطةِ القبرِ وسخطِ الله والرسول الأكرم والأئمة الطاهرين .

فليعلم الـزوجُ الفحّـاشُ والـزوجـةُ السليـطةُ اللســان على زوجهــا ، أنَّ الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) يقول : ـ « . . . لـو رأيت الذين يـأكلون الناسَ بألسنتِهم وقد بَسطتها بسطَ الأديمِ وضُربت نـواحي ألسنتِهم بِمقامعَ مِن نـارٍ ، ثم سلّطت عليهم مـوبخـاً لهم يقـول يـا أيّتُهـا النـارُ هـذا فـلان السليطُ فاعرِفُوه . . »[١٠] .

في بعضِ الأحيانِ نرى رَجُلاً وجيهاً ـ في الظاهِرِ ـ لكِنّـه يصِلُ بـه الجهل حدّ مخاطبة ابنِه بـ « ابنِ الكلب . . . » بمعنى أنه يسبُّ نفسه ، وواضحٌ أنّ هذا الأب سيصبـح كذلـك ، فإنّ الفحّـاش في بيتِه يتحـوّل إلى وحشيٍّ في تعامُلِهِ ، وهذه الحالة تُصبح ملكةً ، ثم هُويَّة له ، فيظهر بحسبِ قانونِ تجسُّمِ الأعمـالِ بصورةِ الكلب ، وإن كان نفسه لا يرى ذلك ، إلاّ إذا كانت لديه عين البصيرة ، كـان يقول : ـ « رأيتُ فـلاناً بصـورة كلب في عالم الـرؤيا ؛ فسـألته لقـد كنت إنساناً جيداً فلماذا أصبحتَ على هذه الحالـة ، فقال : ـ آهٍ من سـوءِ الخلق مع العيال ، قالها ثلاثاً » .

وحقّاً إنّ الذي يخاطب أطفالَـهُ بمِثلِ ذلِـك أو يشتُمُ زوجتَهُ هـو كلبٌ حَقّاً ولو كانَ الذين يرونه هم من أمثالِ صـدرِ المتألّهين أو العـلاّمة المجلسي لـديهم كشف وشهود ، لَشاهَدُوهُ كَلْباً متوحِّشاً .

فيـا أيتها السيِّـدة ، تجنّبي سُوء الخلقِ ، وإلاّ لمـا كـانت صـورتُـكِ عنـدَ ملائكةِ السماءِ وعند أهلِ القلبِ سوى صورةِ كلبٍ ، حتى لو كنتِ عنـدَ الناسِ تحظين بالجمال والشباب والاحترام والألبسة الجيِّدة .

ويا أيها الرجل إذا كان خُلقُك هـو ذاك ، فاعلم أنّـك عندَ المـلائكةِ كلبـاً

---

(١٠) سفينة البحار ج ١ ص ٣٣٧ ، والحديث قريبٌ في مضمونه من الترجمة التي أوردها الشيخ في المحاضرة حيث ذكر مصاديق ما يشير إليه الحديث الشريف . .

يرونكَ على هذهِ الصورةِ ، حتى لـو كنتَ محترمـاً للغايـةِ بينَ الناسِ وكـان لك نفوذٌ ومالٌ وجاهٌ وقوّة .

وتُشير الأحاديثُ الشريفةُ إلى أنَّ الذي يرتكب أمثال سوء الخلق والضربِ والسبّ مـع العيال تـظهر روحُـه بصورةِ كَلْبٍ ، ويُخـاطب بهذا الـوصف « أيّهـا الكلب : ماذا تفعل » مُنذ صعوده إلى السماءِ الأُولى ثم الثانية والثالثـة والرابعـة وعلى نفس هـذه الحالـة إلى السابعـة واللوح والقلم وبالأخيـر إلى عـرشِ الله والحضرة الربوبيّة المقدّسة .

بمعنى أنّه يذهب لله ـ تعالى ـ على هذه الصورة .

وعلى العكس من ذلك حال الذي يلتزمُ لِما وَرَدَ في موضوعِ هذا اليوم ، أي أن يكون كلٌّ من الزوجينِ سَكَناً وزينةً ومبعثاً للسرور لدى الآخر .

فعنـدمـا تصعـدُ روحُـه إلى السمـاءِ تخـاطب بـ « جـاء السيِّـد أو جـاءتِ السيِّدةُ ، جاء المؤمن . . . » .

ويحـظى برضـا الله عندمـا يلقاه ومعلومٌ مـآلُ من يحظىٰ بـذلك مثلمـا هو معلومٌ أيضاً مصيرُ من يسخط الله عليه .

اللهمّ ، إنّا نُقْسِمُ عليك بأطفالِ أبي عبدِ الله الحسُينِ (عليه السـلام) أنْ تتفضَّـل علينا جميعـاً ـ زوجاتٍ وأزواجـاً ـ بـأنْ تجعـلَ بيـوتَنـا مَـوطِنـاً للسـرور والاستِقرار ، وأن يكونَ بعضُنا زِينةً للبعضِ الآخَر .

اللهمَّ ، إنَّا نُقْسِمُ عليكَ بعزَّتكَ وجـلالِك أنْ تتكـرَّمَ على أولادِنا ـ ذُكـوراً وإناثاً ـ بزوجاتٍ وأزواج ، يكونون قُرَّةَ أَعْيُنٍ لهم في الدُّنيا والآخِرة .

المحاضرة الحادية عشر :

الفصل الرابع

٦ ـ تهذيب النفس
● مقام الصبر
٧ ـ الأسمى من نافلة الليل

٦ ـ تهذيب النفس :

الفصل الرابع من بحثِنا هو حول تأسيسِ الأُسْرَةِ وفوائده وقد تحدَّثنا فيما سبق عن خمسٍ منها .

ومِن الفوائدِ الأُخرى المُهمَّةِ هنا هو تهذيبُ النَّفسِ بل الوصول إلى مقامِ التحلية بمعنى أنَّ الرجل والمرأة ـ بالخصوص ـ يستطيعان تهذيبُ النفس وتحقيقَ مقام التخلية ، بل تحقيقَ مقامِ التحلية واكتِساب الفضائل في بيتِ الزوجية . وتحقيقُ هذينِ المقامينِ أمرٌ صعبٌ للغاية ، كما يؤكّد علماءُ الأخلاق ، إذْ ينبغي أن ينجح الإنسانُ أولاً في استِئصالِ الصفةِ الرذيلةِ ، ثم يغرس في نفسِه شجرةَ الفضيلةِ ، ويكتسب إحدى الصفاتِ الإنسانيَّةِ ، ولا يستطيع بنو الإنسانِ ـ عادةً ـ طيَّ هذهِ المنازلِ ، لأنَّهم لا ينشطونَ في العَملِ في هذا المِضمارِ : ـ

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾[1] .

فهذه العقبات صعبة ، ويصعب علىٰ الإنسان عادةً أن يُحرر نفسه من الصفات الرذيلة ويستأصلها من نفسِه ، بل يصعب أن يكبح جِماحها على الأقل .

---

(١) سورة البلد / ١١ ـ ١٣ .

ولكن بتحقيقه ذلك يصل إلى المقام الثاني وهو غرس شجرة الفضيلة محلّ شجرة الرذيلة التي استأصلها ، وهذا أصعبُ من الأول ، كأن يتخلصُ من الجزع والفزع ، ويكتسب ملكة الصبر بدلاً من ذلك .

فهذا أمرٌ صعبٌ يستلزم ـ كما يقول علماءُ الأخلاق ـ عملاً دؤوباً مستمراً ليلاً ونهاراً ، إذْ إنَّ النفس الأمّارة (بالسوء) مثل الفيل الذي علىٰ صاحبِه أن ينتبه عليهِ ويردعه باستمرار لأنَّه إذا غفل عنه لحظة ، جلب البلاءَ علىٰ نفسِه وعلىٰ صاحبِه .

كذلك حال النفس الأمّارة ورذائل الصفات ، فهي تحتاج إلى مراقبتِها ليلاً ونهاراً وكدحاً مستمراً لكي يستطيع الإنسان استئصالَها ويُخليَ نفسَه منها ، واعلموا أن هذا هو الهدف من بعثة الأنبياء ورسالاتهم كافة ، يقول ـ تعالى ـ :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنهم يتلوا عليهِم آياتِهِ ويُزكِّيْهِم ويُعلِّمهُمُ الكِتابَ والحِكمةَ ﴾(٢) .

فالنبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) جاء بمعجزةِ القرآن من أجل تهذيب الناس وتزكيتهم ورفع مستواهم الثقافي ، أي للتعليم والتربية وبحَسَبِ المنطوق القرآني للتربية (التزكية) والتعليم .

وهذا أمرٌ صعبٌ وقد بذل الأنبياء من أجله جهوداً مضنية ، لكنهم لم يُحقّقوا ما أرادُوا بالكاملِ فهو أمرٌ صعبٌ .

إنّ على كلا الزوجين ـ والمرأة خاصة ـ الانتباه إلى أنّ بيت الزوجية مدرسةٌ وكتابٌ ومعلّمٌ للأخلاق ، وأن تأسيسَ الأُسرةِ يعني تشكيل مجلس أخلاق . والبيت الزوجي يقوم ـ في الواقع ـ بمهمةٍ مزدوجةٍ إذْ يحدث أحياناً أن يجتهد معلّمٌ أخلاقي لتهذيب تلميذه فإذا تحقق ذلك ينقله إلى مقامِ التحليةِ ،

---

(٢) سورة الجمعة / ٢ .

أي : يجعله يكتسب الفضائل الإنسانية .

ولكن يحدث أحياناً أُخرىٰ أنّ معلم الأخلاق وفي نفس الوقت الذي يعمل فيه لتهذيبِ تلميذه يزينه بالصفات الإنسانية .

وهذا هو حال الأُسرةِ (الإسلامية) ، وهذا هو عمل كلٍّ من الزوجين تجاه الآخر ، وعملُ كلٍّ مِنهما تجاهَ الأطفالِ وكذلك عمل الأطفال تجاه الوالدين ، فالجميعُ يقومون بمهمةٍ مزدوجة .

● مقام الصبر

إذا كان الزوجانِ يقظينِ ، فهما قادران على إبعاد الجزع والفزع عنهما ـ من خلال الخدمة المتبادلة وتربية الأطفال ـ ، وعلى استِئْصالِ هذه الصفة الرذيلة التي تبدو وكأنها جزءٌ ثابت في ذاتِ الإنسان ، حتى إنّ القرآن الكريم يقول : ـ ﴿ **إنَّ الإنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وإذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إلاَّ المُصَلِّينَ** ﴾(٣) .

فالإنسانُ مثلُ الحصى الصغيرة المتناثرة في الأَزِقّة تنقلها أقدام المارّة ـ أيّاً كانوا ـ من هنا إلى هناك وهكذا ، وهذا الهلعُ يجعله يجزع لأدنى مصيبةٍ تصيبُهُ ، ويجعلُه يتكبّر إذا أقبلت عليه الدنيا .

فصفة الجزع والفزع مذمومةٌ في علم الأخلاق ، والمتّصف بها يتأذّى من الكلمةِ الصغيرة والعمل الصغير غير المؤدّب الذي يصدر عن ولده ، فيرتفع صراخه بسبب ذلك .

وهذه الصفة السيئة موجودة عادةً في الناس .

أما الصفة (الحسنة) المقابلة لها ، فهي صفة الصبر والاستقامة التي يؤكّدها القرآنُ الكريم كثيراً يقول ـ تعالى ـ : ـ ﴿ **إنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم**

---

(٣) سورة المعارج / ١٩ ـ ٢٢ .

بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٤) .

فلكلِّ عملٍ ثواب بِمقدار عاملِ الخدمة (القيمة) فيه ، فللصلاة أجرها المحدد وكذلك حال الصوم والخمس والزكاة وحتى الجهاد .

أما العمل الذي لا حدَّ لثوابه ، فهو الصبر على المصائب والبلاء ، الصبر في تربية الأطفال صبر الزوجة على مساوىء زوجها ، وصبر الزوج على مساوىء الزوجة ، وخير محلٍ للصبر هو بيتُ الأُسرةِ ، فإذا كان الزوج يقظاً (مراقباً) استطاع أن يصبحَ إنساناً بالصبر على سوءِ أخلاق زوجتِه ! ويصل مقام الصبر .

وللجنّة ثمانيةُ أبوابٍ أحدها خاص بالصابرين على البلاء والمصاب ، وعن المعصية وعلى الطاعة والعبادة ، فهؤلاء يدخلون الجنة من هذا الباب وهو أفضلُها ، إذْ يدخلُ منهُ الأئمةُ الطاهرون ، فقد واجهوا الكثير من المصائب وصبروا عليها ، فالإمام الحسين (عليه السلام) يدخل منه .

أُسرُ الشهداءِ المحترمة إذا تحلّت بالصبر وانتبهت على أنّ للمصائب التي حلَّت بهم جنبةً تربويةً بنّاءةً .

كما يدخلُ من هذا البابِ الزوجةُ التي تُرَبِّي أبناءَها تربيةً بصورةٍ صحيحةً ، وتصبر على المشاكل وتلك الصابرة على مساوى زوجِها ، وذاك الزوج الذي يتجنّب الانفعالَ تجاه الأمور التي لا يرغب فيها في البيت ، فلا يجزع ولا يفزع لذلك .

والأسمىٰ من ذلك ومن الجنّة هو أن ينجح الإنسان في تخليةِ نفسِه من صفةٍ رذيلةٍ وغرسِ فضيلة محلّها .

ولقد قلتُ مِراراً إنَّ جدارةَ الإنسانِ لا تثبت في الذهابِ إلى الجنّةِ أو عدمِ

---

(٤) سورة الزمر / ١٠ .

الذهاب إلى النـار ، فقِلةٌ من شيعةِ أميـرِ المؤمنين (عليه السـلام) يذهبـون إلى النـار وإنْ عانـوا العذابَ في البـرزخ والقبـر ، حتى الـذين يـذهبـون إلى جهنّم فمكوثهم فيها مؤقت .

فليست الجـدارة إذن في عـدم دخـول النـار ، فـالمجـانين أيضـاً لا يدخلونها ، ولا في دخول الجنة فالأطفال يدخلونها أيضاً بغير حِسـاب إذا ماتـوا صغاراً ، فإذا دخَلْتها أنتَ أيضاً بغيـرِ حِسابٍ ، فليس ذلـك علامـةَ جدارتِـك ، فعلامة الجدارة هي الحصول على رضا الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، هي أن يجعـل قلبَهُ محلاً وعرشاً لله في هـذه الدنيـا : ـ « قلبُ المؤمن عرش الـرحمن » ، ومَنْ يستطيع ذلك ؟! .

إنه الذي ينجح في تحقيقِ مقامَي التخليـةِ والتحليةِ أي أن ينجـح في قلع شجرة الرذيلة وغرس شجرة الفضيلة .

وبيت الزوجية هو معلّمٌ جيدٌ في هذا المجال ، فالعفو والتضحيـة والإيثار هي من الفضـائل التي لا تُـوهب لأيٍّ كـان ، في حين أنَّ ضيق الأفق والتعـامـل الخشن (سوء الخلق) والروح الانتقـامية هي من الصفـات الموجـودة أيضاً في الحيوانات المتوحشة .

وأفضل مكانٍ يستطيع فيه الإنسان التخلُّصَ من هذِه الرذائل ومن البخل ، والتحلي بفضائل الإيثار والتضحية والعفو هو البيت .

إن التربية الصحيحة هي التي لا يكون فيها ضربٌ أصـلاً ، فغلبة القـوي على الضعيفـ ـ بمعنى أن يقتدر على ضرب زوجتـه ، فيفعل ـ هي من صفـات الحيـوانات ، فمثـلاً ضعوا مقـداراً من العلفِ أمام حيـوانَين ، عندهـا تـرون أنّ الأقوى يزيح الآخر ، ويأكلُ العلفَ وحدَه .

وهذا هو حال القوى التسلطيـة في عالم اليـوم أمثال أمـريكة ، والاتحـاد السوفيتي وفرنسة وإنلجترة وغيـرها مِن البلدان التي يحكمهـا منطق غلبـة القوي

على الضعيف .

بمعنى أن دأبها هو امتصاص دماء المستضعفين .

والزوج الذي يضرب زوجته في البيت يعمل على وفق منطق الغاب هذا ، فهو حَيْوانٌ ، وليس إنساناً مسلماً .

حتى لو كانت المرأة مخطئةٌ بالكامل ، فلا ينبغي للزوج أن يضربها .

فلو ضربها واحمرَّ وجهُهَا ، لأصبح مَديناً لها بمِثقالٍ من الذهب .

وإذا اسوَدَّ بدنُها ، كان دينُهُ لها ثلاثة مثاقيل ذهب .

أيجوزُ ضرب الزوجة عندَ تَقْصِيرِها تقصيراً فادحاً ؟! .

وهل يجوز ضربُ الطفل دونما داعٍ ؟! وهل يجوز سَبُّها وسبه ؟! .

إنّ هذه الظواهِرَ ليست من عمل الإنسانِ ، بل أفعال الكلاب المتوحّشة أمثال صدام وريغان .

ولذلك تُنصب يومَ القيامة خيمةً من نارٍ ، ويضعون فيها الظلمة سواءٌ أكان رجلاً ضرب زوجتَه أو زوجةً عنَّفَتْ زوجَها .

وتذكر الأحاديث الشريفة أنّ مَن أعان الظلمة ـ حتى بوضعِ الحِبرِ في دواةِ الظالم ـ يُأخذون إلى تلك الخيمة فيبقون فيها حتى تنتهي محاسبة الخلق وعدها يَدخلونهم جهنم جميعاً ، والسبب هو أنه كان يظلم زوجته بضربِها .

ولو أصبح مثل ريغان ، لكان قد ضَرَبَ العالم كله ؛ أي لو امتلك قوةً كبرى عالميةً ، لظم العالمَ أجمعَ .

ولو امتلك قوةَ السيطرةعلى بلدٍ أو محافظةٍ أو مدينةٍ أو قرية ، لظلمَ ما تسلّط عليه وإذا لم يكن قادراً على ذلك ضرب زوجتَه وأطفالَه .

وإذا كانت زوجته متسلّطةً عليه ضرب قطة !! .

ضربُه القطة يكشف أن جذورَ الظلمِ حيّةٌ فيه ولو تسلّط على الدنيا ، لظلمها .

مَنْ يستطيع الحصول على مقام التسامح والإيثار والتضحية ؟! .

ومَن يقدر على التخلص من ضيق الأُفق ويستبدله بسعةِ الصدر ؟! .

إنّها السيدة التي تعفو عن سيئات زوجِها ، ولا تطلع أحداً ـ حتّى والديها ـ على ما يقوله وتصبر على مساوِي زوجِها وتُناجِي ربَّها بالقول :
ـ « اللهمَّ إنني ألتزم عُرى الصبر سعياً لِرضاكَ ، فقد أمرت بالصبر .

اللهمَّ آغفرْ لي وآغفرْ له ، فقد ضربني .

اللهمَّ واهدِني وإيّاهُ واجعلْنا معاً من أهل الجنة » .

فمثل هذه السيدةِ تكتسب من خلال ذلك سعةَ الصدرِ ومقامَ الإيثارِ والعفو والتضحية ، ولذا تُحْشَرُ مع الزهراءِ (عليها السلام) التي كانت تتحلّى بهذِه الخصال حتّى إنَّها هي وأُسرتُها كانوا صائمين وقد أعدّت بيديها المباركتين لإفطارهم خمسة أرغفة من الخبز ، ولكن عندما جاءَ سائل يستعطيها أَعطتْهُ تلك الأرغفةَ ، وأفطرتْ وأطفالَها على الماءِ، هكذا حدث في اليوم الثاني والثالث.

وقد نزلت في ذلك آيةٌ من الذكر الحكيم : ـ ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً** . . . ﴾[٥] .

ولا تتصّوروا أنهم (عليهم السلام) لم يكونوا بحاجةٍ لذلك الخبز ، بل إنهم كانوا جياعاً وكان ذاك طعام إفطارهم .

هذا هو حال المرأة التي تصبر على المصائب والبلاء .

أمّا الزوج الذي يصبر على البلاء ويؤثر ويضحي ويعفو في تعامله في

---

(٥) سورة الدهر / ٨ .

البيت ، فهو يُحشَرُ مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ، قال ـ تعالى ـ : ـ
﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[٦] .

وقد ورد العديدُ من أسبابِ النزولِ لهذه الآية المباركة منها قصة الرُّمَّانةِ التي اشتراها الإمامُ علي (عليه السلام) للزهراء (سلام الله عليها) وكانت مريضةً ، ووصفوها لعلاجِها ، فقد عاد (عليه السلام) فقيراً ضريراً كان مريضاً ، فسألهُ عن حالِه ، فقال له : لو كانت لديَّ رمانةٌ واحدة لتحسنت صحّتي ، فأخذ الإمام تلك الرمانةَ (التي كان في غاية الحاجة إليها لمعالجة الزهراء) وأطعمها لهذا الفقير المريض حبَّةً حبَّةً بيده الشريفة .

والذي يريد أن يُحشر مع أميرِ المؤمنين (عليه السلام) فعليه الاقتداء بهذا الإيثارِ العلوي وهذه التضحية ، أي أن يتشبَّه بهِ .

ومعنى الشفاعة أساساً هو التشبُّه . فإذا أردتُم نيلَ شفاعةِ أهلِ البيت ، وإذا أرادت السيّدات شفاعةَ الزهراء ، فيجب عليكم التشبُّهِ بهم ، ويجب عليهن التشبّه بها (عليها السلام) بمعنى التحلّي بالتضحيةِ والإيثار والصبر على المصائب .

طوبىٰ لكم يا أُسَرَ الشهداءِ ، ويا أيَّتها الأُمهات والآباء الموتورون ويا أيُّها المعوقون والجرحى طوبىٰ لكم جميعاً إذا تحلّيتُم بالصبر .

طوبىٰ لكنّ أيَّتها الأرامل اللواتي تُربين أيتام الشهداء ، فلو كان شهداؤكُنَّ قد قُتلوا مرّةً واحدة ، وفازوا بالمقامِ اللاحقِ لمقامِ الأنبياءِ والأوصياءِ ، فاعلمن أنَّ لكنَّ كلَّ يومٍ مثل ثوابِ الشهيد ، فالشهيد ذهب للجبهةِ ، وقُتِل مرَّةً واحدةً .

أمّا أنتنَّ ، فإنّكنّ حاضرات كلَّ يوم في الخط الأوّل للجبهةِ ، وكذلك

(٦) سورة الحشر / ٩ .

حالكم يا آباء الشهداء .

إنّي كلما رأيتُ أُسَرَ الشهداءِ المحترمـة ، حصل عنـدي هيجانٌ داخلي ، فحياة هؤلاءِ الأرامل المتكفـلات بالأيتـام صعبة ، ولكن الإنسـان عندمـا يرى عاقبتها تهون مشاكلها .

فعندما يرى أنّ هذه السيدة تحصل بصبرها على ملكةِ الصبر ، وأنّ والدي الشهيد يستطيعان بصبرهما وعدم الجـزع والفزع الانتقـال من مقام التخليـة إلى مقام التحلية ، عندها يصبح الأمر ـ عندَهم ـ يسيراً ويسيراً جداً .

وواضحٌ أنَّ حياةَ الفقراءِ صعبة ، ولعلّه مـا مِن مرضٍ أشـدّ من الفقر بعـدَ مرضِ فِقدان الإيمان ، ولكن هل تعلم أيَّ مقامٍ يصله الفقير الصابر على فقـرِه أو المرأةِ الصابرة التي لا يستطيع زوجُها توفيرَ المصـارِف ـ بالـدرجة المـطلوبة ـ فتصبر ولا تظهر الحاجة ، وتشكر زوجَها وتسلّيه ؟! .

ورد في أحدِ الأحاديثِ الشريفةِ أنّ الله ـ تعالى ـ يتحدّث بلغةِ المعتذر مع الفقراءِ يومَ القيامـة(٧) ، أي أنّ الـزوج الذي يـرغب في أن يوفـر معيشة مـرفّهة لعيـالِه ولا يستـطيعُ وذاك الـذي يؤذيه عـدم استطاعتِـه تسديـدَ فروضِـه ، وتلك السيدة التي تحبُّ أن يكون أطفالها في رفـاهية ، فـلا يقدر زوجُهـا على ذلك ، فلا تشتكي له ، بل تُسلّيه ، هؤلاء يعتذر منهم الله ـ تعالى ـ يومَ القيامة .

فأيُّ مقامٍ أسمى من هذا ؟! .

فلا غرابة أن يُدخِلَ هذا الاعتِذارُ السرورَ على هؤلاءِ وعلى الـذين تحمّلوا المِحنَ والمصائبَ ، فيتمنون أنهم لو كانوا قد تعـرضوا في الـدنيا للتقـطيع إربّـاً

(٧) ورد هـذا المعنى في حديثين في كتـاب المحجـة البيضـاء في تهـذيب الأحيـاء ج ٧ ص ٣٢٣ (كتاب الفقر والزهد) ، الأول يرويه الغزالي عن الرسول الأكرم (ص) والثـاني يرويـه الفيض نقلاً عن الكافي للكليني عن الإمام الصادق (ع) . .

إرباً ، لتكون منـزلتهم في الآخرة أسمى ، الأهَمُّ من ذلـك هو أنَّهُم اكتسبـوا في هذا العالم ملكة الصبر .

البيت مدرسةٌ وأية مدرسـة ؟! فهي تنجزُ مهمـة مزدوجـة إذْ تمكِّن الإنسانَ من قلع رذائل الصفات ، وزرع شجرة الفضيلة .

فيـا أيّتها السيِّـدة إذا كان زوجـك سيئاً ، فـاصبري عليـه ـ من أجل الله ـ ولكي تتحلِّين ـ تـدريجيّاً ـ بملكـةِ الصبـر ، فتحلِّيـك بهـا خيـرٌ لـك من الـدنيـا والآخرة .

ويـا أيها السيـدُ ، اصبرْ إذا كـانت زوجتُك سيِّئـة الخلقِ وعليك بـالتحلِّي بسعةِ الصدرِ . وتكيَّف معهـا ، حتى تستأصـلَ تدريجيّـاً الجزع والفـزع وتغرس مكانه ملكة الصبر في داخل نفسك واعلم أن قلعك لتلك الرذيلة وغرسك لهـذه الفضيلة ، هو خيرٌ من الـدنيا والآخـرة وأسمى من الجنة ونعيمهـا ، فالله يـرسل عليـك بـذلـك صلواتـه ورحمتـه : ـ ﴿ . . **أولئـك عليهم صلواتٌ من ربّهم ورحمة** ﴾[8] .

٧ ـ الأسمى من نافلة الليل :

الفائدة الأخرى لتكوين الأُسرةِ هي أنها تعني إيجاد مسجد ، بل أسمى ، لأنّ ثواب حسن قيامِ المرأةِ بواجبات الزوجية وتربية الأولاد أعظم من ثـواب أيةِ صلاةٍ مستحبَّة ، حتى صلاة الليل ذات الأهمية الكبيرةِ جداً ، التي تُوصِـلُ إلى « المقـام المحمود » كمـا ينص على ذلـك القـرآنُ الكـريم ، فيقـول : ﴿ **وَمِنَ الليلِ فتهجَّدْ به نافِلةً لكَ عسىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحموداً** ﴾[9] .

فلا يستطيـع أحدٌ إدراك مـاهية هـذا « المقام المحمـود » إلّا الذي يصـل إليـه ، ولكنّ الأعظم من ثـواب نافلة الليـل هو قيـام المرأة بـإرضاع ولـدهـا في

---

(٨) سورة البقرة/ ١٥٧ .

(٩) سورة الإسراء / ٧٩ .

الأسحـار ومناغـاتِهِ حتى ينـامَ أو قيام الـزوجين بواجبـات الزوجيـة تجاه الـطرف الآخر .

وقد ورد في الأحاديث الشريفة أن اغتسال الزوجين من الجنـابةِ يؤدِّي إلى تطهيرِهِما مِن كافـة الذنـوب ،[10] وأنَّ كلَّ قـطرة من ماءِ الغسـلِ تُصبح ملكـاً يستغفـر لهما إلى يـومِ القيامة . وأنَّ أنفاسَ الحـاملِ ونـومها عبـادة ، وصعوبـة (الحمـل) عبادة ، فـإذا ولدتْ تـطهّرت من ذُنـوبِها مثـل طهـارةِ وليـدِهـا ، ثم تُخاطَبُ باستئنافِ العملِ واجتِنابِ المعصية[11] .

كمـا أنَّ للرجلِ الـذي يُعينُ عيالَـهُ في عمل البيت ثـواباً عـظيمـاً أوصله الـرسول الأعـظم (صلّى الله عليه وآلـه) إلى درجة ثـواب الشهيـد في حـديثِـه للإمامِ علي (عليه السلام) عندما رآه يُساعِدُ زوجتَه بتنظيف العدس فيما كانت تقوم الزهراء (عليها السلام) بسائر أعمال المنـزل[12] .

أتت إمـرأةٌ إلى النبي الأكـرم (صلّى الله عليـه وآلـه) وطـرحتْ قضيـةً لا تتعلّق بها وحدها ولا بنساءِ المدينةِ وحسب ، بل بجميعِ النساءِ إلى يومِ القيامةِ وسألتْ عن سِرِّ تمييزِ الإسلامِ للرجالِ على النساء ، فأنكر الـرسول (صلّى الله عليه وآله) ذلـك ، فأشـارتِ المرأةُ إلى عـدمِ استطاعـةِ النساءِ ـ مـع انشغالِهِنّ برعايةِ شؤونِ المنزل والأطفال ـ حضور صلواتِ الجمـاعةِ والجمعـةِ والمجالِس (الدينية) ، وعيادة المريض وتشييع الجنائـز وأداء الحج المستحب والأهم من كل ذلك عدم قدرتهن على المُشاركةِ في الجِهـادِ (وحرمـانهن بذلـك من ثواب كل هذه الأعمال) .

---

(١٠) راجع جامع أحاديث الشيعة ج ٢٠ ص ١٠ الحديث (٢٩) نقلاً عن دعائم الإسلام .
(١١) راجع مستدرك الوسائل ج ١ ص ٧٩ من الطبعة القديمة باب نادر ملحق بأبواب النفاس .
(١٢) الرواية ينقلها بكاملها المحدث الكبير التقي الشيخ عباس القمي في كتابـه القيم سفينة البحـار المجلد الثاني مادة « عدس » .

الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) سَرَّهُ ذلكَ القولُ (المعبِّر عن الشوق للطاعات وأعمال الخير) فتبسَّم ، وقال كلمةً موجَّهةً لنساءِ المدينةِ وعموم النساء إلى يومِ القيامةِ فَخاطبهنّ (في جوابه لتلك المرأة) : -

« حُسْنُ تَبعُّل إحداكنَّ لزوجِها وطَلَبُها مرضاته واتباعُها مُوافَقَته يَعْدِلُ كلَّ ذلك »[١٣] .

فهو يُبين أن ثواب حسن القيام بشؤون بيت الزوجية وإرضاء الزوج يعدل - بالنسبة للزوجة - ثوابُ حضورِها صلاة الجمعة والجماعة وعيادتها المريض وأدائها الحجَّ المستحبّ والجهاد والاستشهاد .

(ومع الأسف) فإنّ كافة النساء : - زوجات الكسبة والتجار والمثقفين وغيرهم ومن أهل المدن أو القرى واللواتي يحضرن المجالس الدينية وغيرهن قد أضعن « فتحات الدعاء »[١٤] فلا يعرفنَ ماذا يفعلنَ ، ونسين ما قالَهُ الله ورسولَهُ ؛ فالسيدة تتوهّم أنَّ الثواب فقط في الذهاب للحجّ في حين تفيد الروايات أنَّ للمرأة التي تُعِدُّ طعام إفطارٍ ، وتفرش المائدة ، ثم تجمعها (بعد الإطعام) ثواب الشهيد .

طلبت سيدةٌ مني أن أعمل ما يجعلُها تؤدِّي حجةً مستحبةً ، فقلتُ لها : إذا أردتِ ثوابَ سبعين حجَّة فأَعطِني المالَ (المخصص لهذه الحجة) لأُنفِقَه على الفقراء والضعفاء والمساكين والأغنياء من التعفُّف ، فالإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) يؤكّد أنّ توفير احتياجات أُسرةٍ واحدةٍ لمدة أُسبوعٍ أفضلُ من سبعين حجّة »

فغضبت هذهِ السيدةُ واستشاطت ، وقالت : - كلّا ، إذا استطعتُ ،

---

(١٣) راجع ميزان الحكمة ج ٩ ص ٩٧ .

(١٤) إشارة إلى القصة التي ذكرها العارف الرومي وقد تحدث عنها الشيخ في محاضرةٍ سابقة .

فآفعلْ وإلاّ قُل لا أَستطيع !! فأنا أريد الحج .

نعم ، لقد نسينا (عظمة) ثواب قيام الزوجة برعاية شؤون زوجها وأطفالِها وبيتها ، ونسينا أنّ « الكاد لعياله كالمجاهد في سبيل الله » .

أي أنّ عليك أيها الزوج أن تعلم أن لعملك ثواب الحضور في الجهاد إذا كان من أجل رفاهية عيالك وأن تبسمك لزوجتِك وشكرك لها وعملك لأجلها سيتحوّل إلى « حورٍ عينٍ » لك ، وهؤلاء لسنّ كنساء الدنيا ، فلو أتت واحدةٌ منهنّ إلى أهل الدنيا لأَغنتهم عن الحاجةِ للشمس ، ولهلك الرجال عشقاً لها ، فالزوجان اللذان يحسن كلّ منهما تعامله مع الآخر ، ويتحابان إنما يخلقان بذلك لأنفُسهم « حوراً عيناً » وكل ما في الحياةِ الأُخرىٰ من حور وقصور ورياض وغيرها يجب تهيئته هنا ، فقد رأى الرسول الأكرم في مِعراجه أنَّ العاملين في الجنَّة يتوقّفون فتراتٍ عن العملِ ، ثم يواصلونه ، فأوضح له جبرائيل أن سرّ ذلك هو أنّ موادَّ البناءِ تأتيهم من الدنيا ! .

المحاضرة الثانية عشر :

الفصل الخامس

- المودة والرحمة في البيت
- آفات المودة

١ ـ سوء الخلق
٢ ـ السباب والضرب
٣ ـ التعيير والانتقاص

● المودة والرحمة في العائلة :

الفصل الخامس من بحثنا يدور حول المودة والرحمة في البيت ، ولعلّه أهم من كل ما تحدّثنا عنه في الفصولِ السابقة ، ولذا يجب أن نتوسّع فيه ، وألتمس بقية الله ـ عجل الله تعالى فرجه ـ أن يتلطّف علينا لكي نستطيع العمل بمحتويات هذا الفصل .

البيت والأسرة تقومُ على أساس المودّة والرحمة مثلما أنَّ العالم يقومُ على أساسِ قانونِ الجاذبية ـ بدءاً من الذرّة وانتهاءً بالمجرّات ـ بحيث لو تعطّل هذا القانون لحظةً واحدةً ، لاختل نظامه وزال عالم الطبيعة ، كذلك الحال مع المودّة .

فإذا زالت من البيت والأسرة ، خربَ البيت وتلاشت الأُسرة .

ويحسنُ أن أقول : إن البيت الخالي من المودّة هو مثل القبر المسلَّطِ فيه العذاب ، فهذا البيت يفتقد الحياة الحقيقية ، فليس فيه سوى الموت ، الموت التدريجي المقرون بالعذاب .

ولذلك كانَ من ألطافِ ربّ العالمين أنه جعل المودة والرحمة حالةً طبيعيةً (فطرية) عند تأسيس الأُسرة ، يقول ـ تعالى ـ :

﴿ ومِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ

بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1] .

إذن فمن آيـات الله ـ تعالى ـ هي أنّـه خلق للرجـل امـرأةً وللمـرأةِ رجـلاً ليشكّلا أُسرةً ، ويكون كلٌّ منهما سكناً للآخر ولتكـوينِ الأسرة جعـل بينهم مودّةً ورحمةً ، فأزال النقص عن الأُسـرة فمن الواضـح أنَّ بناءَ البيت لا يمكن أن يتم بالصخر والآجرُ والحديد فقط بل يحتـاج إلىٰ ملاطٍ أيضـاً ، ونفس الأمر يصـدق علىٰ بناء بيت الزوجيـة ، ولقد قـرأتُ ـ إذا تتذكـرون ـ حديثـاً شريفـاً في الأيامِ الأولى ، وهو أنّ النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) قـال : ـ « ما بُني بنـاءٌ في الإسلام أحبُّ إلىٰ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ من التزويج »[2] .

والمودّة والرحمة هي ملاط هـذا البناء ومثلمـا أنّ مواد البنـاء بدون مـلاط هي ركامٌ لا أكثر كذلك حال العائلة إذا خلت من المودة ؛ والحديث هنـا يشمل موضوعين الأول هو العوامـل التي تؤدي إلى زوال هذه المـودة التي أنعم بها الله ـ تعالى ـ والآخر : ـ العوامل التي تزيدها .

ألف : آفات المودة :

١ ـ سوء الخلق :

العـاملُ الأول الـذي يزيـل المودة من البيت ويحـطم زجاجتهـا هـو سـوء الخلق والنزاع والاختلاف والجدال ، إذا كانت المرأة سليطة اللسان في تعاملها مع زوجها تسيءُ إلى مشاعره في الكلمـة الأولى من حديثهـا ؛ وإذا كان الـرجل سيِّءَ الخلق ، فـإن صراخـه وعنف تعـامله يـوجـه (ـ مثلمـا يفعـل سـوء خلق الزوجة ـ) ضـربةً للمـودة في الدرجـة الأولىٰ ، وإذا استمر سـوءُ الخلق من كلا الطرفين ، فإنَّه سيهشم زجاجـة المحبة بـلا ريب والأشدّ أنـه يحول المـودة إلى نُفـرةٍ (وكرهـاً) وقسوةٍ متبـادلة خـاصةً إذا اشتمـل ـ سوء الخلق والنـزاع ـ على

(١) سورة الروم / ٢١ .
(٢) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٣ .

كلماتٍ جارحة متبادلة ـ والعياذ بالله ـ كأن تُعيِّر المرأة زوجها بمدح رجلٍ آخر وحياة رجلٍ آخر ، أو يفعل الزوج ـ والعياذ بالله ـ مثل ذلك بمدح زوجةِ جارِه ، فهذا العمل مُدمِّرٌ حتى إنه لا يقتصر على إزالة المودّة والرحمة وحسب ، بل يقوم أيضاً بإحلالِ الكُرهِ والبُغض والقسوةِ محلَّهما ، وينبغي لنا الحذر والمراقبة لكيلا تقع مثل هذه الأمور في حياتنا .

٢ ـ السباب والضرب :

إنّ موضوع السباب والبذاء والضرب لا يرتبط أصلاً بموضوع بحثنا أخلاق الأسرة ، وأُكرر القول أنَّ الإنسان الفحّاش ـ رجلاً كان أو امرأة ـ هو عديم الشخصيةِ ومهجورٌ من قبل الله ورسوله والأئمة الطاهرون .

يُروى أنه : ـ « كان لأبي عبد الله (عليه السلام) (الإمام الصادق) صديقٌ لا يكادُ يُفارِقُهُ إذا ذهب مكاناً ، فبينما هو يمشي معه في الحذّائين ومعه غلامٌ له سِندي يمشي خلفَهما ، إذ الرجل يُريد غلامه ثلاث مرّاتٍ ، فلم يره ، فلمّا نظر في الرابعةِ قال : ـ يا ابنَ الفاعلة أين كنتَ ؟! .

قال (الراوي) فرفع أبو عبد الله (عليه السلام) يَدَهُ فَصَكَّ بها جَبْهةَ نفسِه ، ثم قال : ـ « سبحان الله ! تقذِف أُمَّهُ ؟! قد كنتُ أرىٰ لك ورعاً ، فإذا ليس فيكَ ورع .

فقال : ـ جُعلتُ فداك إنَّ أُمَّهُ سِندِيّةٌ مُشرِكة .

فقال (ع) : ـ « أما علِمت أنّ لكلِّ أُمَّةٍ نِكاحاً (يحتجزون به من الزنا ـ رواية أخرى) ، تنحَّ عني .

قال (الراوي) : ـ فما رأيتُه يمشِي معه ، حتّى فَرَّق بَيْنَهما الموت »[٣] .

ماذا نستفيد من هذِه الرواية ؟ إنّ ما تبينه هو أن ما يوجب سَخَطَ الله على

---

(٣) الأصول من الكافي للكليني ، باب البذاء الحديث الخامس .

الإنسان ، هو أن يقوم الرجل بإساءةِ القول لطفله ولو كان مخطئاً أو لزوجته حتى ولو كانت مخطئةً ، أو أن تفعل هي ذلك حتى لو كان زوجها مخطئاً .

ومثل هذا العمل يسبب سخط الزهراء ونبي الإسلام والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) ومنهم إمامُ عصرِنا (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) ، ومن جهةٍ أُخرى يتجسّم هذا العمل (البذاء) بصورةٍ سيّئةٍ للغايةِ فترافق صاحبه الفضيحة في عالم البرزخ والقيامة .

يُروى (عن الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ قال) : ـ « دخل يهوديٌّ على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعائشةُ عندَه ، فقال : السام (السيف) عليكم .

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) « عليكم » .

ثم دخل (يهودي) آخر ، فقال مثل ذلك ، فردَّ عليه كما ردَّ على صاحبِه .

ثم دخل آخر ، فقال مثل ذلك ، فردَّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كما ردَّ على صاحبيه .

فغضبت عائشة فقالت : ـ عليكم السّأمُ والغضب واللعنة يا معشر اليهودِ يا إخوةَ القردةِ والخنازيرِ .

فقال لها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : ـ « يا عائشةُ إنَّ الفُحْشَ لو كانَ مُمَثَّلاً لكانَ مِثالَ سوءٍ ، إنَّ الرّفق لم يوضع على شيءٍ قطُّ ، إلاّ زانَهُ ، ولم يُرفع عنه قطُّ إلاّ شانه .

قالت : ـ يا رسول الله أما سمِعتَ إلى قولِهم : السّام عليكم ؟ .

فقال : ـ « بلىٰ ، أما سمعتِ ما رددت عليهم ؟ قلتُ : ـ عليكم . . . . »(٤) .

---

(٤) أصول الكافي ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب التسليم على أهل الملل .

إذن فالحديث يُبيّنُ أنّ الفحشَ يتمثّل بصورةٍ سيئة تلازم الإنسانَ في القبرِ والبرزخِ والمَحْشَر ، يقول ـ تعالى ـ :

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً ، وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً ﴾(٥) .

فالنفس تتمنّى هذا البعدَ لسوءِ الصورةِ التي يظهر بها العملُ السيِّءُ ، فيفضح الإنسان ، فالمسلم يجب أن يكون مؤدّباً ، وهذه إحدىٰ وصايا الإمامِ الصادق (عليه السلام) التي أكّدها مراراً على شيعته حتى «يقولوا رَحِمَ الله جعفرَ بنَ محمدٍ ، فقد أدَّبَ شيعتَه » ؛ فلا يليق بالسيدة المحترمة أن تكون في لسانها بذاءةٌ خلال حديثها مع أطفالها ولا ينبغي مثل ذلك للمعلمين وخاصةً في قاعة الدرس ولا للمرأة مقابل زوجها .

ولذلك نقول يجب أن يكون موضوع « الفحش » خارجاً عن موضوع بحثِنا أساساً ، وكذلك الضرب ، لأنَّه ذنبٌ كبيرٌ حتّى إنَّ الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) كان يقول : ـ «فأيُّ رجلٍ لَطَمَ امرأتَهُ لَطْمةً أَمَرَ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ مالكاً خازنَ النيرانِ ، فيلطمه علىٰ حرِّ وَجْهِه سبعينَ لطمةً في نارِ جهنَّم . . . »(٦) .

أجلْ ، إن الضرب ليس من عمل المسلم الحقيقي ولا من عمل الإنسان المحترم .

أمّا إذا كانت هناك زوجةٌ تضرب زوجها ، فهذه ليست امرأة أصلاً بل حمقاء لا أُبالية .

---

(٥) سورة آل عمران / ٣٠ .

(٦) جامع أحاديث الشيعة ج ٢٠ ص ٢٤٩ الحديث رقم ٧٩٠ وفي الحديث رقم ٧٨٥ ص ٣٤٨ من نفس المصدر تصريح بأن مَن فعل ذلك فضحه الله يوم القيامة فضيحة ينظر إليه الأولون والآخرون .

ولـذا نرى الفحش والسبـاب والضرب خـارجاً عن مـوضوع بحثنـا ، لأنه يدمِّرُ الصفة الإنسانيةَ فضلاً عن المودّة .

٣ ـ التعيير والانتقاص :

وهذا عامـلٌ آخر يهشم زجـاجة المحبـة ، وذنبه عـظيم يوضحـه الحديث القدسي الذي يرويه الإمامُ الصادق (عليه السلام) أنّ رب العالمين قال : ـ

« مَنْ أهانَ لي وليّاً ، فقد أَرصدَ لِمُحاربتي »(٧) .

ومعلومٌ مصير الذي يحارب الله في الدنيا والآخرة .

وحديثنا هو عن آثار قول الرجـل لامرأتِـه : ـ انظُري كم هي جيّـدة زوجة فلان ، أو قول المرأة لزوجِها : انظُر كم هو جيِّد الـرجل الفـلانّي ، وإني لم أرَّ خيـراً في بيتِك ، فمِثـل هذا القـول ـ سواءٌ صـدر عن الزوج أو الـزوجة ـ يُحبط حسنـات قـائِله كمـا ورد في الحـديثِ النبـويّ الشـريف(٨) ، فتُمحىٰ جميـعُ الحسناتِ من صحيفة أعماله .

فعلينـا اجتنابُـه ، وأرجو الأزواج والـزوجات أن يجتنبـوا انتقـاص بعضِهم البعض في حضـور الآخرين ، فهـذا ذنبُ عظيم ، وهـو على نوعين ؛ الأول : يولد جرحاً صغيراً لدى الطرف المقابل لا يصل إلى القلب ، وهـذا يتجسَّم على شكل عقرب تَلْدغ صاحبه في قبرِه ثم يختفي بعد فترةٍ قصيرة .

أما الثاني ، فهو الذي يسبب جرحاً عميقـاً مثلما يفعـل السيف ، فيتجسّم عقرباً تؤذي مسبب هـذا الجرح إلى يـوم القيامـة ويظل مـلازمه في جهنم أيضـاً ويعذبه أكثر من نيرانها .

يُنقـل أن شخصاً رأىٰ عـالماً كبيـراً مُتَوَفَّىً في عـالَم الرؤيـا ، فسـألـه عن

---

(٧) أصول الكافي ج ٤ ص ٤١ (من الطبعة الإيرانية المحشاة بالترجمة الفارسية للأحاديث) .
(٨) راجع وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١٥٢ وما بعدها والحديث الخامس من الباب ١١٧ .

حاله ، فأجاب : ـ الحمد لله إنه جيدٌ للغاية فلدي رياضٌ وحورٌ وقصورٌ والملائكة تزورني وتخدمني ، ولكن عقرباً تأتيني كلَّ صباحٍ ، فتلدغني لدغة أظلُّ أتأذىٰ منها إلى الصباحِ التالي فتأتي العقرب ثانيةً وتفعل مثل ذلك وهكذا يومياً ! .

فلمّا سأله عن الذي فعله ، أجابَ : لقد انتقصتُ شخصاً ، ونسيتُ أن أتوبَ وأقتُلَ هذِهِ العقربَ ، لأنّي استصغرت الأمر .

أجل ، يمكن بماءِ التوبةِ تطهيرُ كلِّ شيءٍ وإزالةُ كافةِ عوامل انعدامِ البركة ، ولكن تعساً لحال الذي ينتقص الآخرين ويتشفّى بذلك .

أحدهم يقول : لا أستقر ما لم أوجه واحدة أو اثنتينِ من تلك الكلمات الجارحة لزوجتي !! .

فماذا يعني هذا ؟! .

إنّه يعني أنه يقول لا أستقر ما لم أصنع لنفسي عقربين يُؤذيانني مُنذ دخولي القبر إلى المحشر !! .

والمرأة تطلق لِسانها كالسيفِ الجارح ، ثم تقول : ـ الآن شفىٰ غليلي !! .

لا أيتها السيدةُ لم يشفَ غليلك ، بل صنعت لنفسك أفعى يراها أولو البصائرِ ملتفّةً حولَ عُنقِك وأنت لا ترينها الآنَ ، ولكن سترينها قبل دخولِكِ القبر ، بل عندَ مجيءِ عزرائيلَ إليكِ يُصبح بصرُك حينئذٍ حديداً بِحَسَبِ الوصفِ القرآني ، وعندها ترينَ تلك الكلمات الجارحة التي جرحتِ بها مشاعر زوجك وقد تحوَّلتُ إلىٰ أفعى سوداء تلتف حول عنقك ، فتدخلين القبر على هذِه الحالة والأفعىٰ تُرافِقُك بلدغاتِها إلىٰ يوم القيامة !! .

لذا يجب معرفة الآثار المدمِّرة والعميقة التي يُسبِّبها هذا الانتِقاص .

ويَجبُ أن ينتبه كلا الزوجين لذلك بجدية ، ويعرفا أن الانتقاص وخاصةً بحضور الآخرين وتعيير أي منهما للآخر بمدحِ الآخرين يُوجّهُ ضربةً عنيفةً للمودة ، وقد يستبدلها أحياناً بالبغض والقسوة ، فيصبح البيت مثل القبر المقرون بالعذاب وتصبح الحياة بائسةً ، ولذا أرجوكم أن تجتنبوا ذلك .

روي أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال لأصحابه : ـ « أيُّ عَرى الإيمان أوثق ؟ .

فقالوا : الله ورسولُهُ أعلم .

وقال بعضهم : الصلاة .

وقال بعضهم : الزكاة .

وقال بعضهم : الصيام .

وقال بعضهم : الحج والعمرة .

وقال بعضهم : الجهاد .

فقال رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله) : لكل ما قلتم فضلٌ وليس به ولكنّ أوثق عُرى الإيمان الحبُّ في الله والبغضُ في الله وتَوالي أولياء الله والتبري من أعداء الله »[٩] .

إذن ، فبمقتضى هذا الحديث ، يجب على المسلم أن يحبَّ زوجته في الله ولكونِها مسلمة ، وليس بدافع تلبيتها لشهوته ، فهذا ليس من الرجولة ، بل هو من شأن الحيواناتِ وقد قلنا : إنّ إرضاءَ الشهوة هو إحدىٰ الفوائد الصغيرة لتكوينِ الأُسْرَةِ ، إذن فيجب على كلا الزوجين أن يحبَّ أَحدُهما الآخر في الله .

(٩) الأصول من الكافي ج ٢ باب (الحب في الله والبغض في الله) من كتاب الإيمان والكفر ، الحديث رقم ٦ .

فعلى المرأة أن تفتخر لكونِ زوجها قد أصبح معوقاً أو مجروحاً أو شهيـداً (في الدفاعِ عن حرمةِ الإسلام) ، أو أنّ لها ابناً شهيداً .

وللرجل أن يفتخر بأنّ زوجتـه « علوية » من ذريـةِ رسولِ الله (صلّى الله عليه وآله) وأنها مصلية وصائمة .

عن الحكم بن عتيبـة قال : ـ « بينـا أنا مـع أبي جعفـر (عليـه السـلام) والبيتُ غـاصٌ بأهلِه ، إذْ أقبـلَ شيخٌ يتـوكَّأُ علىٰ عنـزةٍ لـه حتى وقف على بـاب البيت ، فقال : ـ السلام عليك يابنَ رسولِ الله ورحمةُ الله وبركاته .

ثم سكت . فقـال أبو جعفـر (عليه السـلام) : ـ وعليك السـلام ورحمة الله وبركاته .

ثم أقبل الشيخ بوجهِه على أهلِ البيتِ ، وقال : السلام عليكم .

ثم سكت حتى أجابه القوم جميعاً وردُّوا عليه السلام .

ثم أقبل بوجهِه علىٰ أبي جعفر (عليه السلام) وقال : ـ يابنَ رسـولِ الله ادنني منـك جعلني الله فـداك فـوالله إنّي لأحبكم وأحب من يحبكم ، والله مـا أحِبّكم وأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّكم لطمعٍ في دُنيا وأني لأبغض عدوّكم وأبرأُ منهُ ووالله مـا أبغِضُه وأبرأُ منه لِوترٍ كان بيني وبينَـه ، والله إني لأحلُّ حـلالكم وأحرّم حـرامكم وأنتظرُ أمركم فهل ترجو لي جعلني الله فداك ؟! .

فقال أبو جعفـر (عليه السـلام) : ـ إليّ . . إليّ ، حتىٰ أقعده إلى جنبـه ثم قال أيها الشيخ إنّ أبي علي بن الحسين أتاه رجـلٌ فسألـه عن مثل مـا سألتَني عنـه ، فقال لـه أبي : ـ إنْ تَمُتْ تَـرِدْ على رسـولِ الله (صلّى الله عليـه وآلـه) وعلىٰ عليّ والحسنِ والحسينِ وعلىٰ عليّ بنِ الحسينِ ويثلج قلبـك ويبرد فؤادك وتقرّ عينك وتُستقبل بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين ، لـو قد بلغت نفسـك هٰهنا وأهوىٰ بيده إلى حلقه) ، وإن تعش تَرَ ما يُقِرُّ الله بِـه عينَكَ وتكنْ مَعَنا في

السَّنامِ الأعلىٰ »[١٠] .

إنّ هذه الراوية الشريفة توصي بمحبة الآخرين وتنهى عن بغض الشيعة فذنب بغضِ المسلمين عظيم ، وهذه الأحقاد تؤدّي إلى حبس الدعاءِ ، وهي وسوء الخلق يحرم بيوتكم ومدينتكم وبلدكم من البركة .

فتحابّوا . فإنَّ علامةَ المؤمنِ هي أنّه يُحِبُّ للآخرين ما يُحِبُّ لنفسِه ، ويكره لهم ما يكره لها .

رعايةُ الأطفالِ عملٌ صعب ، فمارِسْه ساعةً أو ساعتينِ لتعرف صعوبتَه .

ولا تستطيعُ القيامَ بِهِ على مدىٰ اليوم والليلة .

وكذلك تدبير شؤون المنزل ، فمثلاً لو كان فيه سُلَّمٌ لاسْتَوجب الصعودَ والنزول عليهِ مائةَ مرَّةٍ من أجل إعدادِ وجبةِ طعامٍ واحِدَةٍ ، فساعِدوا زوجاتِكم في أعمالِكم . وهذا ما كان يفعله أمير المؤمنين ـ فقد كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يراهُ يقومُ بذلك عندما يدخل البيت ـ ولستم أفضلَ مِنه .

وكان الرسول (صلّى الله عليه وآله) نفسُه يساعِدُ في حلبِ المعز والكنسِ وإعداد الخبزِ .

(وليس في ذلك انتقاصٌ لشخصياتِنا بل) إنّ فيه تعظيماً لنا .

(ويا أيتها الزوجة) ، إن توفير مصارف البيت والتعامل مع الناس أمرٌ صعبٌ ، وعمل زوجك الذي يذهب مُنذ الصباح إلى الدائرة ويتعامل مع المراجعين بمختلف أخلاقياتهم هو عملٌ شاقّ .

وكذلك حالُ عمله إذا كان كاسباً يتحمّل المشاقّ من أجل توفير المصارفِ اللازمةِ لك ولأطفالك ، فهو يعود إلى البيتِ مساءً متعباً ، فهو يحتاج إلى الهدوءِ والاستراحة .

---

(١٠) سفينة البحارج ١ ص ٢٠٢ .

وهذا ما لا ينسجم مع الخشونةِ وسوءِ الخلق ، فعليك أن تحبي لزوجك ما تحبين لنفسِك وإذا أبدىٰ زوجك خشونة ، فتبسمي له وأزيلي التعب من قلبه .

ويا أيها الزوج إذا رأيتَ زوجتك عند دخولك المنزل غير متزينة ، ولم ترتدِ الملبس الذي تُحِبُّه ، فَغُضِ الطرف عن ذلك ، وإذا كانت عبوساً متعبة ، فتبسّم أنت رغم تعبك ، وأحببْ لها ما تحِبُّ لنفسِك ، واكره لها ما تكره لنفسِك ، لكي تشملكم بركةُ الله ورحمتُه ورأفتُه في الدنيا والآخرةِ ، إن شاء الله .

المحاضرة الثالثة عشرة :

الفصل الخامس

العوامل المزيلة للمودة

- حديث عن الإمام الحسن

٤ ـ العجب

- فروع العجب

١ ـ المراء والجدال

٢ ـ العناد

٣ ـ الطلبات غير المتكافئة

٤ ـ رفض النقد

اليوم هو يوم عيدٍ عظيمٍ ، إذ يصادف ذكرى المولد السعيد للإمامِ الحسنِ المجتبىٰ (سلامُ الله عليه) وبهذِه المناسبةِ أرفع التبريكات عنّي وعنكم أيها الأعزاء إلى المقامِ المقدَّس للسيدةِ الزهراءِ (سلامُ الله عليها) راجياً شفاعَتَها في قضاءِ حوائِجنا ، وأن تشملَ بألطافِها (الإلهيّة) اجتماعنا هذا .

وقبل مواصلةِ الحديث عن موضوع بحثِنا أنقلُ لكم حديثاً عن الإمام الحسن (عليه السلام) راجياً أن يكون مِنهاج عملٍ حياتي لنا .

جاء رجلٌ إلى الإمام (عليه السلام) وسألَه أن يقضي حاجَتَه ، فخرج معه الإمامُ لذلك ، وفي الطريق شاهدا الإمامَ الحسينَ (عليه السلام) فسألَ الإمامُ الحسنُ (سلامُ الله عليه) الرجلَ عن سِرِّ عدمِ ذَهابه للإمامِ الحُسينِ ليقضي له حاجَتَه ؟ .

فأجاب الرجل بأنَّه شاهَدَهُ مُعتَكِفاً في المسجد .

فقال له الإمامُ كلِمةً ما أحرانا بأنْ نتَّخِذَها منهج عمل ، وهي « أمَا إنَّه لو أعانَكَ كانَ خيراً له مِن اعتِكافِهِ شَهْراً »[١] .

---

(١) الحادثة ينقلها العلامة المجلسي في بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٣٣٥ والأحاديث في هذا المعنى كثيرة تجدها إضافة إلى البحار في الجزء الثاني من أصول الكافي للشيخ الكليني وكذلك ثواب الأعمال للشيخ الصدوق .

فكأنه يقـول له إنَّـكَ لو ذهبتَ لـه (عليه السـلام) ، لكانَ قيـامُه بقضـاءِ حاجتِك أفضلَ مِنْ ثواب اعتكافِهِ شهراً .

وهـذا هو ثـوابُ مَنْ أدخل السـرورَ علىٰ قلبِ المؤمنِ ، فهو يفـوقُ ثـوابَ الاعتكاف شهراً تصوم نهارَهُ ، وتتهجدُ ليلَه .

واستناداً إلىٰ هذا أُدعوكُم جميعاً لمسـاعدةِ خلقِ الله قَـدْرَ ما تستـطيعون . وهذا ما يحبّه لنا الإمام المجتبى (عليه السلام) ، فهو يرضى عن الزوجـةِ التي تخدم زوجَها والزوجَ الذي يخدِم زوجتَه .

أما الآن ، فلنتابعِ البحثَ :

٤ ـ « العجـب » :

فمن العواملِ التي تزيل المودّة ، عامل العجب والأُنانية والتكبّر الناشىء عن العُجبِ .

واتّصافُ أي من الزوجين بهـذِه الصفاتِ وإعجـابُه بنفسِـه أو عملِه يُوجِـدُ حالةً خطيرة يوضح عمقَها التأكيدُ القرآنيُّ بـأن ثورةَ الأنبيـاء هي على المتكبرين الـذين كـانـوا حـجـر عثـرة في طـريق الأنبيـــاء (عليهـم السـلام) وإنجــازهـم لرسالاتهم .

وهـذه الصفات تُؤثّـر في أعماقِ الإنسـانِ تـأثيـراً يجعله يتكبَّـرُ حتى يـومِ القيامةِ ويتمرَّد ويُعْجَبُ في نفسِه في مقابِل الله ـ تبـارك وتعالى ـ والقـرآن الكريم يتحدث عن أمثال هذا وكيف أنهم يتصورون أنفسهم يوم الحشر أنّهم صـالحون ورغم كـونهم في الحقيقة من أهـلِ جهنَّمَ إلاّ أنّهم يُقسِمُون بـالله بأنهم خـلاف ذلك ، وأنَّهم من أهلِ الجنّـة ، وكأنَّهم والعيـاذُ بالله يَتَّهِمُـونَ الله ؛ جلَّ وعـلا ـ بالاشتِباهِ في إرسالِهم إلى النارِ . يقول ـ عزّ اسمـه ـ : ﴿ **يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعـاً فَيَحْلِفُــونَ لَـهُ كَمَـا يَحْلِفُـونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُــونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ**

الكَاذِبُونَ ﴾[٢] .

هذا هو حالُ المعجَبين بأَنْفُسِهم والمتكبرين يومَ القيامة ، حتى لو كان تكبُّرهم في البيتِ .

ولذا أُوصي كلا الزوجين بالحذر من الاتِّصاف بذلك ، فلا ينبغي للزوجة أن تكون مُعجَبةً بنفسِها في مقابل زوجِها ، فتمدح نفسَها وأَخاها ووالِدَيها ، أو تتفاخر بجمالِها أو كمالِها أو بحصولِها علىٰ الشهادةِ الفلانيّة ـ سواءً في العلومِ الطبيعيّةِ أو الحوزويّة ـ فتُصاب بالغرور العلمي والأَنانيةِ والعجبِ في مقابلِ زوجِها ، فاتّصافُها بِمثلِ ذلك ، يُوجِّه إليها هي ضربةً تسلُبها الحاكميةَ التي يجب أن تكون لها على قلبِ زوجِها ، فتهدم المودّة .

كما على الزوج أن يحذر من التفاخر ـ لا سمح الله ـ بأمواله وعشيرته وعلى الزوجات الحذر من التفاخر على أزواجهن بأخواتهن وآبائهن وأمهاتِهن .

فهذا خطأٌ فاحش .

فإذا كان زوجك فقيراً وأخوكِ غنيّاً ووالِدَتُكِ ثريَّةً ، فعليكِ أن تُطيِّبي خاطِره وتقدّميه على أخيكِ ووالِدَيكِ .

وهنا أؤكدُ نقطةً مهمةً ، وهي أنّ على الأزواجِ والزوجاتِ أَنْ يُضَحُّوا مِنْ أجلِ بَعْضِهم بِكُلِّ ما لَدَيهِمْ ، ويُقَدِّمُوهُمْ على كلِّ قريبٍ لهم مع احترامِ الآباءِ والأُمّهاتِ والإخوةِ والأَخواتِ والرأفةِ بهم .

● فروع العجب :

وللعُجْبِ فروعٌ سيّئة لكلٍّ مِنها ثمارٌ مُرَّةٌ تؤدِّي فيما تؤدّي إلى تهديمِ المودَّةِ في قلوبِ الآخرين ، وهي : ـ

---

(٢) سورة المجادلة / ١٨ .

١ ـ المراء والجدال :

وهو من فروع العجب ويعني أنْ يسعى الإنسان إلى فرضِ رأيِهِ علىٰ الآخرِينَ ، وهو ملحوظٌ بكثرةٍ بين الناس خاصةً الأُميِّين ، منهم إذْ يقولُ قولاً جُزافاً يُريدُ فرضَه على الآخرين ، فيُجادل مِراراً وَتكراراً ، ويرفض التراجُعَ عن قوله .

وذنب المِراءِ والجدلِ عظيمٌ جداً ، فقد روى أبو الدرداء أنّه كان ضِمن مجموعةٍ يتجادلون في الدِّين في المسجدِ ، فدخل رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله) ولما رأىٰ ما نحن فيه تغيَّرَ وغَضِبَ لذلك غضباً شديداً .

وذكر أبو الدرداء أنَّه لم يرَ مِثلَه مِنَ الرسولِ (صلَّى الله عليه وآله) ثم قال (صلّى الله عليه وآله) : ـ « لا يَستكمِلُ عَبْدٌ حقيقةَ الإيمانِ ، حتّى يَدَعَ المِراءَ والجَدَلَ ، وإن كانَ مُحِقّاً »(٣) .

فشفاعة رسولِ الله (صلّى الله عليه وآله) لا تنال مَنْ يفعلُ ذلك .

ثم إنَّه (صلّى الله عليه وآله) قال : ـ « إنَّ أوّلَ ما عَهِدَ إليَّ ربِّي ونهاني عَنهُ عِبادةُ الأوثانِ وشُربُ الخمرِ ومُلاحاةُ الرِّجال »(٤) .

وكم هو شديدٌ هذا الحديث الشريف في التعامل مع المِراءِ والجِدالِ الذي يشكِّل مرضاً صعبَ العلاج يُبْتَلَىٰ به تسعون بالمائة منا إنْ لم يكن أكثر منهم .

والقرآن الكريم يُبيِّن لنا أنّ المِراءَ والجِدالَ هو من وساوسِ الشيطانِ ، يقول ـ تعالى ـ : ﴿ وإنّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُم ﴾(٥) .

(٣، ٤) راجع المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء ج ٥ ص ٢٠٨ ، والملاحاة تعني المراء والجدل .

(٥) سورة الأنعام/ ١٢١ .

فليعلم كلُّ مَنْ يُبْتَلَىٰ في حياتِه بالمِراءِ والجَدَلِ أنَّه من أولياءِ الشيطانِ بهذِه الخَصْلةِ ، فهي عملٌ شيطانيٌّ ، وليس رحمانيّاً ، وهو عملٌ سَيِّىءٌ ، وأشدُّ مصاديقِهِ سوءاً المِراءُ والجَدَلُ بينَ أفراد الأُسرةِ سواءٌ صدر عن الزوجةِ التي تسعىٰ لفرضِ قولِها على زوجِها ، أم صدر عن الزوجِ ، فهو يهدِمُ المودة .

ولذا أوصيكم ـ أزواجاً وزوجات ـ أن تجتنبوه ، وأوصي كلّاً منكم أن يترك المِراءَ والجدل ، حتى إذا كان محِقاً ، ولْيتراجَعْ في مقابِلِ زوجِهِ إذا رآهُ يسعىٰ إلى فرض قوله بالمجادلة ، فقد ورد عن النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) أنه قال : ـ « مَنْ تَرَكَ المِراءَ وهو مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ بَيتٌ فِي أعلى الجَنَّة .

ومَنْ تَرَكَ المِراءَ وهو مُبطِلٌ بُنِيَ له بيتٌ في ربضِ الجَنَّةِ »(٦) .

٢ ـ العنـاد :

وهو من فروع الأَنانيةِ والعُجْبِ ، وبعض النسوة تصل بِهِنَّ الحالةُ العناديّةُ إلىٰ حدِّ رفضِ رفع القدمِ عن الأَفعىٰ كما ورد في المَثَلِ المتعارَف .

كما أنّ بعض الرجالِ تصل بهم هـذِه الحالةُ إلىٰ السقوطِ في الحُفْرةِ (المهاوي) ، لكنهم يرفضون الإقلاعَ عن عِنادِهم .

والقرآن الكريم يُبيِّن أنّ الناسَ طائفتانِ : الأولى تقبل بالحقِّ ، فهم : ـ ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ** ﴾(٧) .

أمَّا الطائفة الثانية ، فهم يفضلون الرجمَ بالحجارةِ على قبولِ الحق : ـ ﴿ **وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ**

(٦) المحجة البيضاء ج ٥ ص ٢٠٨ نقلاً عن الترمذي ج ٨ ص ١٥٩ وكذلك في بحار الأنوار ج ٢ ص ١٣٨ .

(٧) سورة المائدة/ ٨٣ .

السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(٨) .

والظاهر أنّ ما ينقلُه القرآن الكريم هنا هو لسان الحال ، وليس قولاً ، فهم عندما يرون الحق يدعون الله أنْ يُدمِّرَهم ويُفضِّلُونه على قبولِ الحق .

فبعض النساءِ والرجال لا يقبلون الحقَّ والحقيقةَ مهما قلتَ لهم ، بل إنهم لا يسمعون أصلاً ، فالزوج تحدِّثُه زوجتُهُ لِعَشرِ دقائق أو ربعِ ساعةٍ ، ثم تسألُه عمّا قالت ، فلا يجد جواباً لكِنَّه ـ رغم ذلك ـ يكرر كلمةَ « لا ، لا » .

وعندما تسألُهُ : ما هو العملُ الذي يرفِضُ القيامَ بهِ تجِدُه لا يعرِفُه ، فيعمد إلى القول : ـ لا أفعل » فقط .

هذا هو حال البعض .

الاستعمارُ سَيِّءُ جِّداً وذنبُه عظيمٌ ، فهو استِعبادٌ فردِيٌّ واجتماعي ، ولعن الله الإنجليزَ الذين جاؤا (بالاستعباد الاجتماعي) في العَصْرِ الحديثِ مرّةً أُخرىٰ وأَصبَح تُمارِسُهُ أمريكةُ والاتحادُ السوفيتي ، فعاقبتهما قعرُ جهنَّمَ ، فهذا هو محلُّ المستعمِرين .

ولكنَّ الاستعمارَ جيِّد في حالةٍ واحِدةٍ هي أن تتمكَّن الزوجةُ من الاستحواذِ على قلبِ زوجِها أو يستطيع الزوج مثل ذلك ؛ وهذا ما يجب على كلٍّ منهما فعله تجاه الآخر ، فهو عملٌ جيِّدٌ للغاية .

وتعساً لحالِ الزوجةِ التي لا تعرِف كيف تُحقِّقُ ذلِك ، وتنفذُ إلى قلبِ زوجِها .

ومن العوامل التي تمنع تحقق هذا الأمر ، وتمنع متابعةَ الزوجةِ لزوجِها العِنادُ .

---

(٨) سورة الأنفال / ٣٢ .

فأرجوكم أن لا تسمحوا بوقوعِه بينكم ؛ وإذا كـان أولادكم معانـدين ـ لا سمح الله ـ فاعلموا أنَّهم مرضىٰ ، ويجب أن تُنقذُوهم من هذه الصفة التي أرجو أن لا تكـون موجـودةً لديكم ، كمـا أرجو أن تنقـذوا منها أطفـالكم إذا وُجِـدَتْ فيهم .

٣ ـ الطلبات غير المتكافئة :

وهي من فروع العُجْبِ بالنفس أيضاً .

يقول علماءُ النفس : ـ إنَّ أمثالَ كلِّ مجتمعٍ تكشِف عن ثقافتِه .

وهذه مقولة صائبـة ، فمثلاً القِصص المتعـارفة في المجتمـع تُبيِّنُ أفكارَه حتى لو كانت من أمثال قصص « فرهاد وشيرين » أو « قيس وليلى » وهي أساطير ضخَّمها الناس ، ومن الأمثال المشهورة بين النساء مثل : ـ « لم يأتِ باللحم ، ويطلبُ الـ «كوفته »[٩] » .

وهذا هو حال بعض الرجال حقّاً ، مثلما أنّ طلبات بعض النساء كبيرة ، فتطلبُ إحداهُنّ مثلاً من زوجها ليلةَ العيدِ بدلـةً بقيمةِ خمسـةِ آلافِ تومـانٍ وهي تعلم أن مرتَّبه هو خمسةُ آلاف تومان !! .

ولا تقنـع مهما كـرِّر عليها التـذكير بمقـدار مرتّبـه ، وأنـه لا يكفي لإدارةِ متطلّباتِ المعيشةِ بصورةٍ كاملة .

فـاجتنبوا ذلـك ، ولتكن مصـارفكم متنـاسبـةً مـع دخلكم ، ولا تـطلبـوا « كباباً » ولا « كوفته » ولا « ماء اللحم » وأنتم لم تأتوا باللحمِ بعد !! .

كما أرجو من السيداتِ اجتنابَ الطلباتِ الضخمـةِ إذا كان الـزوجُ محدودَ الـدخل ، كـأن يطلبْنَ منـهُ أن يقدِّمَ مثلمـا يُقدِّمُـهُ الأغنيـاءُ ليلة العيـد ، فبعض

---

(٩) اسم نوعٍ من الطعام يُعد من اللحم بعد مراحل عدّة

الموظفين أفقرُ من العامِل ، لكنَّ زوجةَ أحدِهم تأتي وتطلب منه أن يستبدلَ سجادات البيتِ ، لكونِهِ موظَّفاً أو مسؤولاً !! .

فتتوهّم أنه قادر على ذلك ، وكلما قال لها : لا أقدر ، رفضت قولَه .

وذنبُ مثلِ هذِه الطلباتِ والتوقّعاتِ غيرِ المتكافئةِ عظيمٌ حتَّى إنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ سيفرض يومَ القيامةِ على صاحبها ما لا يُطِيق سواءٌ أكان زوجاً يكلّفُ زوجته ما لا تقدر عليه ، أو زوجةً تُحمِّلُ زوجَها مثلَ ذلك .

ونار جهنم صعبة التحمّلِ وهي محلُّ أصحابِ مثلِ تلك التوقّعاتِ الضخمة ـ إذا رحلوا عن هذه الدنيا دون توبةٍ .

والمرأة التي تعلم أنّ زوجها فقير وتقومُ بتوبيخِه على عدمِ تلبيتِه لِما تُريدُ تصلُ عظمةُ ذنبِ عملِها هذا حَدَّ أنَّ الله ـ تبارَكَ وتعالى ـ يَفْضَحُها يوم القيامة أولاً ، وأنتم أيها الأعزاء تعلمون أنّ للكرامةِ قيمةً كبيرةً ، فأحدُهم وصف الإمامَ الحسينَ (عليه السلام) بأنّه ضحّى بكلِّ ما لديهِ في سبيل الله باستِثناءِ دينِه وكرامتِه .

أجل فللكرامة قيمةٌ كبرى خصوصاً بالنسبةِ للرجُلِ في قبالةِ زوجتِه ، فأَرْجو مِن الزوجاتِ أن يَجْتَنِبْنَ الإساءَةَ لكرامةِ أزواجِهنَّ ـ خاصَّةً في البيتِ ـ وكذلك التوقعات غير المتكافئة .

والمرأةُ تُرِيدُ أن تكونَ مُكرّمةً عند زوجِها فاحفظوا احترامها ، ولا تُسيئوا إلى شخصيتِها ، واجتنبوا الطلباتِ غيرَ المناسبةِ من زوجاتِكم ، فالقيامُ بشؤونِ رعايةِ الأطفالِ والزوجِ والبيتِ مهمَّةٌ صعبةٌ .

ووظيفة الزوجة ـ التي سأتحدَّثُ عنها فيما بعدُ إنْ شاءَ الله ـ هي رعايةُ نظافتِها هي وأطفالها والقيامُ بمسؤولياتِ البيتِ ، وأن تُعِدَّ نفسَها قبلَ مجيءِ زوجِها وتهيِّىء المائدةَ وغير ذلك ، بحيث تستطيع القيام باستِقبال زوجِها بصورةٍ كاملةٍ عندما يأتي .

وقد يحدث أن تدخل - أيها الزوج - البيتَ ، فلا تجِدُ الشـاي أو الطعـام معداً ، فقم أنت بإعدادِه ، فأرجو منكم اجتناب التوقّعات غيرِ المتكافئة ، وآمُلُ أن لا يفرِضَ بعضُكم على بعضٍ ما لا يُطِيقُه لئلّا تُصبحَ حالُكم حالَ عربةٍ حُمِّلَتْ خمسةَ أطنانٍ وطاقتُها طنانٍ . ففي هذه الحالةِ يمكن أن تسير فرسخينِ وتعجز عن مواصلةِ السير .

ونفس هذا يصدُق على فرضِ الزوجِ أو الزوجةِ أحدهما على الآخر ما لا يطيق ، فعاقبة ذلك انهيار أعصابه .

وما أتعسَ حالَ الزوجةِ التي تكون أعصابُها منهارةً ، وحالَ الزوجِ الذي يفتقد الحيويةَ ويكون ضجِراً ، فعاقبتُه خسرانُ الدُّنيا والآخِرة ، كما يُبيِّن الإمامُ موسى بن جعفر (عليهما السلام)[10] فإحدىٰ ثِمارِ العُجْبِ المُرَّةِ هي التوقُّعاتُ غيرُ المتكافئةِ ، وأن يفرض الزوجان أحدُهما على الآخر ما لا يطيق .

٤ - رفض النقد :

وهو من فروع الأنانية أيضاً .

وأرجو من السيدات الانتباهَ أكثر على أنَّ الإسلامَ يرفِض الغيبةَ والتحدُّثَ عن عيوبِ الآخَرِينَ في غيبتهم والاستِهزاءَ بهم في حضورِهم ، ولكنّه يقول نعم للنقد البنّاءِ ، ويأمُر بتوضيحِ عيوبِ الآخَرين لهم مثلما تفعل المِرآة ، قال الإمامُ الصادق - وهو المطهّر من كل عيبٍ أو نقص - : « أَحَبُّ إِخْواني إِلَيَّ مَنْ أَهْدَىٰ عُيُوبِي إِلَيَّ »[11] .

فالنقد ضروريٌّ ، ولكنّ الأشدّ ضرورة منه هو قبولُه ، وهذا ما نجد فيه صعوبة ، فأحياناً ينبِّهُ الزوجُ زوجتَه على عيوبِها ، وهذا أمرٌ ضروريٌّ غير أنَّ

---

(١٠) تقدم نص الحديث ومصدره .

(١١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٢٨٢ .

قبولَ الزوجـةِ بهِ عَمَـلاً لا قولاً أهمُّ منـه ، فتبادر من اليـوم التالي بمعـالجة تلك العيوب .

قد يكون الزوج سيِّىءَ الخلق في تعامله المنزليّ ومـع أولادِهِ ويوجِّـهُ لهم البذيءُ مِنَ القولِ ، وفي هذه الحالة يكون واجبُ الزوجةِ هـو أن تقول لـه ـ مع حفظ أعصـابِها واحتـرامِه ـ : ـ إنّ هـذا التعـامُـلَ يُصِيبَ الأطفـالَ بِعُقَـدٍ نفسيَّـةٍ ويجلُبُ عليهِم الشقاءَ .

وتوجيه هذا النقد ضروريٌّ ، إلاّ قبولَ الزوجِ بهِ عملاً لا قولاً أشدُّ ضرورةً منه .

ونحن نستبـدل النقد البنّـاء في بيوتِنـا بالصُّـراخِ وينعدم قبـول النقد فيهـا خاصةً من قبل النساء وهذه حالةٌ خطيرةٌ للغاية ، وأنَّها تنزع المودَّة من قلبِ كـلا الزوجينِ تجاهَ الآخرِ ؛ فالرجل إذا كرّر القَول عَشْرَ مرّاتٍ ولـم تقنع المرأة فإنه لن يعيده بل ينفعل ويتأذى وتضعف مودَّتُه لهـا تدريجيّـاً ونفس الأمر يصـدق إذا كان النقدُ مِنَ الزوجةِ تكرِّرُه عَشْـرَ مرّاتٍ ، فـلا يقنع الـرجل فهـذا يُذِيبُ المـودّةَ في القلبِ مثلما يُذِيبَ الماءُ الملحَ .

المحاضرة الرابعة عشر :

الفصل الخامس

العوامل الموجدة للمودة

● أمور كبيرة تظهر صغيرة

١ - رعاية النظافة والطهارة

٢ - إظهار المودة

٣ - جلب الهدايا للأسرة

● قصة الأصمعي والزوجة الصابرة

عوامل استجلاب المحبة

الفصل الخامس من بحثنا هو عن المودّة والرحمة ، وقد قلتُ : إنَّ بحثَنا فيه يكون ضِمْنَ موضوعينِ : الأوَّل عن العوامل المزيلة للمودّةِ ، وقد تحدّثنا عنها .

أما الموضوعُ الثاني ، فهو عن الأُمورِ التي تجلب المودّة ، أي : ماذا يجب على الزوجينِ القيام به في البيت لتتضاعف تلك المودَّةُ الطبيعيَّةُ حتى بعد أن يتقدَّما في العمر ، وحتّى لو كان للزوجةِ عدد كبير من الأولاد وكان لهم زوجات وأزواج ، لكنها تظلُّ تقدّم مودَّة زوجِها على الجميعِ .

وهنا أتحدّث عن نقطةٍ مُهِمَّةٍ أرجو أن تضعوها ـ جميعاً ـ نصبَ أعينِكم والعمل بها ـ إن شاء الله ـ لتجنوا ثمارها .

● أمور كبيرة تظهر صغيرة :

هذه المقولة واردةٌ على ألسنةِ علماء النفس ، ولها لطافة خاصة ، وأنتم تعلمون أن علم النفس هو علم خاصٌ وله لطافةٌ خاصةٌ تظهر في بعض مقولاتِه .

والمقولةُ المتقدِّمةُ تعني أن بعضَ الأمورِ تبدو صغيرةً ، لكنها عظيمة التأثير في تدميرِ الشخصيةِ ، وفي إزالة المودّة أو بالعكس في تعزيز الشخصية

ومنح الاحترامِ للإنسانِ ومضاعفة المودّة .

١ ـ رعاية النظافة والطهارة :

وهي من الأمورِ التي وردت تأكيداتٌ مشدَّدةٌ في الإسلامِ ، فالإنسانُ يجب أن يكون نظيفاً في منزلِهِ وفي الخروجِ للشارع وفي المحافل العامّة حيث يجب أن يدخلها بعد التحلّي بالزينةِ والنظافةِ .

وهذا ما نرى أحياناً عدم الالتزامِ بِهِ من قبل البعضِ ، فهم مثلاً لا يُنظِّفون أسنانهم ، وتفوح من أقدامِهم رائحةُ العَرَقِ فلا يغسلونها رغم أنه يجب غسلها يومياً ، أو تكون جواربُ أحدِهم وَسِخةً تنبعث منها رائحةٌ كريهةٌ فيجب أن يستبدلها يومياً لكنه لا يفعل ، كما أنه لا يهتم لوساخة ملابسه . ومثل هذه الأُمور تبدو أموراً صغيرةً لكنّها مؤثِّرةٌ للغايةِ في تدميرِ الشخصية فمثلاً عندما يَشُمُّ شخصٌ رائحةً كريهةً تنبعث من فمك أو جواربِكَ ، ينفر منك وقد يلعنُ ـ في قلبه ـ عملك هذا في دخولك المسجد أو هذا المحفل العام علىٰ هذه الصورة .

قد يكونُ عَدَمُ نظافةِ ملابسِ شخصٍ ما قضيةً هيِّنةً في نظره لكنها مؤثّرة جداً في تحطيمِ شخصيته الاجتماعيةِ ، ومن المصائب الكبرى التي ظهرت باسمِ « الحالةِ الحزب اللّاهيَّة » هي عدم الاهتمام بِمثلِ هذِه الأُمورِ الصغيرة ، ففي عهد حكم الطاغوت كان الشباب يقومون بأعمالٍ قبيحةٍ تحت عنوانِ « الهيبز » وأمثالِه ويحطمون بها شخصيتَهُم الاجتماعيةَ أمثال توفير الشعر غير المرتب والخروج بالملابس القذرة حتى بأحذيةٍ وَسِخةٍ للغايةِ أو حُفاة .

واليومَ نشاهد انتِقالَ هذِه الظواهِر إلى ثورتِنا آسِفينَ ، فنرى البعض ـ أحياناً ـ يخرجون بأحذيةٍ غايةٍ في الوساخةِ أو بملابسَ و« قماصل » وشعور ولحىٰ غير مرتبة ، ويطلقون على أنفسِهم اسم (حزب الله) وهذِه هي حالة حزب الشيطان ، فحزبُ الله مأمورٌ بالترتيبِ والنظم .

النبيُّ الأكرم كان ينظر إلىٰ هيئَتِه قبلَ الخروجِ من منزِله فيخرج على هيئَةٍ مرتّبةٍ منظَّمةٍ وملابسَ نظيفةٍ للغاية[1] ، لم تكن ملابسَ غاليةَ الثمن .

فهذا لا يهتمُّ به الإسلامُ ، بل يهتمّ كثيراً بالنظافة ؛ في حين تجِدُ بعضَ الزوجاتِ يفتقدن الترتيبَ في البيتِ ، فيدخل الزوج منزِلَه ، فيجد زوجتَه مهملةً له حتّى إنّها لم تمشِّطْ شعرها فضلاً عن أن تتزيَّنَ له .

وهذا الأمر قد يبدو صغيراً في نظرِها خاصّةً إذا كان لديها أطفالٌ وبناتٌ متزوِّجاتٌ وأبناءٌ متزوّجون وأبناء كبار ، لكنه عاملٌ مؤثرٌ للغاية في نزع مودَّتها من قلبِ زوجِها وعدم اهتمامِهِ بها وإنزالِه « ضَرَّةً » عليها ؛ فهو صغيرٌ من جهةٍ كبيرٌ من جِهَةٍ أُخرىٰ . ومع الأسف فإننا جميعاً ولا سيما المتدينين لا نهتمُّ بهذه الأُمورِ الصغيرةِ الكبيرة ، فالنساءُ المتديِّناتُ يُسَوِّغْنَ ذلك بأَنَّ مِن غيرِ المناسبِ قيامهن بتلكَ الأعمالِ وقد كبر الأَولادُ ، فيجلبنَ نفرة أَزواجِهِنَّ مِنْهنَّ بذلك ، أو أن الزوج لا ينظِّفُ أسنانَه رغمَ أَنَّ الرسول الأكرم (صلَّى الله عليه وآله) يقول : ـ « صلاةٌ على أثرِ السِّواكِ أَفْضَلُ مِنْ خمسةٍ وسَبْعِين صلاةً بغيرِ السِّواك »[2] ، وهو السواك الذي يقول عنه (صلّى الله عليه وآله) : ـ « لولا أَنْ أَشُقَّ على أُمّتِي لأَمَرْتُهم بالسِّواكِ عندَ وضوءِ كُلِّ صلاةٍ »[3] وهذا يعني أن أرضية الأمر الوجوبي متوفِّرةٌ فيهِ ، ولكنه مع ذلك لا يهتم به ، وينام إلى جانب زوجتِه والرائحةُ الكريهةُ تنبعثُ مِن فَمِهِ فتصبر في المرَّةِ الأُولى والثانيةِ والثالثةِ ، ولكنها تأخذُ فيما بعدُ بالتذمُّر ويشتدّ تذمُّرها ، وبذلك تصبحُ رائحةُ الفمِ سبباً لِنزعِ المودَّةِ من قلبِ الزوجة ، ويحدث العكسُ إذا الحالُ هو في الطرفِ الآخَر ، فقبيح للمرأةِ ـ عُرفاً وشَرعاً ـ أن تنبعث الرائحة الكريهة من بدنِها ، وقبيح للرجل أن لا

(١) راجع كتب سنن النبي للعلاّمة الطباطبائي .

(٢) المحجة البيضاء ج ١ ص ٢٩٧ وفيه عن الباقر (ع) أنه تعدل سبعين صلاة .

(٣) المصدر السابق نقلاً عن الكافي ج ٣ ص ٢٢ .

يكون نظيفاً في منزِله وفي المحافلِ والأماكنِ العامّة .

فالنظافـة أمرٌ مهمٌ ، ويُنسب إلى النبي الأكـرم (صلّى الله عليه وآلـه) أنه قال : ـ « النظافةُ من الإيمان »[٤] .

فإذا أردتم معرفة إيمان المسلم فانظروا إلى نـظافته ، فـإذا لم يكن نظيفـاً فإسلامُه (إيمانُهُ) ناقص .

وهذه في رؤية علماء النفس من الأمور الصغيرة الكبيرة .

٢ ـ إظهار المودة :

تأمر الأحاديث الشريفة بأنك إذا أحببت أخاً في الله ، فأَخْبِرْه بذلِـك[٥] ، بـل وَرَدَ فيها الأمـرُ بذلِـك للزوجِ تِجـاهَ زوجتِـه وللزوجـةِ تجـاهَ زوجِهـا ؛ قـال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « قولُ الـرجلِ للمـرأةِ إنّي أُحِبُّك لا يَـذْهَبُ مِن قَلْبِها أَبَداً »[٦] .

وقولُ مِثل ذلِك يبدو أمراً مألوفاً عـاديّاً ، والكثيـر منكـم لا يعيره أهميـةً ولا يتفوّهُ بِهِ كلَّ يومٍ أو كلَّ أسبوعٍ أو في الشهرِ مرّةً ، حتى إذا كان يحبّ زوجتَه .

ونفس الأمر يصدق على الـزوجة ، بـل إنّ بعض النساء تخجـل من قولِ هذِه الكلمة .

إنَّ الإسـلامَ يـريـد من الأمـرِ بتبـادلِ السـلامِ والتحيـاتِ والسؤالِ عن الأحوالِ وتبادلِ المشاعرِ الجياشة ، تعـزيزَ المـودّة بين المسلمين ، وهذا هـو الهـدف من تأكيـدِه تَبادُلَ الـزياراتِ واعتيـادِهِ قَطْعَ الـرحمِ مِن كبـائرِ الـذنوبِ واعتباره تَرْكَ التزاورِ من المكروهاتِ .

---

(٤) ورد مضمونه في العديد من الأحاديث النبوية .
(٥) راجع بحار الأنوار ج ٧٤ ص ١٨٢ .
(٦) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١٠ .

فهذا التزاور يُعزِّز المودة ، فأرجو من الزوجات والأزواج أن يُظْهر بعضُهم المودّةَ للبعضِ الآخر ، فيخبر الزوجُ زوجتَه باستمرارٍ وبَشاشةٍ وحيويّةٍ بحبِّهِ لها ، فتُجيبه بمثلِ تلك الحالةِ : أنّها لا تَرْضَى بالدُّنيا بديلاً له ، وأنّها مُستعدَّة للتضحيةِ بالدنيا من أجلِه .

وهذا العمل الذي يبدو صغيراً يؤثِّرُ بقوةٍ في استجلابِ المحبّة .

والأحاديثُ الشريفةُ توصي المرأةَ بالتزيُّنِ(٧) وارتداءِ الملابسِ التي يُحِبُّها زوجُها وتهيئةِ مائدةِ الطعامِ وتنظيفِ الأطفال وتهدئتهم وإيجاد جوّ هادِىءٍ قبلَ مجيءِ زوجِها ، وأن تفتح هي بنفسِها البابَ له ولا تأمر الأطفال بذلك ، وتسلّم عليه وتبتسم له وتحادثه بمودّةٍ وتأخذ بيدِه إلى مائدةِ الطعامِ الذي يُصبح بذلك لذيذاً لكليهما .

قد تبدو هذه الأمورُ صغيرةً بنظرِنا ، ورُبَّما اعترضتْ بعضُ السيداتِ عليها ورأتْها عاملاً في زيادةِ طلباتِ وتوقُّعاتِ الأزواجِ ، لكنّ هذِه الأمورَ الصغيرةَ مؤثّرة جداً في تعزيز شخصيةِ الزوجةِ واستِجلابِها لِمحبَّةِ زوجِها .

فمِثلُ هذا التعامل يُصلِحُ حالَ الزوجِ مهما كان سيِّىءَ الخلقِ ، فإنْ لم يَصلح اليوم ، يَصلحُ غداً ، أو في الشهرِ القادم .

٣ ـ جلب الهدايا إلى الأسرة :

توصي الرواياتُ الرجلَ بجلبِ هديةٍ ـ ولو صغيرةٍ ـ عندما يأتي إلىٰ المنزِل(٨) ، وأن ينزع عن نفسِه هُمومَه خارِجَ المنزِل ، ويدخل المنزل بابتِسامةٍ يُقابِلُ بها سلام زوجتِه ، بل يبادر هو إلى الابتداءِ بالسلام عليها وتقديمِ الهديةِ التي يحمِلُها لها ، ويزيل عنها التعب بكلمةِ شكرٍ وإشادةٍ بعملِها ، ويشكرها

(٧) راجع وسائل الشيعة ج ١٤ أبواب المعاشرة من مقدمات النكاح .
(٨) راجع سفينة البحار ج ٢ في مادتي (عيال) و(ولد) .

على إعدادِها الطعامَ عنـدما يجلِسُ إلى المـائدةِ ، حتى لـو لم يكن على وفق ما يَرغَبُ فيه .

ومِثل هذا التعامل يَسِيرٌ في الظاهر ، كبيرٌ ومؤثّرٌ للغاية في جَلْبِ المودّةِ ، فهو يخرج من القلب كافّة أشكـال التعب والضجر ، ولكـوننا لا نقـوم بها يسـود بيوتنا البرود .

وعندما ندرس الأمر نجـد أنّ هذه الحـالة من البـرود أوجدتهـا الزوجـةُ ، فواضح أنّ الزوجَ عندما يدخُلُ البيت ويرىٰ زوجته غير متزيّنةٍ ، يَشْعُرُ أَنَّ عليه أَنْ يقدِّمَ كفّارةً قبلَ أن ينظر إلى وجهِها ، أو أَنَّ الزوجة تشاهـد زوجَها عـابساً مقـطِّباً حاجِبَيْهِ وهو يدخل البيت . إنَّ مثلَ ذلِـك يهدِمُ المـودّةَ ، حتى في الشهرِ الأَوَّلِ أو في الثاني .

ونفس الشيءِ يفعلُه وضعٌ من قبيل أن يدخل الـزوجُ ـ الذي أوصىٰ مِـراراً زوجتَه بأن يكون الطعام حاضِراً عند مجيئـهِ ـ البيت وهو جـائع فيجـده غيرَ معـدٍّ إلى الآنَ ، ويجلس في انتِظارِه ، ثم يأتي ـ بعد حين ـ طعامٌ غير جيِّد تضعه بينَ يَدَيْهِ وهي تقول له : إنَّه « آش ، خالتك فإنْ شِئْتَ تناوله وإلاّ فَدَعْهُ »(٩) .

ونفس الأمر يؤدي إليه عدمِ حملِ الـزوج شيئاً إلى البيت واستبـدال ذلك بكلمةٍ جارحةٍ يوجِّهُها لزوجتِه أو تعنيف أو صراخ !! .

ومثل هذِه الأُمورِ الصغيرةِ كثيـرةٌ بَيْنَنا وهي صغـائرُ ذاتُ تـأثيرٍ عـظيمٍ في قتلِ المودّة .

فـإذا أردتم أن تسود المـودَّة أجواءَ الأُسـرةِ والبيت ، فعليكم برعـايةِ هـذِه الأمورِ الصغيرة الكبيرة . .

---

(٩) « آش » اسم نوع من الطعام الإيراني يُعد من الحبوب والخضروات وما بين القـوسين مثلٌ شـائعٌ عن عدم الاهتمام بالأمر .

● قصة الأصمعي والزوجة الصابرة :

كان الأصمعيّ وزيراً للمأمونِ ، والمأمونُ بحدِّ ذاتِه كان شيطاناً كبيراً جداً وعالماً شيطانيَّاً خفياً ، والأصمعي كان مشبوهاً (شيطاناً) أيضاً ينقل أنَّه ذهبَ للصيدِ الترفيهي ـ ووهو عملٌ قبيحٌ ومحرَّمٌ في الشرع الإسلامي ، ورغم ذلك كان يواظب عليهِ خلفاءُ بني أُميَّة وبني العباس ، فأضاع القافلةُ التي خرجَ للصيدِ معها ، وبقي في الصحراءِ وحيداً ، فشاهد من بُعدٍ خيمةً ، فذهب إليها ليجد فيها امرأةً شابَّةً جميلةً ، فجلس في زاويةٍ من الخيمة ، وجلستْ هي في زاويةٍ أُخرىٰ ، فطلب منها ماءً ليروي عطشَهُ ، فتغيَّرت واعتذرتْ بأنَّها لم تستأذنْ زوجَها في مِثلِ ذلِكَ ، ثم قدَّمتْ له مِقداراً مِن اللَبنِ أخبرتْه أنّه طعامُ ظهيرتِها ، فتناوله ، وجلس ساعةً انتبه بعدها إلى هذه المرأةِ وقد قامت ، فرأىٰ راحلةً تأتي من بعيد وعليها رجلٌ هو زوج هذِه المرأةِ التي سارعت إلى حملِ إناءِ الماءِ ـ الذي « رفضت تقديمَه للأصمعي ـ إلى خارجِ الخيمةِ تستقبل به زوجَها الذي كان شيخاً قبيحاً ، فتعجَّب الأصمعيُّ من هذا التباين .

ثم كان أن قامت المرأة ـ وبعد أنّ ترجّل زوجُها من بعيرِه ـ بغسلِ قدميهِ على صخرةٍ أعدَّتها لذلِكَ كما غسلت وَجْهَه ويَدَيْهِ وحَفَّته بالتوقيرِ وهو يدخل الخيمة ثم جلست في مقابِلَه ، ثم يذكر الأصمعي أنَّ الزوجَ كان سيِّءَ الأخلاقِ ، لكنه كلّما تعامَلَ معها بِأخلاقٍ سَيِّئةٍ قابلتْه بتعامُلٍ أخلاقيٍّ حسن ، فلم يتحملِ الأصمعيُّ ذلِك ، وتمنى أن يظلَّ في الصحراءِ يتلظّىٰ في حرارةِ الشمسِ على مشاهدةِ هذا الوضعِ ، فخرج من الخيمة دون أن يهتمَّ به ذلك الرجلِ .

أمَّا المرأةُ ، فقد خرجتْ من الخيمةِ لتوديعِه إكراماً له كضيف وخارج الخيمة عاتبها الأصمعي على شِدَّة رعايتِها لهذا الزوجِ القبيحِ وهي على ما هِيَ عليهِ من جمالٍ وكمال ، فتغيَّر لونُها تأثُّراً من قَدْحِهِ لزوجِها وأنكرتْ عليه ذلِك

وسَعْيَه لإثارةِ الخلافِ بينَها وبين زوجِها ، وأخبرتْه أنَّها سمِعْت حديثاً عن الرسولِ (صلّى الله عليه وآله) وتريد العمل به لتكون من أهل الجنّة ، وهو قوله (عليه السلام) : ـ « الإيمانُ نِصفانِ : نِصْفٌ صَبْر ، ونصفٌ شُكْر »(١٠).

فبصبرها على زوجِها تستكمل الإيمانَ ، وتشكر ما أنعم الله بِهِ عليها مِن جمال ؛ فوعظَتْه بذلك وأَسْكَتَتْهُ(١١) .

ولِمثل هذِه يُقال إنَّها سيِّدةٌ مسلِمة ، وعلى نَقيضِها ما يراهُ الإنسانُ أحياناً مِن صدورِ كلِماتٍ غايةٍ في سوءِ الأدبِ تخرج من بعض النساء .

وقد أوصيتكم قَبْلَ يومين بالحَذَرِ من أَنْ يُعيِّرَ أحدكم الآخر بذكرِ أوضاعِ الآخرينَ كأن تتحدّث المرأةُ بحضورِ زوجِها ـ عمَّا يصرفهُ الزوجُ الفُلاني وما يمتلكه ، أو أن يتحدّث الزوجُ بحضورِ زوجتِه ـ عن أَنَّ زوجةَ فلانٍ جيّدةٌ للغاية .

ويرتكب بعض الأزواج اشتباهاً فظيعاً عندما يتحدّثون لزوجاتِهم عن جمالِ وحُسنِ زوجاتِ آخرينَ ، فيلمزون زوجاتِهم ، ومثلُ هذه التصرّفاتِ تخرج ـ كما هو واضِح ـ كلَّ نوعٍ من المودّة من قلبِ الزوجة .

وبدلاً مِنْ هذه التصرّفات يَجِبُ على الزوج أن يُشيدَ بمحاسنِ زوجته ـ حتى لو لم تكن جميلةً في عينه ـ ويخبرها بأنَّه لا يعرِفُ أفضلَ منها .

وواجب الزوجة أيضاً هو أنْ تُشِيدَ برجولةِ زوجها ، وأنَّها لا تعرِفُ خيراً مِنْهُ ، وبالتالي أَنْ يخدِمَ كلٌّ مِنهما الآخر ، ويشيد كلٌّ منهما بالآخرِ ، بل إنَّ هذِه من المواردِ التي يكون الكذب فيها جائزاً .

---

(١٠) راجع المحجة البيضاء ج ٧ ص ١٠٥ .

(١١) قريب مما أورده الشيخ المحاضر تجده في قصة الأصمعي مع إمرأة في البادية ، المروية في المحجة البيضاء ج ٣ ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

وهذه الأمورُ الصغيرةُ مؤثِّرةٌ جِدّاً في استِجلابِ المودَّة وفي التعبيرِ عن قوة الشخصية ، بمعنى أنَّ المرأةَ ذات الشخصيّةِ القويّةِ هي التي يكون نظرها إلىٰ زوجِها لا إلىٰ الآخرينَ .

وتؤكّدُ الروايات الشريفةُ أنَّ المرأةَ التي تخرجُ من بيتِها متعطِّرةً فيشُم طيب رائحتِها غيرُ محارمها ، تلعنُها الملائكةُ وكلُّ حجرٍ ومَدَرٍ تمرُّ عليهِ حتى تعودَ إلىٰ بيتِها(١٢) .

فأوصي السيداتِ أن لا يضعن المُلاءَةَ أو الألبِسةَ التي يرتدينَها عند خروجِهنّ من البيت في مكانٍ تُوجد فيهِ عطورهن أو ألبسة تنقل رائحة العطر ، وأُوصيهن أن لا يتعطرنَّ عندَ خروجِهن ، فإنَّهُ إذا شَمَّه غيرُ المحارِمِ لعنتهنَّ الملائكةُ والأبوابُ والجدرانُ والأرضُ والزمانُ ، ولا تتصورنَ أنّها عديمةُ الشعورِ ، بل : ـ ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾(١٣) .

نحنُ نَسْمَعُ ونُبْصِرُ ونعي
لكِنّنا صامتون أمامكم أيها الأجانب(١٤)

فلو كان هناك سمعٌ (ملكوتي) لسمع الإنسانُ صوتَ التكبيرِ من هذا العمود .

أمَّا السيِّدةُ التي تتعطَّرُ لزوجِها قبل أن تذهب إلىٰ مضجَعِها ، فإنَّ الملائكةَ تستغفر لها حتى الصباحِ ، وتحظى برضا الله ورسولِهِ والأئمةِ

---

(١٢) راجع ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للشيخ الصدوق ص ٣٠٨ عن الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) : ـ « أي إمرأةٍ تتطيّب ثم خرجت من بيتها فهي تُلعن حتى ترجع إلى بيتها متى رجعت » وراجع كذلك وسائل الشيعة ص ١١٢ وما بعدها من المجلد ١٤ .

(١٣) سورة الإسراء / ٤٤ .

(١٤) ترجمة نثرية لبيت شعر بالفارسية للشاعر الإيراني العارف جلال الدين الرومي .

الطاهرين ويستغفرون لها حتى تستيقظ[١٥] ، فقيامُها بذلك قد يبدو صغيراً بعينها ، لكنّه مؤثّرٌ للغاية في جلب المحبّة .

أيتها السيدة إنَّ شخصيتك القوية لا يعبّر عنها ارتداءُ « مُلاءَةُ الشيرمن » أو اللباسُ الجاذبُ للأنظارِ عند خروجِك من البيت ، بل على العكس ، فهي علامة ضعفِ الشخصية ، وكلّما ازداد لمعان هذا النوعِ من المُلاءاتِ وازدادتْ جاذبيةُ ذاك اللباسِ الفاضحِ ، اشتدّتِ الضربةُ التي يوجّهُها لِشخصيتكِ ، يقول ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾[١٦] .

فيا أيّتها السيدة ! أنتِ مسلمة ولكِ شخصيتُكِ ، فلستِ مثل نساء الجاهلية في كلِّ مكانٍ ، ولست عديمةَ الشخصية ، فلا ينبغي لك ارتداءُ ما يجذب الأنظارَ عندَ خروجكِ من المنزل ، وآستُري نفسَك لكي لا يجذب وجْهُك الأنظارَ ، فالتي لا شخصيّةَ لها هي التي تفعل مثل ذلك .

أمّا ذاتُ الشخصيّة القوية ، فهي التي تكونُ جاذبةً لزوجِها ، وكذلك فإنَّ الزوجَ ذا الشخصيَّةِ هو الذي يشدُّ إليهِ زوجَتَهُ ، وليس الذي يتوهَّم أن شخصيتَهُ يصنعها صُراخه في البيتِ وخوفُ عيالِه منه خيفَتَهم من الأسد ، والذي يقول أحياناً : إنّه يجب أن يفعل ذلك ، لكي لا يتسلّطوا عليه !! .

لا تقل مثل هذا ، فهو قولٌ شيطانيٌّ ، بل عليك التحلّي بسلامةِ القلبِ وطيب اللسان ولين الجانبِ .

أخبِرْ زوجتكَ بأنك تُحِبُّها وبأنَّك لا تعادِلُها بكلِّ الدنيا ، وأنّك تكدح من أجلِها ومن أجلِ أن تعيش في رفاهيةٍ ، وأن في ذلك عيدك .

ولمثل هذا يُقال إنّه رجلٌ قوي الشخصية .

---

(١٥) راجع وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١١٢ .
(١٦) سورة الأحزاب / ٣٣ .

أمَّا الصُّراخُ في البيتِ ، فهو علامـةُ ضعفـه وهـو أمرٌ صغيـرٌ ، لكنها مؤثِّـرٌ للغايةِ في قتلِ المودّة .

كمـا أن مساعـدة المرأةِ في أعمـالِ المنزل هـو علامـة قوة الشخصيـة ، ونفس الأمر يصدق على تحلّي المرأةِ بالنظافةِ وطيبِ اللسان والتعامل الحسن .

المحاضرة الخامسة عشر :-

الفصل السادس

تعدد الزوجات وأسبابه

١ ـ الزواج الضروري
٢ ـ الزواج بدافع الأهواء
٣ ـ الزواج لأمراض نفسية

تعدد الزوجات وأسبابه

يدور بحثنا اليومَ في موضوعِ تعدُّدِ الـزوجاتِ وعِلَلِه وعـوامِله من الناحيـةِ الأخلاقيةِ ، وليسَ من الناحيةِ الفقهيَّةِ والاجتماعيةِ وغيرِها .

وتعدُّدُ الزوجاتِ على أقسام : ـ

١ ـ الزواج الضروري :

القسم الأول هو الذي تقتضيهِ الضرورةُ كأن تكونَ الزوجةُ مـريضةً ، فـلا تستطيعُ تلبيـةَ الحاجـةِ الجنسيَّةِ لـزوجِها ، أو القيـامَ بأعمـالِ المنزِل ، فيضـطر الرجل إلى اتّخاذِ زوجةٍ أُخرى .

وهنـا يظهـر أحد الأحكـام المهمة في الإسـلام ، فالمسيحيـة التي تفتقد حكم جوازِ هذا التعدّد وقعت في مأزِقٍ حـادّ اضطر أصحـابها إلى وضـعِ قوانينَ مبتذَلةٍ للغايةِ .

ومِن مصاديقِ الضرورةِ في هذا المجالِ ـ وهو محدود للغـاية ـ أن تكـون الـزوجة عقيمـاً ، ولا تَرضى هي أو زوجُهـا بذلِـك ، فهو يـريدُ طِفـلاً ولا يمكنه العيشُ دونَه ، فتقتضي الضرورةُ أن يتزوَّجَ بِأُخرى .

وفي مصاديقِ الضرورةِ هذه أوصي السيداتِ أن يبـادرنَ بأنفسهن لاختِيـارِ المرأةِ التي تنسجِمُ مع كلٍّ مِنهنَّ ومِن الناحيةِ المعنوية لأزواجِهن .

٢ ـ الزواج بدافع الأهواء :

القسم الثاني هو الـذي يقع بـدافع الأهـواء ، فيتوهَّم الـرجل أنّ للزوجـةِ الثانيةِ لَذَّةً أخرىٰ ، فتجد شخصاً مترفاً منغمِساً في الشهواتِ يتـزوَّجُ الأولى ، ثم الثانيةَ ، ثم الثالثةَ ، ولو استطاعَ لأعدَّ لنفسِه (دار حريم) .

والذي ينبغي أن أقولَهُ هنا هو أنَّ لهذا النـوعِ من الزواجِ تبعـاتٍ أخلاقيـةً خطيرةً ، فالانغماسُ في تلبيةِ الغرائزِ يسوق الإنسانَ إلى وادٍ خطيرٍ ، إذْ ليس لها حدٌّ تقف عنده وتشبع ، فلا يشبع من السلطة والرئاسة .

وهـذا يصدق على كـافة الغـرائز ـ وللغـريزةِ الجنسيّـة خصوصيـة خاصـة أيضـاً ـ ، ولـو تسلّط إنســانٌ علىٰ الأرضِ كـلِّ الأرضِ لسعى إلى البحثِ عن كوكبٍ آخَرَ ، ليتسلَّطَ عليهِ .

ولو امتلكَ نهراً من ذهب وآخـرَ من فِضَّة ، لمـا شبع كمـا يشيرُ إلى ذلـك الإمامُ الصادقُ (عليه السلام)[١] .

وإضافةً لذلك فإنَّ للغريزةِ الجنسيَّة خصوصيَّةً أُخرىٰ تبلغ خطورتها حدَّ أنّ خُلفاءَ بني أُميَّة وبني العباس وبعض ملوكِ إيرانَ كانَ لكلٍّ مِنهم دار حريم .

ورغم ذلك كانوا يطاردون نساء الآخرينَ ، أي فـرضاً كـان لأحدِهم مـائة من الفتيـاتِ الحســانِ اللواتي جمعهن في مكـانٍ واحـدٍ ، وقـد لا يـرى بعضَهُن طوالَ عامٍ كامل ، ومع ذلك كـان يسعىٰ لِلعُثورِ على فتيـاتٍ أُخريـات ـ حتى لو كُنَّ زوجاتٍ لآخَرينَ ـ لكي يتملَّكَهُنّ .

هذه الحالة يصفها علماءُ النفسِ بالفلتـانِ النفسي ، إذْ لا يشبع المُصـابُ بهـا مهما أُعـطي ولا يرتـوي ، ويضيفون أنَّ الغـريزةَ تـظمـأ (تُثـار) والعـوامـل

---

(١) راجع أصول الكافي ج ٢ باب ذم الدنيا والزهد فيها .

المؤديـة لذلك هي ملاحقةُ نساءِ الآخرينَ بالنظرات الحيوانية ، أو فقدان المرأةِ للحجاب والعِفَّة وتطلعها للآخَرينَ بنظراتٍ شهويَّةٍ .

وبسببِ هذهِ الحالةِ حتى لو كانت للرجل زوجة جميلة شابة واحدة وثـانية وثـالثة ـ لا يتخلَّى عن نـظراتهِ الحيـوانيَّةِ ، فـلا يشبع ، ويـطلب أن يصبح مثـل هارون الرشيد له « دار حريم » ولو امتلكه لمَا شبع .

كما أُحذِّرُ الزوجاتِ اللواتي لا يعتنِينَ بِحجابِهن ولا يتورعنَ عن النـظراتِ المريبةِ وعن التطلعِ لغيرِ أزواجِهنّ من خطورةِ حالِهنَّ وتبعاتِه المدمِّرة .

ويذكر علماءُ النفس أَنَّ ظهورَ حالةِ الفلتانِ النفسي في النساءِ تدفعُهن إلى الكشفِ عن الأجزَاءِ المثيرةِ من البَدَنِ ـ كأَعلىٰ الساعدِ وما فوق الـركبةِ والصـدر وأمثالِها للأجانب .

وهذا هو ما يدفع بعضَ غير المهذبات إلى ارتداءِ ألبسةٍ لا تستر سواعِدَهُنّ لكي يكشفنها لِلكسبةِ عندما يذهبنَ إلىٰ السوقِ .

وقـد يصل الحـال بالبعضِ منهنَّ إلى الجلوسِ في الأَزقّـةِ بِمُلاءَةٍ مُلوَّنـةٍ دون جواربٍ ، وتدفع مُلاءَتَها إلى الوراءِ ، لِتُبدِيَ ساقيها للأَجانب .

والدافع لهذِه السلوكياتِ غيـرِ المهذبـة هو ظمـأ الغريـزة الجنسية ، كمـا يقول علماء النفس .

والبعضُ من المسنين ـ ورغم كـونِهم عاجـزين جنسِياً ـ يـطلقـون العِنـانَ لنـظراتِهم الشهويَّـة ، فالكـاسِبُ منهم يُوجِّـه نظرَةُ الحـرامِ خمسين مرَّةً لـمثـلِ تلك المتهتِّكاتِ كلَّ يوم .

وهذا وضع خطير من وجهة نظر الإسلام وعلماء النفس أيضاً .

وهنـا أوجِّه كلمـةً ـ بين قوسين ـ للنسـوة اللواتي لا يـوجـد منهنّ في هـذا الاجتِماعِ والمرجو أن لا يوجد منهنّ بين اللواتي يستمعن لحديثِنا مِنَ الإذاعةِ ،

وهي أنَّ جلوسَ المرأةِ أو الرجل في الزقاق عمل خاطِىء ، وهو من المـرأةِ أقبحُ خاصّةً إذا كانت لا تهتمُّ بأمرِ حجابِها .

فـإذا جلست امرأتـانِ أو ثلاثٌ في الـزقاق ، فليعلمن أنَّهنَّ غيـرُ مهذّبـاتٍ وعديماتُ الشخصيةِ . فضلاً عن أن عملَهُنَّ هذا يجعل غيرَ المحارم يـرونهنَّ ، فيُصبحن سبباً لوقوعهم في المعصية .

وهذا بحدِّ ذاتِه معصيةٌ كبيرة .

إنّ المرأة التي تحترم شخصيتَها لا تقعد في الزقاقِ عَليها مُلاءَةٌ ملوَّنَـةٌ وقد أبدَتْ فِتنةَ ساقَيْها . ـ والعياذ بالله ـ ، بل تقرُّ في بيتِهـا ، وتقوم بـأعمالِ المنـزل ورعاية الأطفال ، وإذا لم يكنْ لديها من هذِه الأعمالِ شيءٌ عمدت إلى القـراءةِ والاستِماع إلى الأشرطةِ الدينيَّةِ أو الفنيَّةِ أو الاجتماعيةِ .

وممـا لا شـكَّ فيـه أنّ قعـود النسـاء في مكـانٍ واحــدٍ لا يخلو من الغِيبـةِ ـ واحتمالاً ـ البهتان والنظرات الشهوية .

فليعلمن أنَّ مـا أُصبح متعـارفاً في بعض الأمـاكن من جلوسِ النساءِ في الأزِقّـة هو ظـاهرة اجتمـاعيّة مخـزية وعـلامة على فِقـدان التهذيبِ والشخصيـةِ المحترمة .

وهذا ما لا ينسجم مع سُنَّةِ الزهراءِ (سلام الله عليها) .

ومَن تفعل مثل ذلك وتقول : إنَّهـا تحبُّ الزهـراءَ وإنَّها تـابعةٌ لهـا ، فهي كاذبةٌ في قولِها بلا شك ، فالزهراءُ (عليها السلام) تتأذّى من أفعالِ أمثالِ هذِه المرأة .

إذن فالقسم الثاني لتعدُّدِ الزوجـاتِ هو الـذي يقع بـدافعِ الأهـواءِ ، وقد يَخْدَعُ مَنْ يفعلُ ذلِكَ نفسَهُ والآخرينَ في بعضِ الأحيان ، ويغطّيهِ بادِّعاءِ السعي للحصـولِ على الثـوابِ ، فيجلب ـ بــدلاً مِنَ الثـواب ـ مصــائبَ شتَّى لنفسِـه

ولزوجتِه الثانيةِ ، وكـذلك لـلأولىٰ ، فهو كـان كاذبـاً في دعوىٰ الحصـولِ على الثوابِ من زواجِه بالثانيةِ .

فدافعه كان الأهواءَ ، ولم يكن يحتـاجُ للزواجِ الثاني ، فهـذا عملٌ قبيـح عندَ علماءِ علمِ الأخلاقِ الذينَ يُوصونَ تلامِذَتَهم مُنذ الأيامِ الأولى بـ :ـ « إيَّاكَ ثم إيَّاكَ ثم إيَّاكَ والتوغُّلَ في المُشْتَهياتِ » .

فحذارِ حذارِ من أن تشغل قلبَك هذِه المشتهياتُ .

حذارِ من كثرة الأكلِ وكثرةِ النوم والكسلِ وكثرةِ الكلام .

وعليك أن تجتهد في حفظِ التوازنِ في تلبيةِ غريزتِك الجنسيّة .

فهـذا النمطُ من الزواجِ الشهـويِّ التَّرَفِيِّ هـو عملٌ قبيـح أخـلاقيـاً ، ولا ينسجِمُ مع الوفاءِ للزوجةِ الأولى .

ينقل عن أحدِ العلمـاءِ الكِبار مـوقِفٌ يبعثُ الإعجابَ حقّـاً لدىٰ الإنسـانِ بـالمقامـاتِ الساميـةِ التي يصلُها الـذين يُهذِّبـون أنفسهم|وبالكلمات والأعمـال العـظيمة التي تصـدر عنهم ، فقد رُوِيَ أنَّ السيـد المرحـوم إبـراهيم القـزويني ـ وهو من مراجعِ النجفِ وكان يعيشُ في كربلاءَ ـ كان يحظىٰ بمنزلةٍ مرموقةٍ بين طلبةِ الحوزاتِ العلمية ، لأنَّه كانَ على درجةٍ علميةٍ متقدِّمـةٍ للغايـةِ ، وفي مقام سامٍ في تقواهُ وأخلاقِه ، وكان يحظىٰ بحبِّ طلابِ الحوزةِ له .

وفي زمانه طُلِّقَتْ « ضياءُ السلطنة » ابنةُ الملِكِ « فتح عليشاه » من زوجِها وكانت ماتزال شابَّةً ، وقد أعرضت عن البقاءِ في إيـران ، فتوجَّهت إلى كـربلاءَ للإقامةِ فِيها دون كفيل .

هذه الشابة بعثت رسولاً إلى المرحومِ السيِّد القزويني ليخبره أنها تـرغب في أن يَشْمَلَهـا ظِلُّه ، وأن يتزوَّجَهـا ، وتدخـل في بيتِه وكَنَفِـه . السيـد أجـاب الرسول بأن يحمِلَ سلامَه لضياءِ السلطنةِ وخطابَه لهـا بـ « لا تَناسُبَ بَيْني وبينَـكِ فلسنا أكفاءَ لبعضِنا البعض فأنا شيخ وأنْتِ شابَّة .

أنا مِن الطلبةِ وأنتِ أميرة .

وأنا فقير وأنتِ ثريَّة » .

فجاءَهُ جوابُها بهذِهِ الصورَةِ :

« أيّهـا السيّد ، إنني أفتخـرُ بأن أُصبِـحَ زوجتَكَ وفي كنفِـكَ ، وأن أُعْرَفـا بذلِكَ .

وإنِّي لا أطلُبُ منك شيئاً مِنَ المـالِ ، بل إنِّي مستعـدَّةٌ لتكفُّل مصـاريفِ بيتِك الأوَّل أيضاً !! » .

المـرحوم السيـد رأى أنَّها لا تتخلَّىٰ عمّـا تُريـدُ ، فعمد إلى قـطعِ أملِهـا بالكل ، وحمَّلَ الرسولَ سلامَه وخِطابَـه إليها بـ « إنني متـزوِّجٌ من امرأةٍ تحملتْ علىٰ مدىٰ أربعينَ عامَـاً فَقْرِي وغُـرْبتي ومصاعِبَ حيـاتي ، وَليس مِن الوفـاءِ أن أُجازِيَها بعدَ أربعينَ عاماً من تحمُّلِها المشاقَّ في القيامِ بأعمالِ المنـزِل ورعايـةِ الزوج والأطفال ـ وفي ظل الفقر والغربة ـ بأَنْ أُنزِلَ عليها ضَرَّةً لها .

ولذلك لا أرضىٰ بالزواجِ منك » .

هذا الموقِفُ قد يكون ثقيلاً على البعضِ ، ولكِنّه موقِفٌ سامٍ وبليغ .

وإنِّي أنصح لِلَّذينَ يُريدونَ الزواجَ بثانيةٍ وأقول لهم : إنْ كنتم تسعون حَقّاً للحصول ـ على الثوابِ من ذلك ، فقدِّمُوا المصاريفَ التي تُريدُونَ تخصيصَهـا بـالزواجِ الثـاني هديـةً لتزويـجِ شابٍّ وشـابَّةٍ ، وتكفلوا مصـارِفَ هـذِه الأُسـرةِ الجـديدةِ ، فثـوابُ هذا العمـل فـوق كـلِّ ثـوابٍ ، فـالإمـامُ مـوسى بنُ جعفـرٍ (عليه السلام) يعتبـر تكفُّلَ معيشـةِ أُسرةٍ واحـدةٍ لِمدّةِ أُسبـوعٍ خيراً مِن سَبعِينَ حجَّةً .

٣ ـ الزواج لأمراض نفسية :

القسم الثالث هو تعدُّد الزواجِ المرضي . فللانسان ميولٌ ورغبـاتٌ إذا لم

يُستجب لها انتقل من الوجدان الشعوري إلىٰ اللاشعورِ ، فهي تَنسىٰ تدريجيّاً إذا لم يَسْتَجِبْ لهـا الضميرُ الـواعي تنتقـل إلى الضميرِ الـلاوعي بعـدَ مُـدَّةٍ ، وتتحوَّلُ إلى عقدةٍ نفسيّةٍ خطيـرةٍ تبلغ خطورتُهـا حدَّ أنهـا قد تؤدِّي بـالإنسانِ إذا امتلكَ عِلماً أو سُلطةً إلى إحراقِ العالَمِ أجمع مثلمـا هو حـالُ أصحابِ الأفكـار الصهيونية .

يحـدث أحيانـاً أن تغفُل الـزوجةُ عن تلك الأمـورِ الصغيـرةِ الكبيـرة التي تحـدّثنا عنهـا بالأمسِ ، فـلا تعمل بـواجبها ، كـأن تعبس بوجـه زوجِها عنـدما يدخل البيت بدلاً من التبسُّم ، ثم يسمع منها في اليوم الثاني صُراخاً ودعاءً على الأطفـالِ وتضجُّراً من إيـذائِهم لها ومِن العيْشِ في بيتِـه ، وفي اليـومِ الثـالثِ يسمعُ منها طلباتٍ بشراءِ بدلةٍ غاليةِ الثمن ، وهكـذا الحال في اليـومِ الرابـعِ ، وهكذا . . الأمرُ الذي يؤدِّي بمرورِ الـزمانِ إلىٰ إيجـادِ أزمةٍ نفسيَّـةٍ لدى الـزوجِ الذي يفكِّر بالحلِّ فيتراءى له حلُّ الزواجِ بأُخرى لعلّها تُرضِيه .

فهـذِه العقدةُ النفسيّـة هي مثل الشفـرةِ الحادّةِ التي تغـرسها الـزوجـةُ في جسمِ وروحِ الزوج ، فتؤذيهِ وتدفعه إلى الزواجِ بأُخرىٰ توهُّماً بأنَّها سَتُريحُه .

وأحياناً يرىٰ أنّ الثانية أيضاً لم تُرْضِهِ ، فيتزوّج بالثالثة .

وقد تؤدِّي تلك الشفرةُ المغروسةُ في الروحِ ـ تدريجيـاً ـ إلىٰ فِقدانِـه عِفَّة البَصَر ـ والعياذ بالله ـ .

هذا هو تعدُّد الزوجاتِ الذي تؤدّي إليهِ العقدُ والأزمـاتُ النفسيّة ، وعلّتـهُ هي سلوكُ الزوجةِ التي لا تُرضِي زوجَها ، ولا تعمـل بالـوصايـا الإسلاميَّـةِ بهذا الشأن ، وهي الوصايا التي يؤكِّدها علماءُ النفسِ أيضاً .

لقد أظهرتِ أيّتُها الزوجةُ عَدَم الارتياحِ والعبوسيّة بسببِ وجودِ نقصٍ في البيتِ ، فتفاعَلَ ذلك وأدَّى فيما بعدُ إلى أنْ تذوقي ثمرة عملكِ غيرِ الصحيح .

وأعتقِـد أنَّ أخطاءَ الـزوجاتِ هي التي تسبِّبُ مـواردَ هذا النمطِ من تعـدُّدِ

الـزواجِ ، وإنّي أُحذِّرُ الـزوجاتِ من أن أخـطاءَهُنَّ وجَهْلِهُنَّ وفِقـدانهنَّ الـرشـدَ والوعيَ هو الذي يُنزِلُ عليهِنَّ الضَّـراتِ ، فمصادِيقُ تعـدُّد الزوجـاتِ الضروري هي قليلةٌ جِدّاً .

وأنقل هنا واقِعةً مِنَ التأريخِ ، أسأَلُ عمّا إذا كانَ حـالُ الزوجـةِ على هذِه الصورةِ ، سيقع لها هذا النمطُ مِنْ تعدُّدِ الزوجـاتِ ؟ . الحادثـةُ وقعتْ في زمنِ الرسولِ الأكرمِ (صلّى الله عليه وآله) ، حيث روي عن الصحابيـة الأنصاريـة الرميضاء أمّ سليم زوجة أبي طلحة الصحابي وكلاهمـا مسلمان ويتعـاملان وفق أحكام الإسلام ومن محبّي الرسول الأكرم أنها قالت : ـ « توفي ابنٌ لي وزوجي أبو طلحة غـائب ، فقمتُ فَسجَّيْتُهُ في نـاحية البيت ، فقـدم أبو طلحـة ، فقمتُ فهيَّأْتُ له إفطارَهُ ، فجعل يأكُلُ ، فقال : كيف الصبي ؟ .

فقلتُ : بأحسنِ حالٍ بحمدِ الله ومنِّه ، فإنّه لم يكن مُنذ اشتكىٰ خيراً مِنه الليلة .

(وهي لم تكذب فقد ذهب إلى حيث يرضع من شجرةِ طوبى) .

ثمّ تصنّعتُ له أحسنَ ما كنتُ أتصنع قبل ذلك حتى أصابَ مِنّي حـاجَته ، ثم قُلْتُ : ـ ألا تَعْجَبُ مِن جِيرانِنا ؟ .

قال : وما لهم ؟ .

قلتُ : أُعِيرُوا عاريةً ، فلما طُلِبَتْ مِنهم جَزِعوا !! .

قال : بِئْسَ ما صَنَعُوا .

فقلتُ : هـذا ابنُك عـاريةٌ من الله ـ تعـالى ـ وإن الله قـد قبضـه إليـه ! ، فحَمِدَ الله وآسْتَرجعَ ثم غدا على رسـولِ الله (صلّى الله عليه وآلـه) فأخبـره ، فقال : اللهمَّ بارِكْ لَهُما في لَيْلَتِهما .

قال الراوي للحادثةِ عن أمّ سليم : فلقد رأيتُ لهم بعدَ ذلِك في المسجِدِ

سبعةَ (أبناء) كلهم قد قرأوا القرآن » .

وروى جابر عنه (صلّى الله عليه وآله) أنه قال : « رأيتُني دخلتُ الجنّة ، فإذا أنا بالرميضاء امرأة أبي طلحة »[٢] .

وأخاطب الجميع لا سيما السيدات بأنّ القرآن الكريم يقول : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[٣] .

فالهداية لسبُلِ الله هي الأجر العظيم الذي يعطيه الله للذين يعملون ويصبرون في سبيله .

وما تدري أي مقامٍ سامٍ يُوصل إليه ذلك .

ولاحظتم كيف دعا الرسولُ الأعظَمُ لهذه الأُسرةِ الصابرةِ ، فرزقَهُما الله في نفس تلك الليلة خيراً مما أخذ منهما .

أُوجِّهُ إليكُن سؤالاً أيّتُها السيّدات ، فلو كانت أحداكُنّ مثل أم سليم حقّاً ، فهل سيأتي زوجها بضرةٍ عليها ؟ .

لا ، إذن فاعلمي أنَّ التقصير منك أيّتها الزوجة .

وإذا درسنا حالات تعدُّدِ الزواجِ الناتجِ من أمثالِ هذِه العقد وهي حالات كثيرة نجد أن التقصير صادرٌ عنِ الزوجة ، كأن لا تقومَ بواجبات الزوجيةِ ورعايةِ الأطفالِ وشؤون المنزل ، أو أنّها ـ والعياذُ بالله ـ تخرج مُنذ الصباح للجلوس في الزقاقِ مع زوجةٍ مثلِها ، فتقضيانِ الوقتَ في الحديث والمزاح .

فإذا انتصف النهار ، دخلت منزلها ، وجاء زوجها ليشاهد البيت والأطفال حتى هي معهم يفتقدون النظافة وطعام الظهيرةِ غير مُعد . وعندها يفكّر في

---

(٢) الحادثة رواها أبو نعيم في حلية الأولياء ومسلم في صحيحه ج ٧ ص ١٤٥ ، كما نقلها الغزالي في « إحياء علوم الدين » راجع المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء ج ٧ ص ١٢٨ ـ ١٢٩ ، كتاب الصبر والشكر .

(٣) سورة العنكبوت / ٦٩ .

الزواج بأُخرى لعلّها تقوم بما لا تقوم به الأولى ، فيوقع نفسَه وزوجتَه في أمرٍ تكثر مشاكِلُهُ ، وعندها تجلِس الزوجة تبكي وتقول :

لو كانت سجادة الحظ التي حاكوها لأحدٍ سوداء
فلا يمكن تغيير لونها إلى البياض ولا بماء زمزم(٤)

فما هذا القول أيَّتُها السيدة !! .

إنك أنت التي حكتِ بنفسك سجادة حظك سوداءَ ولو شِئْتِ فقومي بحياكتِها بيضاء ، قومي بواجباتِك الزوجيةِ ورعايةِ البيت والأطفال .

فهل سيفكر زوجك بالزواج من أُخرى ـ الرجل لا يقدر عادةً علىٰ القيام بمسؤولياتِ زوجةٍ واحدةٍ فضلاً عن أكثر من ذلك ؟! .

ولو فعل مثل ذلك ، فالتقصير منك ، لأنَّك لم تقومي بواجباتِ الزوجية ، فأوجدت لديه عقدةَ النقصِ ، فقام هو بالتزوُّجِ بأخرى .

وهذا ما نصفه بالزواجِ الناتجِ عن العُقَدِ .

---

(٤) ترجمة نثرية لبيت شعر بالفارسية .

المحاضرة السادسة عشر :-

الفصل السادس

الطلاق

أقسام الطلاق
١ ـ الطلاق الضروري
٢ ـ الطلاق الناشيء عن الأهواء
٣ ـ الطلاق الناشيء عن العقد

موضوع الطلاق

حديثنا اليوم عن الموضوع الثاني أي « الطلاق » وهو موسوم في الإسلام بـ « أبغض الحلال » ومشهورٌ عن النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) أنه قال : ـ « أبغض الأشياء عندي الطلاق »[1] .

أما المسيحية ، فليس مسموحاً فيها بالطلاق أصلاً ، لكنهم يقدمون عليه بِحيلةٍ قذِرة ـ ليس هنا محلّ ذكرِها ـ وقد شاعت بينهم بازديادٍ مضطردٍ أوجدت خوفاً عجيباً في العالَمِ الغربيّ .

ومثلما قسمنا تعدّد الزيجات على ثلاثةِ أقسام نقسم الطلاق على ثلاثةِ أنواع :

١ ـ الطلاق الضروري :

إنّ من تكاملية الإِسلام وسُمُوِّ قرانينه ، هو سنّه لقانون الطلاق فهو وإن كان يؤكد أنه عملٌ مبغوضٌ عنده ، لكنه ضروري مثلما أن الضرورة تقتضي قطع اليد المصابة بالسرطان ، لأنّ بقاءَها يؤدّي إلى إصابةِ جميع أعضاءِ البدن .

(١) كتاب الحلال والحرام في الإسلام تأليف الشيخ القرضاوي وتعليقة الشيخ حسن الجواهري ص ٣١٦ وفيه مقارنة نافعة عن امتيازات الإسلام عن الأديان الأخرى في أمر الطلاق راجع الصفحة المذكورة وما بعدها في المتن وتعليقة الشيخ الجواهري القيمة . .

ولذلِك يَرْضَىٰ صاحبها بقطعِها على الرغم مِن أَذىٰ القطع ، بل يُقدِّمُ الأموالَ لقطعِها ، ويشكر الطبيبَ على ذلِك ، لأنه يَعلمُ أن عدم قيامه بذلك يؤدِّي إلى دمارِ بدنِه بالكامل .

وهذا حال الطلاق الضروري ، فمثلاً يكون حلاًّ لانعِدام التوافق الأخلاقي بين زوجين تعجز كافةُ أشكال العفو والتضحية وغيرها عن الحيلولة دون طلاقهما ، أو أن يُبْتَلَىٰ رجل متدين بزوجةٍ تفتقد العفة أو تُبتَلى مؤمنةٌ بمثل دلك ، ولا يمكن إصلاحهما ، فما الحل سوى الطلاق وفصل هاتينِ القِطعتين غيرِ المتجانستين ؟ .

فيجب قطع هذه اليدِ المُصابةِ بالسرطان ، فقانون الطلاق هو صالحٌ في هذه الموارد إسلامياً واجتماعياً .

وقد أقرّت المسيحية بميزةِ الإسلام في سَنّ الطلاق ـ وبالطبع مع القيود المشدّدة التي فرضها عليه ـ ، ولو لم يكن فيه ذلك لكان ناقصاً مع رعاية كونه الحل الأخير ولا يبقى سواه ، كما هو حال الأمثلة المتقدمة ، إذْ يصبح لا بدّ منه عندما يتعذّر إصلاحُ النزوجة غير العفيفة أو الزوج غير العفيف أو الفاسد أو السارق .

وموارد هذا النوع من الطلاق قليلة للغاية ، ولعلّها لا تتجاوز نسبة الواحد بالمائة من حالات الطلاق .

ولو اقتصر الأمرُ عليه ، لما تجاوزتْ حالاتُ الطلاقِ مئةَ حالةٍ سنوياً في إيران .

وأما ما ترونه من ازديادِ حالاتِ الطلاق ، فهو ناشيءٌ عن عوامل أخرى غير ضرورية .

٢ ـ الطلاق الناشىء عن الأهواء :

وهو مثل تعدد الزيجات الناشىء عن الأهواء الذي تقدم الحديث عنه ، كأن يعشقَ زوجٌ غيرُ ملتزمٍ (متدين) إمرأةً ، فيطلق زوجتَه ، ليتزوَّجَها أو يتزوّج ثانية ـ بدافع الهوى ـ فيضطر لطلاق الأولى ـ والعياذ بالله .

والأخطر هو أنْ تعشقَ زوجةٌ شخصاً ، ويدفعها الهوى إلى الحصول على الطلاقِ لتتزوَّجَ معشوقَها .

وموارد هذا النوع من الطلاق نادرة في مدينةِ قم فضلاً عن هذا الاجتماعِ المقدّس ، ولكنّها كثيرة عند غير المتدينين .

والأمر المهم الذي يجدر أن أُنبّه عليه الجميع ولا سيما السيدات ، هو العوامل المؤدية لهذا النمط من الطلاق ، فهو ناتجٌ من الاختلاطِ بين النساءِ والرجالِ والنظرات الشهوية ـ سواءٌ صدرت عن الرجلِ أو المرأةِ ـ ومن حديثِها غير الضروري مع غير المحارمِ (٢) .

وأهمُّ العواملِ هو عدم التزام الحجابِ الإسلامي .

فعلىٰ اللواتي لا يلتزمنه أن يعلمن أنَّهن يرتكبن ظلماً عظيماً يُحشرن بسببه مع أمثال « ريغان وصدام » .

فأي ظلم أفضع من إثارتهن غرائز الشباب العزاب ؟ .

وإيقاعهم في نارِ الشهوة هو مثلُ إلقاءِ الإنسانِ في النارِ وإحراقِه فيها ، بل إنَّ نارَ الغريزة الجنسية أشدّ أحياناً من النار المعروفة .

---

(٢) وردت الكثير من الأحاديث الشريفة الناهية عن هذه الأمور راجع مثلاً وسائل الشيعة ج ١٤ باب ١٠٤ من المقدمات وما قبله وما بعده وكذلك ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للشيخ الصدوق . .

وأي ظلم أفظع من أن ينظر شابّ أعزب إلى الوجهِ أو الساقِ المكشوفِ أو المواضعِ الحسّاسةِ من بدن إمرأةٍ لا تلتزم الحجابَ الإسلاميَّ ، فيقع في المعصية ؟ .

فإثمُ وقوعِه في المعصيةِ يقع أيضاً عليها وعلى المرأة التي تتغنّج ـ والعياذ بالله ـ عندما تدخل دكانه لشراء شيء .

أحياناً يصل انعدام التهذيبِ ببعضِ النساءِ إلى درجة أن تبيع إحداهُنَّ شرفها من أجلِ شراءِ جَوْرَبٍ أو قِطعةِ قُماشٍ بثمنٍ أرخص قليلاً .

ولا أقصدُ هنا الزنا ، بل نفس هذا المقدار من تبسُّمِها وضحكِها في حضورِ الأجنبيّ وممازحتها له وتغنُّجها له ، فهذه درجة من بيعِ الشرفِ .

وهذا لا ينحصر بالزنا ـ والعياذ بالله ـ بل الزنا مصداقُه الأشدُّ ، ومن درجاتِه الخروجُ إلى الشارع بجوربٍ يُزيِّنُ ساقَها ويفتِنُ الأجنبيَّ .

ومن درجاته أَسْرُ البائعِ بِالبسماتِ والمزاحِ والكلماتِ الشهوية .

وعلى مَنْ تفعل ذلك أن تعلم أنها ظالمة كبيرة ، فهي تأتي بالشيطان لهذا الكاسب فيحببها إليه وبنفس المقدار يَنقُص من حُبِّه لزوجتِه ، فيؤدي ذلك إلى الطلاق أحياناً أو أشكال الجفاء والعقد النفسية وضياع الأولادِ ، وكلّ ذلك بسبب تغنُّجِك بحضرةِ الكاسِبِ ، فهو ظلم عظيم وإثْمُه كبير .

ومن الأمور التي تؤدِّي إلى مصيبةٍ كبيرةٍ ، العشق والهوى وهو أسوأُ مِنَ السرطانِ سواءٌ كان بين ذكرينِ أو بين أُنثيينِ أو بين رجلٍ وامرأةٍ (أجنبية) .

وعلينا أن نعرف أن هذا المرض السرطاني مدمرٌ ولو ظهر عند أحد جعله مستعِدّاً للتخلِّي عن كلِّ شيءٍ حتى كرامته .

فعندما نراجع أشعار العشّاق نراهم يؤكدون أن أول شيءٍ تجبُ التضحيةُ بهِ في طريق العِشق هو الكرامة .

ونعلم جميعاً أن مصدره هو الغريزة الجنسية .

فاحذروا أن يخدعكم الشيطان ، فمصدره هو هذِه الغريزةُ ، حتى لو كان بين ذكرين أو فتاتين ، حتى لو تستر بعنوان المودّة والمحبة والأُخوةِ والحبّ في الله وحُبِّ المسلم ، فهذِه تبريرات والحب الخالص في الله قليل .

وحقيقة الأمر هو ما بيَّنه الإمامُ الصادق (عليه السلام) عندما سأله المفضّل عن العِشق ، فقال : ـ « قلوبٌ خلت عن ذكر الله فأذاقها الله حُبَّ غيرِه »(٣) .

والآخرون عندما يريدون تعريف العشق يصفونه بأنه « مَرَضٌ سودائي »(٤) .

هذا المرض السرطاني يسببه الاختِلاطُ والنظراتُ خاصةً وقد أثبت بعض العلماء أنَّ هناك نوعاً من الأشعةِ في البدنِ تنتقل بالعيون وعندما تدخله تظهر على صورة (نار) العشق .

ولذلك نهى الإسلامُ عن النظرة الشهوانية ، بل ندب لاجتِنابِ حتى النظرة غير الشهوية للمرأة الأجنبية وإجتناب الاختِلاط والتحدُّثِ بغيرِ مقدارِ الضرورة بين الرجال والنساء .

وبعد نزولِ أكثر من عشرِ آياتٍ حول الحجابِ بعضها تنهى المرأة عن التبرُّج وإبداءِ الزينةِ والقيام بما يجذب انتباه الأجانب .

وبعضها ينهى عن اجتنابِ التحدُّث معهم إلاّ بِمقدارِ الضرورة .

---

(٣) سفينة البحار ج ٢ ص ١٩٨ .

(٤) راجع أيضاً المصدر السابق ص ١٩٧ نقل هذا الوصف عن الحكماء في الكتب الطبية ، وأضاف : ـ « . . . فإن المذموم هو العشق الجسماني الحيواني الشهواني والممدوح هو الروحاني الإنساني النفساني والأول يزول ويفنى بمجرد الوصال والاتصال والثاني يبقى ويستمر أبد الآباد » .

وبعضها يأمرُ المؤمنين والمؤمنات بغضّ البصرِ .

بعد ذلك ورد الخطاب القرآني للنبي (صلّى الله عليـه وآله) : ﴿ يَـا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُـل لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَـاتِكَ وَنِسَـاءِ الْمُؤْمِنِين يُدْنِينَ عليهِنَّ من جـلابِيبِهِنَّ ذلك أَدْنىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فلا يُؤْذَيْنَ وكانَ الله غَفُوراً رحيما ﴾[٥] .

فشخصيةُ وعفةُ المرأةِ تُعرف من خلال هذِهِ الملاءَةِ (الحجاب) .

وأحد مصاديق عدم إلحاق الأذى هو أن عدم تحجُّبِ المرأةِ بصورةٍ دقيقـةٍ يؤدِّي أحياناً إلى وقوعِ شخصٍ ما في عشقها ، وعندها تقع الفضيحة .

وقد تقع هي نفسها لا سمح الله في العشق ـ رغم أنها متزوجـة ـ إذا كانت نظراتُها شهوية ولا تسيطر على لِسانِها عند التحدُّث مع الآخرين .

وفي هذه الحالة تكون الفضيحة الكبرى .

ولا نخطىء إذا قلنا : إنّها تصبح مصداقاً كاملاً لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ ﴾[٦] .

واستِناداً إلى ما تقدّم إذا سألتمـوني عن عِلّة موارد هـذا النمط من الطلاق « العشقي » ، لأجبتُ بأنّها من خطإِ النساء اللواتي لا يلتزمن الحجابَ ـ بصـورةٍ صحيحةٍ وكاملةٍ ـ ، واللواتي لا ينتبهنّ على أقوالِهن وأفعالِهن .

فيا أيتها السيدة ، إنّك جذّابة ، وجـاذبيتك هي من القـوة بحيث أنّ النبي الأكرم والأئمةَ الطاهرين (عليه وعليهم أفضل الصـلاة والسلام) نهـوا عن النظر إلى أعقاب النساء والسير خلفهن[٧] . فإذا صادفت امرأةً تسيرُ أُمامَـك ، فتوقّف حتى تبتعد ، ثم تابعْ سيرك ، فللمرأةِ جاذبية .

---

(٥) سورة الأحزاب / ٥٩ .

(٦) سورة الحج / ١١ .

(٧) راجع وسائل الشيعة ج ١٤ الباب ١٠٨ من المقدمات ص ١٤٤ .

وإذا تحولت هذِه ـ لا سمح الله إلى عشق ، افتحضت المرأة أيضاً حتى لو لم تكن هي عاشقة .

وفي هـذه الحالـة تجلب البؤس لها ولـذاك الـذي عشقها ، ولـذا اهتمَّ الإسلامُ بالأمرِ غايـة الاهتمام ، فنهى الـرجل عن الجلوس في محلّ قامت منـهُ امرأةٌ حتى يبرد ، تجنباً لتداعي أي معنىً أو تصور إلى ذهنه .

وإذا وقعَ القسمُ الثاني من الطلاق ، فاعلموا أنَّه ناشيء من هذِه الأشكالِ من العِشقِ والاختِلاطِ والأحاديثِ والجاذبيـةِ ومِن عـدمِ التمسُّكِ بـالحجابِ الإسلاميِّ .

فأرجو مِن النساءِ الاهتمام بحجابهن لكيلا تدمر إحـداهن ـ لا سمح الله ـ بيتاً وأُسرةً بِنظرةٍ يوجِّهها رجلٌ فيجلب على نفسه سُرانَ الدنيا والآخرة .

إنّني أعتقدُ بضرورةِ عزلِ النساء عن الرجال في الحافلات ولا سيَّما في قم[٨] ، وإذا كان متعذِّراً تخصيصُ حافلاتٍ مستقلةٍ ، فيُخصص نصف الحافلةِ بِالنساءِ ، والآخـر بالرجالِ ، لكيلا يجلس الرجل أو يقف إلى جانب المرأة ـ لا سمح الله ـ فيقع التماس ، فهذا خطير في مثل هذه الأماكن العامـة والحافلات المتوسطة وغيرها .

أيتها السيدة ، إنك جوهرة ، والجوهـرة الثمينة يجب أن تُحفظ ، وكلما كان حجابها أكمل حُفِظت عن أيدِي السُّراق .

وأخيراً احذروا ـ ذكوراً وإناثاً ـ وراقبوا أقوالكم وتعاملكم فيما بينكم .

أقول للزوج : أيُّها السيِّد إذا خرجتْ زوجتُـك بجورَبٍ يُـزيِّن ساقيهـا ـ لا سمح الله ـ فـاعلَم أنَّ ذلـك يؤدي إلىٰ وقـوعِ أحـدٍ في عِشقِها وعـاقبـةُ ذلـك معروفة .[٩] .

---

(٨) هذا النظام معمولٌ به في قم ومعظم المدن الإيرانية المزدحمة .

(٩) راجع باب وجوب الغيرة على الرجال من كتاب وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١٠٧ ـ ١١٠ .

٣ ـ الطلاق الناشيء عن العقد :

وهو يشبه تعدد الزوجاتِ بدافع العقد النفسية ، وموارده كثيرة تقرب من الثمانين بالمائة من حالات الطلاق وعوامله هي نفس علل ذاك القسم من تعدد الزوجات ، فالبداية تكون في عدم قيام الزوجة بواجباتها وعدم رعايتها لتلك « الأمور الصغيرة الكبيرة » فيوجد ذلك عقدة لدى الرجل ـ والعياذ بالله ـ من حدوث ذلك .

وإنّي أُحذر منه الأزواج والزوجات ، فإصابةُ الرجلِ بذلك تجعله مستعداً للتخلّي عن كلّ إلتزامٍ تجاه عِيالِه ، فيقولون له : إنّ الأمر يجلب البؤس لزوجتِك وأطفالِكَ .

فيجيب : لِيَحْدُثْ ذلِك .

فهو الذي كان يريد تقديم كل ما عنده لأطفالِه يصبح كارهاً لهم ، والذي يوجِدُ فيه هذِه الحالةَ هي الزوجةُ .

ونفس الأمر يصدق على الطرف الآخر ، فإذا كان الزوج لا يُراعي تلك « الأمور الصغيرة الكبيرة » ، ويتعامل بجفافٍ وبخلٍ وخشونةٍ وتشديد في غير محلّه وبكلمات بذيئةٍ جارحة مع أُسرتِه ، فإنّ ذلك يُصيب زوجته بعقدةٍ توصلها إلى طرقٍ ضيّقةٍ خطيرة .

ولا تستبعدوا ذلك ، لكونها الآن عفيفة ، فلا تتغير حتى لو أصابتها مثل تلك العقد ، لا فعند إصابتِها بذلك تُعرض عن قومِها وزوجِها وأطفالِها وكرامتِها .

هذا أولاً ، وثانياً عدم مراعاة وضع الزوج في البيت .

فعلىٰ الإخوةِ أن يعرفوا قيمة تنظيم أوقاتهم اليومية ، وأنّ مَنْ وصل إلى مقامٍ سامٍ ، فبفعلِ قيامه بهذا التنظيم .

وبعض الكبار اهتموا بتنظيم أوقاتهم ، حتى أَخضعوا ذهابَهُم لقضاء الحاجة والوضوء للمنهجِ التنظيميّ هذا ، وكذلك خروجهم من البيت وأوقات تناولهم الطعام ونومهم وسائر شؤونهم ، وتنظيم ذلك هو نجاح كل من حقق إنجازاً علمياً واكتشافاً أو اختراعاً .

ولذلك أُوْصِي أولاً الزوجاتِ والأزواج بتنظيم أوقاتكم ، وثانياً أوصي الأخوة أن يخصصوا ضِمنَ هذا المنهجِ التنظيمي وقتاً بمتابعةِ شؤون البيتِ والزوجةِ والأطفال ، لكي لا تكون الأُسرةُ على الهامش كأن ينشغل الزوج بالكتاب والقرآن والعلم والاختِراعِ ، ولكونه رجل علمٍ يحصُر كلَّ اهتمامِه بالعلم ، وتصبح جميع الشؤون الأخرى حتى الزوجة في الهامش ، فلا يهتم بوضع عيالِه ولا يخصص بِهِم وقتاً .

وهذا سلوك خطير العواقب ، وبعض الكسبة يخرجون في الصباح ويرجعون ليلاً وقد قضوا يومَهُم في متاعبِ العمل والتعامل مع الناس ، وعندما يرجعون إلى البيت لا يفكِّرون سوى بتناولِ طعام العشاء ، ثم النوم والاستراحة .

هذا إذا لم يأتِ إلى المنزل بدفتر حساباته لينام معه !! .

إن هذا الوضع خطر جدّاً ، وقد يؤدِّي إلى سلب العفيفةِ عفتها بالكامل ، وقد يكون الوالد نفسه من أهل المسجد والعبادة ، لكنَّه غيرُ ملتفِتٍ إلى أُسْرَتِه ، فتؤدي غفلتُه إلى ذهابِ بناتِه وأبنائِهِ إلى مراكز الفساد .

وما ورد بشأن تخصيص ثماني ساعاتٍ لِطلبِ المعيشةِ ومثلها للعبادة لا يعني أن تقضي هذه الساعات الثماني كلَّها في صلاةِ الجماعةِ والمسجدِ والمحرابِ دون أن تخصِّصَ ساعةً منها بالاهتمام بوضع زوجتك ، في حين أن الواجب على الزوج أن يوجِّه اهتمامه أولاً عند دخوله البيت إليها ، فهي الأقربُ حتى إذا سبقها الطفل إليه ، فليضمَّه إلى أحضانه لكنّ عينه يجب أن تتوجَّه إلى

الأمّ ، ولا تستهينوا بهذه الأمور .

قبل أيام أُعتقلت زوجة قَتَلَتْ أولادَها الثلاثة وقد غرست في رأس الثالث سبعَ عشرة إبرةً ، وعندما سألوها عن سبب قيامها بذلك أجابت : ـ « بأنَّ زوجي عندما كان يدخل البيت يتجاهلُني ، ويصب اهتمامه على الأطفال ، فأثار فيَّ الحسدَ ، فقررت قتلهُم !! » .

وأحياناً تتصل بي زوجة بالهاتِفِ ، وتبكي مثل الثكلىٰ ، وبعد أن تتحدَّث نفهم أن زوجها على مستوىً جيِّدٍ من الناحيةِ الماليةِ والجنسية ، لكنه يفتقر إلى أمرٍ هو الاهتِمامُ بزوجتِه ، فقد يضعها في هامشِ حياتِه ووقته ، في حين أنّ الأحاديث النبوية تؤكّد على الزوجِ أن يهتمَّ بزوجتِه ويُحادثها ويستمع إلى حديثها عند دخوله البيت وقبل انشغالِه بالأمور الأخرى ومفهومٌ أنَّه لا ينبغي للمرأةِ التذمُّرُ والشكوى ولكن لتصرح بمكنونات قلبِها ، وعلى الزوج أن يصغي إليها ، ولا يقطع عليها حديثها ، ثم يُسلِّيها ، ويزيل عنها تعبها وفتورها بعطفِه ورحمتِه ، فيعتذر إليها ويشكرها وليخصص نصف ساعة للتحدُّثِ معها .

وعليكَ أن تقومَ بملاعبةِ الأطفالِ ، فأحد الذين يجب أن يقومَ بملاعبتهم هو الأب ، وكذلك الأمّ ، فاهتَمَّ بهذا الأمر ، ومع الأسف ، فنحن نتساهل كثيراً في هذِهِ الأُمور ونسيء التعامل معها ونكتفي بالتبسُّم عند ذِكرها ، ونتيجةً لهذا التساهل نتلقّى ضرباتٍ عنيفةً .

تقولُ زوجةُ أحدِ السادةِ وقد انحرف أولادُه : ـ إنَّ المُقصِّرَ هو الأَبُ ، فقد كان منشغلاً بالمطالعةِ وتلاوةِ القرآنِ ، ولم يهتم بهم فأصابتهم العقدُ النفسيّةُ ، وانحرفوا .

لم يكن يسألُ : أين ذهبت ؟ ومن أين أتيت ؟ .

هذا الطالب الديني أو العالم أو ذاك السيد الذي يتوجه فور دخوله المنزل

للمطالعة يرتكب بذلك ظلماً ، ويضيع حقاً .

ولا بركةَ في علمٍ يُكتسب بتضييعِ الحقوقِ والظلم .

أجل عليه أولاً أن يتابع شؤونَ عيالِه ، ثم يتوجَّه إلى المطالعةِ بعد ذلك ، وعلى الزوجة أن تكون ـ بعد انقضاءِ ساعةٍ أو ساعتينِ من مطالعتِه ـ أن تكـون قد تـزيَّنت ، ثم تقدّم لـه بحيويـة شيئاً من الفـاكهة وإنِ لم يكن عنـدهم منهـا شيءٌ فلتقـدِّمْ له مـاءً في قدحٍ نـظيفٍ وإناءٍ نـظيفٍ وتُعِدْ السـلامَ عليهِ ثـانيـةً وتجلِسْ عندَه ، ولتُزِلْ ببسماتِها تعب المطالعةِ عنه .

ولا شك بأن تعبه سيزول .

أحـد الأشخاص ـ وكـان عالمـاً جليلاً ـ تـوفيت زوجتُـه ، فـأكثـر البكـاء عليها ، فقالوا له : أيُّها السيِّد ، لا ينبغي لـك مثل هـذا ، فهل تسخطعلى قدرِ الله ؟ .

فأجابَ : لا ، بل أنا راضٍ بـهِ ، ولكن قلبي يتألم لفِقـداني أنيسِي ومهد علمي .

إنَّهـا كانت تـأتي لي وأنا في حـالِ المطالعـةِ وعندمـا يُصيبني التعب منها بقـدحٍ من الشـاي فتسلِّي قلبي وتـزيـل تعبي ، فـأنـا مَـدِينٌ لهـا بمـا أَلَّفْتُ مِنَ الكتب .

ويقول « باستور » : « إنّ اختراعاتي وخدماتي للمجتمع كـانت بمساعـدةِ زوجتي التي كانت تزيل التعب عني .

وبناءً على ما تقدّم ، فإنَّ انشغالَ الزوجِ ـ في كاملِ وقته ـ في المطالعةِ أو الكسب وعدم اهتمامه بزوجته هو حالة خطيرة تؤدِّي إلى إصابتِها بعقدةٍ نفسيّة تُؤدِّي إلى الطلاق حيث ينفدُ صبرها ولو كانتْ نجيبـةً كريمـةً صالحـةً ، فتذهبُ إلى المحكمـةِ للحصول على الـطلاق وإنْ أَدَّىٰ ذلِك إلى ضيـاعِ أطفـالِها ، إذْ

يصبح المهم بالنسبة لها أن ترتاح من هذا الوضع ولو بدمارِ أولادها .

فهـذا القسمُ من الطلاقِ ، نـاتِجٌ من عـدم ِ رعايـةِ الـزوجـةِ لتلك الأمـور الصغيـرة الكبيرة ، فيؤدِّي ذلـك إلى تأزُّم نفسيّـةِ الزوج فيـطلقهـا ، أو أن يغفـلُ الزوج عن القيام بواجباتِه ، ولا يجعل زوجتـه وأطفالـه في صلب حياتـه ، فيجر ذلك إلى الطلاق .

وموارد هذا النمط من الـطلاق كثيرة تصـل نسبتها إلى الثمـانين بالمـائة ، ومن عللِه أن يكون الزوج سيِّىءَ الظنِّ بِزوجتِه ، أو تكون هي كذلك .

فإذا تأخّر زوجُها عشر دقائق أقامتِ الدنيا ولم تقعدها ، وتتهمه بـالذهـاب إلى زوجتِه الثانية !! وما إلى ذلك ، فتدفعه إلى الزواج ِ بالثانيةِ والثالثةِ .

وهذه الحالـةُ من إساءةِ الـظنّ التي نجدُهـا لدىٰ بعض الـزوجاتِ وبعض الأزواج خطيرة للغاية ـ خاصةً لدى الرجال ـ وإثمُها أيضاً عظيم جداً .

المحاضرة السابعة عشر :-

الفصل السابع

الاحتياجات العائلية

١ ـ الاحتياجات المادية
● ذم البخل
٢ ـ الحاجات الجنسية
٣ ـ الحاجات العاطفية
(الحنان)

الاحتياجات العائلية

الفصل السابع من بحثنا يرتبط بالاحتياجات التي يُلبِّيها أَحدُ الزوجين لِلآخر .

وهذا موضوع مهم في علم النفس كما يجب الاهتمامُ بالرواياتِ الشريفةِ الواردةِ بشأنه .

١ ـ الاحتياجات المادّية ـ ذم البخل :

وهو الاحتياجُ الأَوَّلُ الذي يجب على الزوجين الاهتمام به ، ويجب على المستطيع أن يُهَيِّىءَ حياةً مرفَّهةً لأُسرتِه ..

وإن كان قادراً على توفيرِها وبخل بذلكَ ، فإنّه لم يؤدِّ حقَّ الأُسرةِ ، وأصبح مصداقاً للآيات والأحاديث الواردة في ذمِّ البخلِ ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتـاهُمُ الله مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾(١) .

فلا يتوهم البخلاء الذين لا ينفقون على الأسرةِ وخارجها على الفقراء أنّ في ذلِك خيراً لهم ، بل هو شرٌّ .

---

(١) سورة آل عمران / ١٨٠ .

فنفس المـال الذي بخلوا بإنفـاقِـه في سبيـلِ الله سيُصبـح طـوقـاً[٢] في أعناقِهم وما يجدر بنا معرفته هو أن البخيل مدحور عن الحضرة الإلهيَّة .

والبخل هو كسائر الرذائلِ مـذمومٌ عقـلاً ، حتى عندَ البخيـل ، وعلامـة ذلك أنه يتـأذّى إذا خوطِبَ بهـذِه الصفة ، كمـا أنه من عـواملِ قتـلِ المودة في الأسرةِ والمجتمع ، فالذي يبخل على أُسرتِه يفقد ببخله احترام زوجتِه وأطفـالِه ومودَّتهم ، وأحياناً يصل بهم الحال إلىٰ تمنّي موتِه .

فعلىٰ الزوج المستطيع أن يوفّر على أُسرتِه الحياةَ المرفّهة أو ـ كحدٍّ أقل ـ المعيشة الضرورية ، أي المأكل والملبس والمسكن .

وإذا كان قادراً على تزويجهم فليفعل ، فواجِبُه أن يُـزوِّجَ أولادَه ـ الذكـورَ والإناثَ ـ ويقدِّمَ لهم المقدار المتعارف من الجِهازِ التأثيثي ومصارف الزواج .

والبخل في هذه الموارد يعني عدم تـوفيرِ احتيـاجاتِ الأُسـرةِ الأمر الـذي يُؤدِّي إلىٰ إصـابةِ أفـرادها بـالعقدِ النفسيَّـة ، ويُؤدِّي ـ والعيـاذ بـالله ـ إلىٰ دفـعِ الزوجةِ مثلاً إلىٰ السرقةِ من جيب زوجها في البداية ، ثم من المحـالِّ التجاريـةِ والأسواق وكذلك يصبح مصير أولاده ، فعليه الحذر من وقوع هذه المفاسد .

كما على الزوجة أن تلبي الحاجات الماديـة للزوج من قبيلِ الـطعامِ وأنْ تقـدِّمَه في ذلِـك على نفسِها وعلىٰ الأطفـالِ ضـمن ترتيب وذوق لـطيف يُنـاسِبُ التي ترعىٰ زوجها .

أمَّا الزوجةُ التي يوجد في بيتها فاكهةٌ أو طعامٌ لا تجعل زوجَها يناله ، فهي ليست بخيلةً ، بل لئيمة بحسب الرؤيةِ الإسلاميةِ ، لأنَّ البخيلَ هو الذي لا ينفق ماله .

---

(٢) ورد في الأحاديث الشريفة أنه سيتحول إلى طوق : من نار راجع الروايات الواردة في تفسير الآية في المجلد الأول من تفسير البرهان للمولى البحراني ـ قدس سره ـ .

أَمَّا اللئيمُ ، فهو أخبث ، لأنَّه لا يطيق أن يرىٰ أحداً يأكلُ من مالِ الآخرِ .

ومعلومٌ أن هناك أشخاصاً يصدونكم عن الإنفاقِ ، فاللئيمُ يصدُّك عن مساعدةِ أُسرةٍ فقيرةٍ ، ويوسوس لك بأنَّ عليكَ أن توفر من أجل ضمانِ مستقبلِ أولادِك ، فلماذا كل هذا الإنفاقِ وأمثال ذلك ؟ .

ولكنّ الأشد لؤماً هو الذي لا يُطِيقُ أن يرىٰ شخصاً يأكل من أموالِه .

وهذا هو حال البعض ، فهو لا ينفق على أحدٍ ويصد الآخرين عن الإنفاقِ وخدمة الآخرين ، ولا يطيق أن يشاهد أحداً يأكل من كدِّهِ ويعيش مرفّهاً ، والزوجة التي لا تهتمُّ بزوجِها هي من النوع الثالث أي الأشد لؤماً ، فهي التي لا تجعل زوجَها ينالَ مِمّا يأتي به إلى البيتِ من فواكه وطعام .

ومثل هذه المرأة اللئيمة يجب أن لا تتوقع المودة والاهتمام بها من زوجها وتعلّقه بالبيت .

لقد قلنا في الأحاديث المتقدِّمةِ : إنَّ لبعض الرجالِ طلباتٍ غير متكافئة وحسب المثل الرائج فإنَّ أحدهم لم يأتِ باللحم ، لكنه يطلب « الكباب » ، ولكنّ الزوج إذا جاء باللحم مرَّةً ، فلم ترضَ زوجتُه بأن تجعله يَطْعَمُ منهُ شيئاً ، وأكلته هي وأطفالُها وقدّمت منه للضيوف ، فهذه اللئيمةُ ستظهر يومَ القيامةِ بصورةِ حيْوانٍ قبيحٍ يُشبِهُ الخنزير الذي يُوصف بهذا النمط من اللؤم بالصورةِ الثالثة المتقدّمة الذكر ، فيُقال لها : إنّ المال كان من زوجِكِ ، وليس منك ، فلماذا لم تطعميهِ منه ؟ .

ومثل هذه المرأة من الطبيعي أن لا تتوقع مودّةً من زوجها ، بل عليها أنْ تتوقَّع أن يتعقد منها ولا يحق لها أن تعتب إذا تزوج بثانية .

كما على الزوج المستطيع الذي يبخل على عياله في الإنفاقِ أن لا يتوقع مودّتها وحيويتها ، بل عليه أن يتوقّع أن تصبح معقّدة نفسياً وسارقة وخائنة .

فعلىٰ كلا الزوجين تلبيةُ الاحتياجات المادية المتقابلة .

أمَّا أن يتمّ ذلك بصورةٍ كاملةٍ ، فهو موضوع آخر ، فإذا كانَ الزوجُ غيرَ قادرٍ علىٰ شِراءِ فاكهةٍ لأُسْرَتِه ، فعلىٰ الزوجةِ أن لا تُطالِبَهُ بذلك ، بل ينبغي لها أن لا تظهر له الرغبة في ذلك ولا تجعله يخجل من فقرِه ، بل تسلّيه ، فتكسب بذلك قلبَه .

كما على الزوج أن لا يطلب ما لا يوجدُ في البيت ، وإذا استطاعَ ، فعليه أن يوفر المعيشة الضرورية لعيالِه ، فتوفيرها مقدمٌ على كلِّ ما عداهُ .

وصحيح المثل المتداول الذي يقول : ـ « القنديل الذي يحتاجه البيت مُحرَّمٌ على المسجِد » .

فعِيال الرجل مُقدَّمون على كل مَن عداهم .

فقد ورد في الروايات الشريفة أنّ رجلاً ـ من أصحابِ الرسولِ الأعظم ـ ماتَ وقد تصدَّق بكلِّ ما لديهِ في سبيلِ الله فصلّى عليهِ رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله) ثم دفنوه ، ثم أخبروه (عليه السلام) أنَّ عيالَهُ جِياع ، وكان ثرياً ، لكنّه تصدَّق بكل ما لديه قبل موتِه ، فأخبرهم (صلّى الله عليه وآله) أنَّهم لو كانوا قد أُخبروه بذلك من قبلُ لما صلّى عليه[٣] .

فعلى الرجال والنساء الانتباهُ على أن عدم قيامهم بتوفير المعيشةِ الضرورية مع قدرتهم عليها يوجد خطراً عظيماً للأُسرة .

٢ ـ الحاجات الجنسية :

الحاجة الثانية : هي تلبية الغريزة الجنسية التي تجب تلبيتها مثلما يجب تلبية الغرائز الأُخرىٰ .

---

(٣) في وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١٢٢ . عنه (ص) : ـ ملعونٌ ملعونٌ مَنْ ضيع عياله .

وهذ أمرٌ طبيعي ، وقـد اتَّضح في المبـاحثِ المتقدّمـة ، فيجب على كلّ من الزوجين تلبية الحاجة الجنسية للطرف الآخر وإثْمُ التخلُّفِ عن القيامِ بذلِك عظيم .

روي عن النبي الأكـرم (صلّى الله عليه وآلـه) أنه قـال : ـ « المرأة التي يدعوها زوجُها لبعض الحـاجةِ ، فـلا تزال تُسـوِّفُه ، حتى ينعَس زوجُهـا ، فينام فتلك التي لا تزالُ الملائكةُ تَلْعنها حتى يستيقظَ زوجُها »(٤) .

فهذه حاجة طبيعية للنساء والرجال ، كما أكّـد (صلّى الله عليه وآلـه) أن الرجل الذي لا يُلبِّي الحاجةَ الجنسيّة لزوجتِه يقع عليه إثمٌ إذا وقعت في الحـرام بسبب ذلك مثلما تأثم هي(٥) .

ولـو تهاونت الـزوجـةُ في مقـدمـات تلبيـةِ الغـريـزةِ الجنسيّـة أو في نفس الاستجـابـةِ لهـا ، وافتقـد زوجهـا عفَّـة البصـر ، وأخـذ يـرتكب إثم النـظرات المحرَّمةِ ، فإنَّ إثمَّ عمله يُكْتَبُ في صَحِيفةِ عملِ الزوجـةِ أيضاً ، وستـرى ذلك مكتوباً في كتابِها يومَ القيامة فتسأَلُ عن ذلِك وهي لم ترتكبْ نـظراتٍ مُحرَّمـةً ، فيأتيها الجواب بأنّ التقصير هو منـك ، فكان يجب عليـك أن لا تتركي زوجَـك يضطر للوقوعِ فيها ، وذلِك بتلبيةِ حاجتِه الجنسية سواء على مستوى المقـدّمات كالتزين أو على صعيد أصل العمل .

ومثل هذا يصدق أيضاً على الزوجِ إذا قَصَّرَ ـ لا سمح الله ـ كأن تكون له زوجتان فلا يعدل بينهما ، فإثْمُ ذلك عظيم .

وإذا أطلقت التي قصر في حقِّها آهاتِ الألـمِ ، فقد تؤدِّي آهـاتُها إلىٰ مـا يقصم الظهر ويحرق الجذور .

---

(٤) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١١٧ .

(٥) راجع سفينة البحـارج ١ ص ١٨٠ وكذلـك وسائـل الشيعة ج ١٤ ص ٧٥ وكـذلك ص ١٠٠ ، وفيـه عن الصادق (عليـه السلام) قـال : « مَنْ جمع من النســاء ما لا ينكـح فزنـا منهن فـالإثم عليه » .

٣ ـ الحاجات العاطفية (الحنان) :

فالإنسانُ ليس حيواناً ولا شجرةً ولا جماداً ، وإن كان للحيوان أيضاً حاجات عاطفية ، وتلاحظون كيف أنّ الشاة أو القطة أو الكلبة تداعب رضيعها حين الرضاعة ، فتوفر عليه بذلك احتياجه المادّي باللبن وحاجته المعنوية والعاطفية (للحنان) بمداعبتِه ومسح بدنِه بلسانِها أو برأسِها .

ونفس هذه المداعبة دليلٌ على أنّ الطبيعة والفطرة تعرِّفُنا أنّا للإنسانِ هذا الاحتياجَ العاطِفيَّ وهو أَولىٰ به ، فالحيوان ـ كالكلب ـ يدرك أَنَّ لوليده حاجاتٍ عاطفيةً إضافةً إلى المادية .

وعلى الإنسان أن يدرك ذلك طبعاً ، والمحبّةُ المُتبادَلَةُ هي غذاءٌ روحيٌ مُتبادَلٌ وهو أسمىٰ مِن الغذاءِ المادّي ، والعياذ بالله من أن يكون لدى الرجل أو المرأة نقصٌ في المحبَّةِ والحنان .

الإسلامُ أوصى ـ بصورةٍ مؤكّدة ـ بالعطف على الأيتام حتى إنَّ القرآنَ الكريمَ أخرج الذين يؤذون اليتامىٰ مِن الإسلام ، وأوضح أنهم لا يعتقدون بالدين ، فقال : ـ ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ، فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾(٦) .

فالمجتمع الذي لا يرعىٰ اليتامىٰ هو مسلم ظاهري ، وليس حقيقياً ؛ فلماذا كلُّ هذا التأكيد في الإسلام لِرعايةِ اليتيم ، حتى إنّنا نلاحظ في الرواياتِ أنَّ الرسولَ الأكرمَ (صلّى الله عليه وآله) كان إذا أتاهُ يتيم أَجلسَه في حِجره ، ومَسَحَ على رأسِه واعتنىٰ بِهِ بصورةٍ خاصَّة .

وأمير المؤمنين (عليه السلام) معروفٌ بشدَّة اهتمامِه باليتامى .

---

(٦) سورة الماعون / ١ ـ ٢ .

فهنيئاً لأُسْرِ الشهداءِ الموقَّرة واعلمي أيّتها السيِّدة التي استُشهِدَ أو توفي زوجُك أنّ لك أجراً عظيماً على رعايتك يتاماه ، فقد جاء في الأحاديث الشريفة : ـ « ما مِن مُؤْمنٍ ولا مُؤْمنةٍ يضع يَدَهُ على رأسِ يتيمٍ تَرحُّما له ، إلّا كَتَبَ الله بكلِّ شعرةٍ مرَّت يَدُهُ عليها حَسَنَة »(٧) .

كل هذا الثواب والتأكيدات ترمي إلى تلبيةِ الاحتياجِ العاطفي لليتيم الذي يفتقد الأبَ لكي لا يفتقد المحبَّة ، فتصيبه عقدٌ نفسية بسبب ذلك ، والعياذ بالله من أن يُصابَ رجلٌ أو فتىً أو فتاة بمِثل ذلك ، فهذه حالة خطيرةُ العواقب ، فصاحِبُها إذا دَخَلَ المجتمع أصبح مُجرِماً .

وإذا اعتزلَ فَقَدَ الحيويَّةَ ، وواضِحٌ أنّ المرأة التي تفقد الحيوية لا تستطيعُ القِيامَ بواجباتِ الزوجيَّةِ والبيت والأطفال ، كما أن الرجلَ الفاقدَ للحيويّة لا يستطيع أن يكون اجتماعياً ، بل يعتزل المجتمع ،وفقدانهما للمحبة هو سببٌ لإصابتهما بالعقدِ النفسية .

والطفل يحتاج إلى المحبَّة ، فعددٌ من غرائِزه تنتقل إلى مرحلةِ الفِعل مُنذُ الأيامِ الأولىٰ وبعضها يبقى بالقوةِ أشبه بالنار تحت الرمادِ أمثال الغريزةِ الجنسيّة وغريزة حُبِّ المالِ .

أَمَّا غريزة الجوع ، فتنتقل إلى مرحلةِ الفعل مُنذ البداية ، فيُحسُّ بالجوع والشبع ويعرف أنّ عليه أن يتوجَّه إلى ثدي والدتِه عندما يجوع ، ونفس الأمر يصدق على غريزة طلبِ المحبّةِ والعطفِ والحنان ، فعندما ترضع الأم رضيعها ولو كان عمره شهراً أو شهرين فإنَّ مسحَها على رأسِه ومداعبَتها له هي أهم من نفس اللبنِ الذي تُرضِعُه له .

ونفس الأمر يصدق على تبسُّمِ الأبِ لطفله .

---

(٧) كتاب ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص ٢٣٧ .

إذن فـأطفالكم بحـاجة إلى المحبَّـةِ والعطفِ ، وليس منصِفـاً الأبُ الذي يهتمُّ بحاجاتِهم الماديّةِ ، ويتجاهلُ الحاجاتِ العاطفيةَ فهو أبٌ جاهِلٌ .

وبعضُ الآباءِ قلَّما يرونَ أطفالَهم ، لأنَّهم يخـرجون صبـاحاً للعمـل وهـم نائمونَ ويعودون مساءً وقد نامَ الأطفالُ أيضاً .

ومثل هؤلاءِ الأطفالِ يقعـون في خطرٍ عجيب ، إذْ على الأب أن يـلاعب أطفاله ويُجلِسهم في حِجـرِه ، ويمسح على رؤوسِهم بيـدِ المحبَّةِ ، فلبسمـات الأب قيمة كبيرة لدىٰ الطفل .

وكذلك لدىٰ الزوجـة فالإنسـانُ يعشق المحبة والحنـان وقد اهتم القـرآنُ الكريم بهذه القضايا الدقيقة ، فأشارَ إلىٰ أنَّ الله ـ تبـارك وتعالى ـ قـد ربى النبي مـوسى (عليه السـلام) بصـورةٍ إعجـازيَّـةٍ ـ وتـذكـر الأحـادِيث الشـريفـة أنَّـه (عليه السلام) وُلِد تحت عرش فـرعون ـ في وقتٍ كـان فرعـون يذبـح الأبناءَ ـ وتربّىٰ في حضانةِ السيِّدة آسيةَ (سلامُ الله عليها) وهي زوجة فـرعون ، فقـذف الله محبَّتَه في قلبِ فرعون الذي تَعاملَ معهُ مثل الأب الشفيق ، قال ـ تعالى ـ : ـ ﴿ **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي** ﴾(٨) .

ولم يكتف بذلك ، بل وضعه لعشرةِ أعوامٍ تحتَ تـربيةِ نبيِّ الله شعيب ، حتى اكتمل رُشدُه وتأهَّلَ لمرتبةِ أن يكلمه الله ، وعندما بعثه نبيّاً جعل لـه هارون وزيراً ، ليُنذرا فرعون ، ولكن يحدثانـه برأفـةٍ ، قال ـ تعـالى ـ : ـ ﴿ **إذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ، فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** ﴾(٩) .

هذه الآيات تقولُ لنا : إنَّ الإنسانَ مهما كان متعطِّش للعطفِ والمحبَّةِ لذا لا يجيزُ الإسلام الشتم أو الإسـاءةَ لمشاعـر هذا المجـرمِ القاتـلِ المفسـدِ في

---

(٨) سورة طه / ٣٩ .
(٩) سورة طه / ٤٣ ـ ٤٤ .

الأرضِ الذي يحكم الإسلامُ بإعدامِه فلا يحق حتى للذي يُعِدَّ له حبلَ المِشنقةِ أن يُهينَه . ويستطيع الحاكم الشرعي معاقبته إذا فعل مثل ذلك .

إذن الإنسان ـ أيّاً كان ـ متعطش للمحبة والحنان وهذا أول شيءٍ تريدُهُ زوجتك منك ويريدُه زوجكِ منكِ ، فهو أهمُّ من الحاجاتِ الجنسيَّة والماديَّة ، وهذا ما يحتاجه أيضاً أولادكم ـ ذكوراً وإناثاً ـ .

إذا لم تكن تسلم عند دخولك البيت ، فقابل زوجتك بابتسامةٍ في الأقلِّ ولا تعبس ، فهذا أشدُّ من كلّ مصيبةٍ ، وبه يوجّه الزوجان أشدَّ الضرباتِ أحدهما للآخر أحياناً ، فمرَّة يكون الزوج وضيعاً ويَضْرِبُ زوجته[10] ، وهذا ذنب عظيم تحدثْتُ عنه سابقاً ، ولكن تارةً يكون متديّناً لا يشتمها ولا يضربها ، لكنه يزعل ويعبس ويجلس ومثل هذا الفعل يجعل المرأةَ تفضِّل أن يجلدها مائة جلدة على أن تنظر إلى وجهه .

وقد تكون الزوجة غير سليطةِ اللسانِ ، فلا تشتم ، ولا تستطيع الضرب ، لكنّها لا تكلِّم زوجها وتزعل وتفقد الحيوية ، وهذا العمل أشدُّ أثراً من مائةِ جلدةٍ ، كما أنَّ إثْمه أعظم من مائةِ جلدةٍ .

ومثل هذا التعامل هو الذي يجلب عليها ـ لا سمح الله ـ الضرّة .

وقد تضيع المرأةُ بسببِ كلمةٍ واحدةٍ تصدر عن الزوجِ ، فلا تتصوّر أن زوجتك ستبقى عفيفةً إذا افتقدت المحبَّةَ والحنانَ كما أنَّ فِقدانَ ابنتِك لذلك يجعلها في معرض الخطر .

ولذا تجبُ تلبيةُ الاحتياجاتِ العاطفيةِ للأُسرةِ خاصةً للسيّدات ، فإذا جسَّدتم (أيها الأزواج) المودة والعطف تصير الزوجة سيدةً حقيقية حنوناً .

وإلا فلن ترعى الزوج والأطفال والتي تفعل ذلك فهي ليست سيدة

---

(١٠) راجع وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١١٩ حيث ينقل عنه أحاديث تنهى عن ضرب الزوجة .

صالحة ، وعلى الزوجة أن تكون أشدَّ حناناً .

وعلى كلا الزوجين أن يلبِّيا احتياجـاتِ الأُسرةِ للحنـانِ والعطفِ فيجعـلا أجواءَ البيتِ مفعمةً بدفـءِ المودَّةِ والحنان .

المحاضرة الثامنة عشر :

٤ ـ الحاجات المعنوية

٤ ـ الحاجات المعنوية « الروحية » :

حديثنا اليوم عن القسم الرابع من الحاجات وهي المعنوية ، فمثلما تجبُ تلبيةُ حاجات بدن الإنسانِ ، تجبُ تلبيةُ حاجاتِ روحِه ، وهنا مكمن الفرق بين الإنسانِ والحيْوانِ ، فإنَّ للحيْوانِ بُعداً واحداً هو الغرائز والحاجات المادية ، وغايةُ ترقِّيهِ أن تكونَ لديهِ حاجات عاطفية .

أمّا الإنسان فذو بعدَين : البعد الأول المادّي والميول المادّية ، والثاني الروحي والمعنويات .

وروح الإنسانِ تنتسب إلىٰ عالم الملكوت ومرتبتها المعنوية سامية إلى درجة أن ربّ العالمين نسبها إلى نفسِه بالإضافةِ التشريفية « روحي » حيث قال للملائكة : ـ ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾(١) .

وهذا البعد غير موجود في الحيواناتِ ، فبُعدُ الميول والغرائز أقوىٰ فيها وتلبيتها أيسر .

فامتياز الإنسانِ هو في الجانب الروحي ، فهو يحتاج إلى نوعين من التغذية : الأول لسدِّ عطش البدن وجوعه وغريزته الجنسية وغيرها ، ودون هذِه التغذيةِ يموت البدن .

(١) سورة الحجر / ٢٩ ، وسورة ص / ٧٢ .

والثاني هو غذاء الروح ، ودونه تموت أيضاً .

وخطورة موتها أشد من مـوت البدن ، فمـوتُها يقـودُ الإنسانَ إلىٰ جهنَّم : ـ ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيـراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَـا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهم آذَانٌ لَّا يَسْمَعُـونَ بِهَا أُوْلَئِـكَ كالأَنْعَـامِ بَلْ هُمْ أَضَـلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ ﴾[٢] .

فجهنم هي مـأوىٰ الـذي لا يغـذّي روحـه ، فله عينٌ لكنهـا لا تـرىٰ الحقيقة ، وأذن لا تسمع ولسانٌ لا ينطِق بالحقّ وقلبٌ لا يفقه .

ومثل هذا أسوأ من الحيْوانِ .

ومثله كدودة القز التي تلف نفسها بخيوطهَا غافلةً عن أنّ في ذلك موتها ، وأولئك هم الغافلون ، ولـو بكىٰ الإنسان ـ الـذي لم يهتم بروحـه فماتت ـ ليله ونهاره على ذلك ، لكان بهِ جديراً ، يقول ـ تعالى ـ في آيـةٍ أشدَّ مِن السـابقة : ـ ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ الله الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُون ﴾[٣] .

فالذي له عقلٌ ولا يتعقّل ، وله فكر ولا يتفكّر ، تكـونُ روحه ميتـةً ، وهو شرُّ الدوابِّ .

ونظيرُ ما تقدَّم كثيرٌ في الآيات القرآنية ، فإذا لم تتغذَّ الـروحُ ماتت ، وإذا ماتت أصبح وضعُ صاحِبها خطراً جداً .

ومثلما يمرض جسم الإنسان أحياناً ـ والمرض صعب عليـهِ ، لأنَّه يعيقـه عن كـلِّ شيءٍ كمـا يقـول النبي الأكـرم (صلّى الله عليـه وآلـه) : ـ « نِعمتـانِ مكفورتانِ : الأمن ، والعافية »[٤] .

---

(٢) سورة الأعراف / ١٧٩ .

(٣) سورة الأنفال / ٢٢ .

(٤) بحار الأنوار ج ٨١ ص ١٧٠ .

فقـد تمرض الـروح أيضاً ، وإن كـان الجسم سـالمـاً أي يمـرض القلبُ بحَسَبِ التعبيرِ القرآني : ـ ﴿ في قلوبِهم مَرَضٌ ﴾ .

وخطورة هذا المرض شديدة بحيث يجعل صـاحبه يتحـدّىٰ القرآن والنبيَّ والأئمـةَ الطاهـرين (صلوات الله عليه وعليهم) ويُفسِّـر نصوصَ القـرآن حسبما تقتضي مصلحتُه ففي بدايةِ سورةِ آلِ عمران بعدَ أن يُبين أن في القـرآنِ محكماً ومتشابهاً ، يقول : ـ ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَـا تَشَابَـهَ مِنْهُ ابْتِغَـاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾(٥) .

أو أن يبحثوا عن حديثٍ يُؤَوِّلونَه حسبما يشتهون .

فمـرض الروح أشـدُّ ، لأنَّ صاحبَـه يُحاربُ القـرآن ، ولن يكـونَ نصيبُـه سوىٰ الخسرانِ وليس الشفاء ، لأنَّه ظالِم : ـ ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُـرآنِ مَا هُـوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمينَ إلاَّ خَسَاراً ﴾(٦) .

إنّ البـطيخ والكـومثري مفيـدة للغايـة ، لكنَّها تَضُـرُّ المصابَ بـالقـرحـة المعدية ، وتُسبِّب له آلاماً شديدة إنْ لم تسبب له نزيفاً .

وآياتُ القرآنِ مفيـدةٌ جداً وبـالغة ، لكنهـا لا تزيـد المريض الـروحي إلاّ خَساراً ، مثلما يفعل الكومثرىٰ مع المصاب بالقرحة المعدية .

إذن فـالذي تفتقـد روحُهُ التغـذية وتمـوت يصبـح مثـل الحيْـوانِ أُحـادِيَّ البعدِ ، إلاّ أنّه ليس مفيداً مثل الشاة ، وإنَّما هو مثل الميكروب السرطاني يصبح خـطراً جدّاً علىٰ المجتمـع وعلىٰ نفسِه وعلى عيـالِه . ولـذا يجب علينا الانتبـاه بشـدَّةٍ لتلبيةِ الاحتيـاجاتِ الـروحيّةِ لـلأُسـرةِ ، فيهتم الـزوج بـالـرقي المعنـوي التكاملي لزوجتِه ، وتهتم هي بتوفيرِ الأرضيةِ اللازمةِ للتطوُّرِ المعنويّ لـزوجِها ،

---

(٥) سورة آل عمران / ٧ .

(٦) سورة الإسراء / ٨٢ .

ويهتمان معاً بتطوير الجانب المعنوي لدىٰ الأطفال .

ولو اهتما بتربيةِ الجانب الجسمي منهم ، وأغفلا الجانب الروحي ، فكأنهما يُربيان كلاباً متوحِّشةً وميكروباتٍ سرطانيةً للمجتمع .

فما هو غِذاءُ الروح ؟ .

إنّه الصلاةُ والصوم وتلاوة القرآن والمناجاة مع الله والتهجُّدُ في الأسحارِ ، فويل للزوجةِ التي لا تُصلِّي أو التي تستخف بصلاتها ، وويل لأسرتِها ، وويل لزوجِها إذْ يقول ـ تعالى ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾(٧) .

فوقود الناس للنار هي صفاتهم الرذيلة وقلوبهم القاسية ، وعليه فالآية الكريمة تأمر الرجل بالصلاة والانتباه علىٰ أنْ تكون زوجتُه مصلِّيةً أيضاً ، وتأمر الزوجةَ بالصلاة والانتباه علىٰ كونِ زوجِها مصلِّياً أيضاً .

وعليهما معاً بتلاوة القرآن والدعاء والتهجّد في الأسحار وإقامة الصلاة في أول وقتها ، فإذا لم يهتمّا بذلِك يبدأ موتُهم المعنويُّ التدريجيّ ، فمثلما يموت جسم الذي يبقىٰ أياماً دون طعام كذلك تموتُ روحُه إذا بقي أياماً دون غذاءٍ معنوي ، وهنا هو المحل الذي يصيب العرج أقدام الجميع !! فأمره يختلف عن تلبية الاحتياجاتِ الماديةِ والعاطفية والجنسية ، إذْ من أجله بعث الله (١٢٤) ألفَ نبيٍّ جاءوا بالكتب ودعوا وتحمّلُوا هم وأصياؤهم الأذىٰ والصعابَ من أجلِ تربيةِ الجانبِ المعنوي لدىٰ بني الإنسانِ .

تقرؤونَ في زيارةِ الإمامِ الحسين (عليه السلام) : ـ « أشهدُ أنّك قد أقمتَ الصلاةَ وآتيتَ الزكاةَ وأمرتَ بالمعروفِ ونَهَيْتَ عن المنكر » .

في يوم عاشوراء وإلى أن حلّ ظهره كان الإمام (عليه السلام) قد فَقَدَ

---

(٧) سورة التحريم / ٦ .

الكثيرَ من صحابتِه ، وعندما دعا أحد الباقِينَ منهم إلى صلاةِ الظهرِ تبسَّم (سلام الله عليه) ودعا له « جعلكَ الله من المصلِّين » .

ورغم أن سهام الأعداء كانت تمطرهم ، أقامُوا الصلاةَ وسط الميدانِ .

فالعياذُ بالله من البيت الذي يخلو من الصلاة ومن التربية المعنوية ، فهو مليءُ بالميكروباتِ والحيوانات المتوحشة ، وليس ببني الإنسانِ ، وإن كان مَنْ فيه ذوي ظواهرَ حسنةٍ وكان منزلُهم مرتباً للغايةِ ظاهرياً ولباسهم جيّداً ، فإنَّهم في الحقيقة حيوانات متوحّشة وسيصلون إلى مضائق خطرةٍ والعياذ بالله ، يقول ـ عزَّ اسمُه ـ : ﴿ **فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً** ﴾[8] .

والغي هنا هو : الضلال ، و« سوف » هي التحقيقيّة لغةً يعني أنّهم سيضلون حتماً ، والذي ينحرف عن الطريق المستقيم ، تكون عاقبتُه جهنَّم ومحلُّه إحدىٰ حُفَرِها واسْمُها « غيّ » كما ورد في الأحاديث الشريفة .

فإذا ضُيعت الصلاة ـ كأن تصلِّي ابنتُكم ولكن في آخرِ وقتها ففي ذلك خطرٌ أُحذِّرُكم منه ، فهي تسير إلىٰ الضلال ويدُ اللطف الإلهي مرفوعة عنها .

وإذا رُفِعَتْ هذه الرعايةُ الإلهيَّةُ وقعَ الإنسانُ في أشكال فظيعة من الضلال ، فمثلاً ينقل الفخرُ الرازي في تفسيره لسورةِ العصرِ رواية تقشعر منها الجلودُ قائلاً : « رُوِيَ أنّ امرأةً كانت تَصِيحُ في سِككِ المدينةِ ، وتقول : ـ دُلُّوني على النبيِّ (ص) فرآها رسولُ الله (ص) فسألَها : ماذا حدث ؟ قالت : يا رسولَ الله ، إنَّ زوجي غابَ عَنِّي ، فَزَنَيْتُ فجاءَني وَلَدٌ مِنَ الزِّنا فألْقَيتُ الولدَ في دنٍّ من الخلِّ ، حتىٰ ماتَ ، ثم بِعْنا ذلِك الخَلَّ ، فهل لي مِن توبة ؟ .

فقال (ع) : أمَّا الزنا ، فعليك الرَّجْم .

---

(8) سورة مريم / ٥٩ .

وأمّا قتلُ الولدِ ، فجزاؤهُ جهنَّمُ .

وأمّا بيعُ الخلِّ فقد ارتكبت (ذنباً) كبيراً ، لكِن ظننتُ أنَّكِ تركتِ صلاةَ العَصْر »[9] .

وكم هو ذنبٌ عظيم ! .

وحقاً أنّ يد الرعاية إذا رُفعت عن الإنسان تهاوىٰ إلى الضلالِ البعيدِ ! .

والمراد هنا هو الجملة الأخيرة من جوابه (ص) ، فهذا البؤس الذي انصبَّ عليها وزوال الرعايةِ الإلهيَّةِ عنها جاءَ بسببِ تركها للصلاةِ واستخفافِها بها فالله لا يسمح بوصول الإنسانِ إلى هذا الحال إذا كان يقيم صلاتَه في أولِ وقتِها بصورةٍ منتظمة ، بل يأخذ بيدِه ويُعينه .

أعزائي ـ الفتيان والفتيات ـ ، إذا أردتم السعادة والتوفيق ، فاهتَمُّوا بالصلاةِ ، وأقيموها في أوّلِ وقتِها جماعة واقرنوها بالتعقيباتِ ، واحرصوا على التأدُّبِ والخشوع فيها ، لتخصص الفتيات لها سجادة ومُلاءَةً مناسبةً .

إنّ الأُسرةَ التي تفتقد تلبية الاحتياجاتِ المعنوية ، يصبح حالُها خطيراً .

وهكذا حالُ الروحِ المريضة ، والذي يُمْرِضُها هو الذنب .

والقرآن الكريم يطلق تارة على هذِه الحالةِ وصفَ المرض ، كقولِه ﴿ **في قُلُوبِهِم مَرَضٌ** ﴾[10] ، وتارةً وصفَ الزيغِ ، كقولِه : ـ ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ** ﴾[11] .

وأخرى وصف الرَّين، كقوله: ﴿ **بَل رانَ على قُلوبِهِم** ﴾[12] .

ولجميعها معنىً واحد ، وهو أن الذنبَ يُسوِّدُ القلبَ ، ويجعله مريضاً

---

(9) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٣٢ ص ٨٧ .
(10) سورة البقرة / ١٠ .
(11) سورة آل عمران / ٧ .
(12) سورة المطففين / ١٤ .

صَدِئاً . وَإذا مرِض القلبُ ، فإنّ مصيبتَه الأولىٰ هي عدم الإحساسِ بلذّةِ العِبادةِ ، بل يلتذُّ بالمعصيةِ .

وإذا كان بيننا مَن يستثقل الصلاة ، ولا يلتذُّ بها ، بل يلتذُّ بالنظراتِ الشهويّةِ وبالمعصية ، فليعلم أنّ روحَه مريضة ، وعليه أن يُعالِجها .

فإن لم يفعل اسوَدَّ قلبُه ، وعندها فالويل له .

وكما يؤكّد القرآن الكريم يكونُ سوادُ القلبِ قليلاً ، وتارةً يشمل نصفَ القلبِ ، وتارةً يستحوذُ عليهِ كلّه ، وعندها لا يفلح أبداً كما يقول الإمامُ الصادق (عليه السلام)(١٣) : يقول ـ تعالى ـ : ﴿ **أَفَمَن شَرَحَ الله صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِن ذِكْرِ الله** ﴾(١٤) .

طوبى للقلب المتنوّر بارتباطِه بالله ، وطوبىٰ للقلب الذي نوَّرته الصلاةُ والصيامُ .

وويل للقلب المُسودِّ الذي جعلتْهُ الذنوبُ قاسِياً مثل الصخرة ، فاحذروا قساوة القلوب والذنوب التي تسببها ، فالذنب ـ وإن كان صغيراً ـ مؤثّرٌ في إيجادِ القسوةِ للقلبِ ، ولذا يقول الإمامُ الصادقُ (عليه السلام) : « إذا أذنبَ الرجُل خَرَجَ في قلبِه نكتةٌ سوداءُ ، فإن تابَ آمّحت .

وإن زادَ زادتْ ، حتى تغلِبَ علىٰ قلبِه ، فلا يُفلح بعدَها أبداً »(١٥) .

وتعلمون ـ وفق هذه النظرة القرآنية ـ مصيرَ البيت الذي يعلو فيه الغِناءُ وعاقبةَ الشابِّ الذي تملأُ أُذُنَيهِ أصواتُ الغِناء وعاقبة الزوجينِ اللذين يتحادثانِ بالغِيبةِ والبُهتانِ والشائعات .

---

(١٣) سيأتي كامل الحديث لاحقاً .
(١٤) سورة الزمر / ٢٢ .
(١٥) أصول الكافي ج ٢ باب الذنوب الحديث ١٣ .

فهذه الأمور تُسوِّدُ القلبَ وَكُلٌّ منهما ظالم للآخر . وعاقبةُ القلب إذا اسودَّ واستحوذَ عليه الحرام معلومةٌ ، فضررُ الذنب عظيم يقول الإمامُ الصادق : ـ « إن العمل السيِّيء أسرعُ في صاحبِه مِن السكِّين في اللَحْم »[١٦] وأَخْطَرُ من الذنبِ الصفاتُ الرذيلةُ الموجودةُ منها فينا جميعاً ، ويصعب استِئْصالُها بسرعةٍ ، إذ يجتهد الإنسانُ عشرين عاماً في المجاهدةِ الشديدةِ المتواصلةِ لبناء نفسِه وتهذيبها ، حتى يستطيع أن يقطع جذور شجرة الرذيلة من القلب .

ويتطلب الأمر عشرين أو ثلاثين عاماً مِنَ المجاهداتِ الشاقّةِ الدؤوبِ ، لكي يغرس محلَّها شجرة الفضيلة وينمِّيها .

ولا يستطيعُ أحدٌ أن يقول : إنَّه خالٍ من الصفاتِ الرذيلةِ تماماً .

فواجبُ الجميعِ مكافحتُها وعدمُ السماح بهيجانها فإنَّها إذا هاجت تدمِّرُ القلبَ مثلما يدمر السيلُ العُمران ، تدمِّرُ معنويتَه بصورةٍ كاملةٍ ، فهي أشدُّ من النارِ الموقدة المتأجِّجة ، وليس النار المُعتادَة التي يمكنكم إطفاؤُها بسهولةٍ .

أما إذا تأججت وأحاطت بكلِّ البيتِ ، فيصعب إطفاؤها .

وهكذا حال الصفة الرذيلة فإذا تأجّجت أصبحت كالسيل أو النار الكبيرة المتأجّجة التي تصبح السيطرة عليها صعبةً للغاية .

فلا تسمحوا بتهييجها وتأجُّجها فيكم ، اتَّقُوها وحرِّضوا أولادكم على مجاهَدتِها منذُ البداية .

إنّ على الزوجِ أَنْ يوضِحَ لزوجتِه (إذا ظهر منها حَسَدٌ) ، بلسانٍ طيِّب ودون انفعال أَنَّ الحَسَدَ قبيح جِداً ، فهو الذي أَدَّىٰ إلى وقوعِ حربِ الجمل ، فعندما أخبروها بمقتلِ عثمانَ حمِدَتِ الله على مقتل « نعثل » ، ولكِنَّها عندما أخبروها بانتخابِ الإمامِ عليٍّ للخِلافةِ تمنَّت أَنْ تكونَ السماءُ قد أطبقت عليها

---

(١٦) المصدر السابق الحديث ١٦ .

ولا تسمع هذا الخبر !! .

فكان الحسدُ العاملَ الذي أدَّى إلى وقوع حرب الجمل ، وسَبَّبت « الحسود » مقتل عشرين ألفاً فيها حتى أُخمدت نار حَسَدِها(١٧) .

وعلى الزوجة أن تنصح لزوجِها (إذا وجدتْ فيهِ حِرصاً على المال) ، وتقولَ له : إنك بعبادةِ المالِ والرئاسةِ تشنُّ « حربَ الجملِ » على عليٍّ (عليه السلام) ، وأنت تعرف من هو علي ، وهو الذي كان يعرفه طلحةُ والزبيرُ ، فهما قد شاهداهُ يتربّى في حِجرِ ورعايةِ النبيِّ الأعظم (صلّى الله عليه وآله) وعَرَفَا أنّ أكثرَ مِن مئةِ آيةٍ مِن القرآنِ قد نزلتْ في حَقِّهِ (عليه السلام) لكِنّهما كانا يريدانِ المالَ (بصورةٍ غير مشروعة) .

وهذا ما لا يفعلُه أميرُ المؤمنين ، كانا يطلبانِ الرئاسةَ ، ولم يكن (عليه السلام) يَراهما أهلاً لها ، لذلك تولّوا عنهُ وتآمروا عليهِ ، وسبَّبُوا حَرْبَ الجمل التي أُنزلَتْ على المسلمين من المصائبَ ما أنزلت .

إذا سُئِلْتم من سبَّبَ حربَ الجملِ ، فقولوا : ـ الحسدُ وعبادةُ المالِ والرئاسةِ .

ابنُ مُلْجَمٍ قَتَلَ عليّاً « قربةً إلى الله » !! .

ولو سألوكم من قتلَ عَلِيّاً ، فقولوا : ـ المُعانِد ، وإلّا ، فليس عليٌّ بالشخصِ الذي يجهلُه أحد ، وابنُ مُلْجَمٍ سمِعَ أنَّ النبيَّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) قال لعلي : ـ « يا عليُّ أنتَ وشيعتُك هُم الفائزُون » ، « يا عليُّ أنتَ وشيعتُك الغالِبون » .

وابنُ مُلْجَمٍ سمِعَ أنَّ النبيَّ (صلّى الله عليه وآله) قال لِعليٍّ : ـ « يا

---

(١٧) راجع في هذا المجال كتاب الإيضاح للفضل بن شاذان والتعليقات والتهميشات التي أوردها عليه المحدث الأرموي وكذلك سفينة البحار للمحدث القمي ج ٢ مادة (عيش) .

عليٌّ لو وازنَ إيمانُكَ إيمانَ أَهْلَ السَّمَواتِ والأَرْضِ ، لَيَزيدُ إيمانُك إيمانَهم » .

أَيَّتُها الزوجةُ وأيُّها الزوج ، اجتنبا العِنَاد وإلاّ أَصبحتُما مثل ابنِ مُلْجَمٍ ، وعليكما بالنقدِ البَنَّاءِ ـ وأَهمُّ مِنْهُ تقبُّلُ النقد ـ فدونَه تكون عاقبتكما عدم سماعِ قولِ أحدٍ سوىٰ وسوسةِ الهوى والأهواءِ وعدم أعطاء أية قيمة سوى لِوساوسِ الشيطان .

ولديّ وصيةٌ ـ في آخرِ الحديثِ ـ للسيِّدات والسادةِ ، وهي أَنِ اهتمُّوا بتوفيرِ الاحتِياجاتِ المعنويَّةِ للأُسرةِ .

بعض الأزواج يهتمون بتوفيرِ الاحتياجاتِ الماديّةِ للعِيال ـ ولو عن الطريقِ الحرامِ والعياذُ بالله ـ ولكنّ هؤلاء الحمقى لا يهتمون بكونِ أولادِهم لا يُصَلُّون ، يتحمل أحدُهم كلَّ تلك المشاقِّ ليجعلَ عِيالَه في رفاهٍ ، لكنَّه لا يهتم بحاجاتِهم العاطفيةِ ، فتصبح زوجتُه عدوتَه لفِقدانِها الحنانَ ، ولا يهتمُّ بحاجاتهم المعنويةِ فتنعدِمُ المعنوياتُ في بيتِه ، ويُصبِحُ سِجناً مظلماً ومظلماً ومرعباً ومرعباً يقول ـ تعالى ـ : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾(١٨) .

---

(١٨) سورة النور / ٤٠ .

المحاضرة التاسعة عشر : -

الفصل الثامن

تدخلات الوالدين

تدخلات الوالدين

الفصلُ الثامِن من بحثِنا هو عن تدخُّلاتِ الوالِدَينِ في شؤونِ الأَولادِ ـ ذكوراً وإناثاً ـ وهو موضوعٌ مُهِمٌّ أَرجو من الآباءِ والأُمهاتِ الالتفاتَ إليهِ بدِقة ، فكثيرٌ من الاختِلافات ناشئةٌ عن هذِه التدخُّلات في غير مواقِعها ، بل إنَّ الكثيرَ من حالاتِ الافتِراق ناشئة من أشكالِ الاهتِمامِ في غيرِ مواقِعه ، أو من الأَغراضِ غيرِ اللائقةِ فعلينا اجتنابُها إذا أردنا أن يعيش أولادُنا وبناتُنا في سعادةٍ ، ولكن مع الأسف نرى أنّ هذا المرض الاجتماعي قد شاع بكثرةٍ ، حتى بينَ المتديِّنينَ وأهل المساجد الذين يَضُرُّون أولادَهم عن عِلمٍ أو جهل .

علينا أن نتعلَّمَ مِن الحيواناتِ كيف تتكفَّل بالقيامِ بشؤونِ أولادها ماداموا في حاجةٍ للمتكفّل ، فإذا استغنَوا عن ذلِك ، وأَصبحوا قادرينَ على الحياةِ المستقِلّة ، تركتهم الأُمُّ ووكلتهم إلىٰ أنفُسِهم ، ليبدأوا حياةً مستقِلّةً ، حتى إنَّ بعض الطيور تجلب الحبوبَ لِصغارِها لعِدّةِ أيام أو عدّةِ أشهرٍ ، وتضعها في أفواههم .

وعندما يُصبحون قادِرينَ علىٰ الطيرانِ تُعلِّمُهم ذلك ، حتى لو أخذوا يسقطون مراتٍ ومرّاتٍ تستمر في تعليمِهم فإذا تعلّموا لا تسمح لهم بعد ذلك بالعودةِ إلى الأعشاشِ ، وترونَ الشاةَ عندَما تلِدُ تعتني بِوَلَدِها بعلاقةٍ خاصةٍ ، فإضافةً إلى إرضاعِه تُحيطُه بحنانِها شهراً أو شهرينِ ، حتى إذا استطاع

الاعتلاف ، وأصبح قادراً على إدارةِ شؤونِه ، ظهرت عزلةٌ استقلالية بينهما .

وهذه الظاهِرةُ موجودةٌ لدىٰ جميعِ أنواعِ الحيواناتِ ، وهي موجودة فينا أيضاً (بدوافِع طبيعيَّة) ، لكِنَّنا لا نَسْتَفِيدُ مِنها .

علينا نحن أنْ نُربِّي البِنْت ، ونوفِّر لها ما نستطيعُه مِنْ احتياجاتِها المادية والمعنوية والحنان ، ونربِّيها تربيةً إسلاميةً صحيحةً ، حتى إذا حان زواجُها زَوَّجْناها ، لِتذهبَ إلى بيتِ الزوجية ، وتبدأ حياةً مستقلةً .

وبعد ذلك لا ينبغي للوالدين التدخُّلُ في شؤونها ، ولا ينبغي للأُمِّ أن تُظهِرَ الشفقةَ غيرَ المناسبةِ عَلَيها ، حتى لو نشِبَ نزاعٌ بينَها وبين زوجِها فينبغي للأُمِّ أن لا تُدافِعَ عن بِنتِها ، ولو كان التقصيرُ مِنَ الزوجِ .

بل ينبغي لها أن تنضمَّ إلى جانِبه .

وهكذا يجب أن يفعل الأَبُ ؛ فأحدُ مواردِ الدفاعِ المُضِرَّة هو هذا المورد ، فهو هنا دفاعٌ عن البنت ، لكنّه لا يسمح لها بعيش حياةً مستقلة وتفكر بصورةٍ مستقلة ، فتعلم الأم ابنتَها ما تقولُ وتجعلها تابعةً لها ، وهذه جريمةٌ وخيانةٌ قد تجرُّ إلى الطلاقِ ، وإلاّ فإلى توجيهِ ضرباتٍ عنيفةٍ للمودَّةِ بينَهُما تؤدِّي إلى تدميرِ الأسرةِ .

ونحن علينا أن نربّي ابننا تربيةً إسلاميةً ، ونوفر عليه احتياجاتِه المادية والمعنوية والعاطفية ، ونقدِّمَه للمجتمع على وفق الصفاتِ التي يرضاها الإسلامُ ، فإذا بلغ الرشدَ ، وبلغ سِنَّ الزواجِ ، فواجبُ والديهِ تزويجُه ، ليبدأ حياةً مستقِلّةً .

وعندها يمتنعانِ عن التدخُّل في شؤونه ـ مثلما تترك الدجاجة وليدَها وشأنَه بعدما يستطيع الاعتِمادَ على نفسِه ـ ولا يبديان شفقةً عليهِ في غيرِ محلِّها تجاهه .

وإذا وقع نزاعٌ بينَه وبين زوجتِه ، فعليهما اتِّخاذُ جانبِ الزوجةِ . حتى لو

كان التقصيرُ مِنْها ـ وبالطبع عليهما أن يوجِّها النصحَ اللازمَ لها ، وينبّهاها إلى مكمن تقصيرِها ، ويعلماها الموقفَ الصحيحَ ويشفقا عليها لا على وَلدِهما .

وليحذرا من صبِّ البنزينِ على النارِ ـ والعياذُ بالله ـ فواجبُهما أن يخمداها ويتعاملا مع هذا النزاعِ مثلَ تعامُل « العمدة » .

ومع الأسف ، فإنَّ الأمهاتِ خصوصاً والآباء أحياناً يدافعان عن ابنهما ، ويتدخّلان في شؤونه ولا يدعانِه يعيش حياةً مستقِلةً .

فالأُمُّ تريد أن ينفذ كلّ ما تقولُه حتى لو أسرتُهُ بالطلاق ، لكي ترضى ، والأَبُ يريدُ من الابنِ أن يكونَ خادِماً وتابعاً له وهذا خطأٌ يَضُرُّ بالمَودَّةِ ، ويدمر البيت ويُثير اختلافاتٍ شديدةً فيه .

وإذا أدّت هذهِ التدخلاتُ ـ لا سمح الله ـ إلى النميمةِ فإثمها عظيم جداً ، يقول ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾(١) .

فلمثير الفتنة شكلان من العذابِ كلاهما أليم : أحدُهما يأتيه في الدنيا فَتُطوِّقُه الفتنةُ التي أثارها ، بمعنى أن على الأُمِّ التي تُثير فتنةً على كنَّتِها أن تعلم أنّ فتنةً سَتُثار على ابنتِها أيضاً ، وهذا يؤكّده القرآن بشأنِ والدةِ الزوجةِ التي تُثير فتنةً على زوجِ ابنتِها .

والعذاب الثاني هو يوم القيامةِ إذ ستُطوِّقه نارُ الفتنةِ في جهنّم .

وفي مكانٍ آخرَ يتعاملُ القرآنُ الكريم بصورة أشدَّ مع الفتنةِ ، فيقول : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾(٢) .

ولا تتصوروا أن ذنبَ القتلِ قليل بل : ﴿ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ

---

(١) سورة البروج / ١٠ .

(٢) سورة البقرة / ١٩١ .

فَسَادٍ في الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾[٣] ، وعليه فإثْمُ إثارةِ الفتنةِ والكدورة بين الزوجين أشدُّ من إثْمِ القَتْلِ ، يروى أن رجلاً جاء إلى الإمام الحسين (عليه السلام) ، وكان قد فرق بين ابنه وزوجته ، فأخبره الإمام (عليه السلام) إن إثم هذا العمل أعظم من إثم قيامه بقتل شخصين وقطعه لعروقهما وإخراجهما من بدنيهما[٤] .

هذه الرواية الشريفة تُبيِّنُ لنا أَنَّ النميمةَ وبَثَّ البغضاء والكدورة أشدّ من القتل المقترن بالتعذيب ، فإثْمُ القتلِ عظيمٌ وأعظمُ منه تقطيعُ الشخصِ حتى يموتَ ، فيقرن القتل بالتعذيب .

ومَنْ يفعل ذلك يظهر يوم القيامة بصورةِ كلبٍ متوحّش ، واعلموا أَنَّ إثارةَ الفرقةِ ، والنميمةِ والافتراءِ أَعْظَمُ مِنْ هذا الذنبِ .

وهذا ما تفعله بعض الأُمَّهاتِ لإسقاطِ شخصيةِ الكنَّةِ من عينِ زوجها بأشكالِ التدخُّلِ في شؤونها والنميمةِ والافتِراءِ وتوجيهِ الاتّهاماتِ بألسنتهن الجارحة للزوجة .

فإذا سقطت من عينِ زوجِها يَظهر الأثر الأول لذلك في مصيبةِ إصابةِ الأولادِ بالعقدِ والأمراضِ النفسيّة ، فلا يطيب بعدها عيشٌ لابنك أنتِ ، وستُبْتَلين أنتِ أيضاً بذلك إضافةً إلى أن عليكِ أن تتحملي عذاب جهنَّمَ في الآخِرة .

والنميمةُ والبهتانُ والكلماتُ الجارحةُ هي من نتائج التدخّل في غير مواقعِه .

أحياناً نرىٰ الأم يبلغ بها الجهلُ حدَّ تعييرها لصهرِها الفقيرِ بوضعِ صِهْرِها

---

(٣) سورة المائدة / ٣٢ .

(٤) لم نعثر على متن الرواية في المصادر التي بين أيدينا .

الثريِّ المتديِّن . ولا تفكِّرُ بالآثار التي يخلفها عملُها القبيح .

كما نرىٰ أحياناً الأب يُميّز في التعامل بينَ صِهرِه هذا لكونِه جديداً وصهرِه الآخرِ لكونِه قديماً .

وهما لا يعلمان شدة سوء الآثار التي تتركها هذه التصرفات علىٰ ابنتِهما !! .

وأحياناً تطلق والدة الزوج كلماتٍ جارحةً على كنّتِها تحدث جروحاً عميقةً لديها تُلازِمُها إلى اللحدِ كما يقول المثل المتداول .

اجتنبوا الكلماتِ اللاسعةَ ، فإنّها تتمثل يومَ القيامةِ بهيئةِ عقارِبَ تلسعُكم .

عار على أم الزوج أن تطلقُ كلمات جارحة على كنّتها . وعارٌ على أُمِّ الزوجةِ أن تلدغ من أجل أمورٍ دنيوية بكلماتِها صِهرها في حينِ أنَّ واجِبَها أن تُحِبَّه أكثر من ولدِها . وقبيح للصهر أنْ يتعامَل بانفِعالٍ وروحٍ عدائية مَعَ والدي زوجته في حينِ أن واجِبَه أن يتعاملَ معهما بمودّةٍ مثل تعاملِه مع والِدَيه .

ولماذا يتعامل معهما تعاملَه مع العدوِ القاتل ؟! .

أمن أجل جهاز الزواج الذي قدّماهُ متواضعاً ؟! تَعْساً لهذا الصهرِ ولطريقةِ تفكيره .

أليسَ قبيحاً للكنّة ـ التي يجب أن تودَّ حماتها مثلما تودُّ والدتَها ، فهي التي ربّت لها زوجَها حتى كبر ، فقدمتْه لها ـ أن تعادي حماتها ؟! كما أنّ عليها أن تودَّ والِدَ زوجِها مثلما تودُّ والِدَها ، فهو الذي تحمل المشاقّ في تربيةِ هذا الولدِ حتى كبر ، وقدَّمَه زوجاً لها ، فهل يجدر بها أن تلسعه بكلماتٍ جارحةٍ أشدَّ من لسعاتِ العقربِ ولا تطيق أن تراه ؟! .

يقولون ـ في المثل ـ إنَّ بعيراً أدخل رأسَه في عُشِّ دجاجةٍ ، وطلب منها

السماحَ له بأن يدخـل العش لبرودةِ الـطقسِ ، وقبل أن تجيبَـه أخرج رأسَـهُ من العُشِّ بسرعةٍ ، فهدمه فلم يترك ملجأً لا لِنفسِه ولا للدجاجـةِ . ومثلُ هـذا تفعلُه بعضُ العرائس ، فهي تدخل بيت الزوجيـة بروحٍ تَسلُّطيَّـةٍ تُريـدُ الاستيلاءَ علىٰ الزوجِ فلا تترك مكاناً لديهِ لوالديه ، وهـذا عملٌ أحمق للغـايةِ وذنب يتنـافىٰ مع الروح الإنسانيةِ .

أوصي الأزواج والـزوجـات وآبـاءَهم وأمهـاتِهمْ بـالتعـامُـلِ فيمـا بينَهُم بالرحمة ، فبذلك تكون بيُوتكم محالّ رحمةِ الله في الدنيا ، ويكونُ مقامكم في الآخـرةِ في الجنّة تجلسـون متقابِلَين قـولكم فيها ـ أزواجـاً وزوجـات وحمـوات وكنّات ـ سلاماً سلاماً .

أما إذا اختلفتم بسبب الأمورِ المـادية أو وجّـه الزوجُ كلمـاتٍ جارحـةً ـ لا سمـح الله ـ لزوجتِـه بسببِ عدمِ امتـلاكِها الجهـازِ التـأثيثي أو بسبب قِلّتِـه ، أو أساءتِ الأمُّ إلىٰ مشاعرِ صهرِها بسبب فقرِه وعدم استطاعتِه العملَ وإدارة المنزل بصورةٍ جيدة ، أو عيَّرتْهُ بغنى الآخرين أو فعلتْ زوجتُه مِثلَ ذلِك .

فاعلموا أنكم ستذهبون إلى جهنَّمَ بعد القيامةِ حيث يكون حالكم مثل ما يصِفه القرآن : ـ ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾(٥) .

تدخل الزوجةُ جهنَّم ، فيلعنها زوجُها ووالدتُه وهي تلعنُ والدةَ زوجِها .

ووالـدتها تـدخل ، فتلعن بنتهـا وتقول لهـا : أنتِ التي جَعَلْتِني من أهـل النار ، فتجيبها بمثـلِ قولهـا : فالقـرآنُ يحكي أنَّهم عندمـا يجتمعونَ في جهنَّمَ يلقي كلٌ منهم مسؤوليةَ هذه العاقبةِ على الآخرين، فيقول القرآن: ﴿**قال لكلٍّ ضعفٌ ولكن لا تعلمون** ﴾(٦) فكل منكم ساهم في إدخال الآخر إلى جهنم .

---

(٥) سورة الأعراف / ٣٨ .

(٦) سورة الأعراف / ٣٨ .

لِماذا نختلف في بيوتِنا ؟! .

إنني أُوصي الـزوجة بـأن أيتها السيـدة كـوني وفيـةً وذات حيـاةٍ مُستقِلّةٍ . وأقول للأزواجِ مثل ذلك ، أيها السيد احذَرْ ولا تصغي لغيرِ المناسبِ والصالحِ من كلامِ والِدَيك وكُن وفيّاً وعِّشْ حياةً مستقلة .

وأقول للسيدات خاصةً ، إذا كـانت الزوجـةُ وفيةً ، فلن تستـطيع والـدتُها التدخل في حياتِها وتدميرِها .

أمّا إذا فقدتم الاستِقـلاَل وكانَ لأقـوالِ الآخرِينَ تـأثيراتٌ في شؤونِكم ، فقد انهدمت حياتكم الزوجية مُنذ الأيام الأولى . وقد يُؤدِّي الأمـرُ إلى الطلاقِ ، فكثيـرٌ من حالاتِ الـطلاقِ اطَّلعتُ عليها ، وعنـدما نـدرسها نـرىٰ التقصيـرَ من الحماةِ أو أُمِّ الزوجةِ أو من جهل الآباءِ ، فهم بدلاً من التعاملِ علىٰ وفقِ طـريقةِ « العمدةِ » الإصلاحية ، ومن أن يدافـع والدا الـزوج عن كنتهما ويـدافع والـدا الزوجةِ عن صهرِهما ، أي : يُصلحا بينَ بنتِهما وزوجِهـا ، إذا وقع نـزاعٌ صغيرٌ بينَهما . بدلاً مِن ذلِك يعمدان إلى تأجيجِ النزاعِ .

وأحدُ الأعمالِ القبيحةِ هي التخاصم والتهاجر بين الزوجين .

فممن تغتاظينَ أيَّتُها السيدةُ ؟ .

هل ينبغي هجران الزوج ؟! .

المـرأة لا تنفصل عن بيتِـا وحياتِهـا ، فقُري في بيتِـكِ ، فـإنّـهُ لا يَسَعُـكِ غَيْرُهُ . هذا ما يقولُه الوالدِان العاقـلِانِ لِبنتهما ، إذا تـركت بيتها وجـاءت إليهما فيأمرانِها بالرجوعِ إلى بيتِها ويرجعانها إليـه باعتِـذارٍ من انفِعالِهـا الذي أدّى إلى ارتكـابِها خـطأ تركِ بيتِهـا ، فينتهي النزاع بهـذه الصورةِ ، حتى لـو كان الصهـرُ مسيِّئاً . فإنَّ مثل هذا الموقفِ من والدي زوجتِه يجعلُه يتراجع .

وعندما ترى الزوجـةُ حماتَهـا تُدافِـعُ عنها وتحِنُّ عليهـا وهكذا يفعـل والد زوجها فمن المؤكد أن تنبعث فيها المودة ويَصلح حالُها مهما كانت سيّئة .

نجد بعض الأزواج عندما يرجع أحدهم متعباً بعد انتهاءِ عمله اليومي إلى البيت والأسرةِ التي هي سكنٌ له ـ حسبما يريدُ القرآنُ الكريمُ ـ ليُزيل التعب عن نفسِه ويسكن إلى زوجتِه ، لكنه يرى بدلاً من ذلك بداية المشاقِّ ، فإذا شاهدتْه زوجتُهُ وحيداً جلست إليهِ مثل الوسواسِ الخنَّاسِ تُحدِّثُه بأحاديثَ كلها وسوسة مستمرة أي غيبة مستمرة وافتراءات متتالية ، مثل أن تقدح والدتَه في غَيبتِها بأنّها قالت كيت وكيت .

ونفس الشيء تفعله والدتُهُ إذا رأته وحيداً ، فتبدأ حديثَها بأنّ زوجتك ليست جيدةً ، ويجب أن تختارَ غيرَها ، فالحياةُ (معها) لا تُطاق ، لأنَّها لا تقر في بيتِها .

ويستمر الحديث متّصلاً غيبةً وبهتاناً فيزدادُ هذا البائسُ المتعبُ بُؤساً وتعباً .

فهل تعرفون عظمة هذا الذنب ؟! .

خطب الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) : ـ يوماً فذكرَ الرِّبا وعظَّم شأنَه ، فقال : ـ « إن الدرهمَ يُصيبُه الرجلُ مِن الرِّبا أعظمُ عندَ الله في الخطيئةِ من سِتٍ وثلاثينَ زنيةً يَزْنِيها الرجلُ .

وإنَّ أدنى الرِّبا عرض الرجل المسلم »(٧) .

ولا تتصوَّروا أن إثمَ الزنا صغير ، فالزاني إذا ماتَ ـ دون توبة ـ خرجت مِن عورتِه في جهنَّم رائحةٌ نتنةٌ يتأذى مِنها أهلُ النارِ الذين يستغيثون منها .

وكذلك حال الزانيةِ(٨) ورغم ذلك فأكلُ درهمٍ واحدٍ من الرِّبا أشدُّ من سِتٍّ وثلاثينَ زنيةً .

---

(٧) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٣٣ .

(٨) ورد ذلك في العديد من الأحاديث الشريفة نظير المروي في ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للشيخ الصدوق ص ٣١٢ .

وأشدُّ مِنهُ الغيبةُ وانتهاكُ حرمةِ المسلِمِ كما يؤكِّد النبي الأكـرمُ (صلّى الله عليه وآله) في الحـديثِ المتقدّم ، أي أشـد من ذلك أن تنتهكي حـرمةَ كُنّتِـكِ وتغتابيها وتفتري عليها .

فإثْمُ البهتانُ عظيم ، إذْ تذكُرُ الرواياتُ أنَّ الذي يرتكبه يحبس في القيـامة في قيـحٍ ودمٍ خمسينَ ألفَ سنـةٍ ، حتى ينتهي حسـابُ الخـلائقِ ، ثم يـذهب بهذا التل من القيحِ والدمِ إلىٰ جهنم[9] .

فلا تسقطوا في هذا الذنبِ العظيمِ ولا تجسَّسُوا ولا يغتب بعضكم بعضـاً ـ خاصة الكنّات والحموات .

ويصل الخبثُ بالحماةِ أحياناً إلى حدِّ قيامِها بفتحِ حقيبةِ كنَّتها في غيابهـا علّها تجد شيئاً تشهرها بهِ .

وهذا ذنب عظيم حتّى إنَّ رسولَ الله (صلّى الله عليه وآله) خطبَ الناسَ حتى أسمـعَ العواتق في بيـوتها قـائلاً : ـ « يـا معشر مَنْ آمنَ بلسـانِـه ولم يُؤْمِنْ بقلبِه ، لا تغتابُوا المسلمينَ ولا تَتَّبِعُوا عَوراتِهم ، فإنَّ مَنْ تَتَـبَّـعَ عَورةَ أَخيـهِ تَتَّبَعَ الله عَورتَه حتى يَفْضَحَه في جَوفِ بيتِه »[10] .

فلا تجسَّسوا ، فإذا تجسّستِ أيتُها السيـدةُ علىٰ كنّتِكِ بتفتيشِ أشيـائها أو حقيبتِهـا ، فـاعلمي أن هـذا العمـلَ ستُعَـرَّضُ لـهُ ابنتُـك ، وهـذا هـو العقـابُ الدنيوي ، ولكن مـاذا سَتَفْعَلِينَ تجاهَ العقـابِ الأخرويّ ، فتحمُّـل نارِ الجحيمِ صعبٌ وعذابُ القبر شديد ؟ .

والبعض يقـومـون بـأشكـال عجيبـةٍ وغـريبـةٍ من التجسُّسِ ، حتى بين الزوجينِ ، ولذا أُوصي الـزوجاتِ بـاجتنابِ تفتيشِ حقيبـةِ الزوج ، فهـذا عملٌ

---

(٩) تقدم مصدره .
(١٠) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٣٢ وقريب منه في أصول الكافي ج ٢ ومصادر أخرى عديدة .

سيِّءٌ وقبيحٌ وسرِقةٌ ، وقد يؤدّي إلى الطلاقِ كما نشاهِدُ أحياناً .

يا أيها الزوجُ لا تفتش حقيبةَ زوجتِك ودولابها ولا تَتَجَسَّسْ عليها .

أيتها الحماةُ لا تُفتِّشِي متاعَ الزوجةِ من أجلِ معرِفةِ طبيعة جهاز عـرسِها ، فما شأنُكِ به ؟ .

فهـو مهما كـان وضعُه متعلِّقٌ بهـا ، وعليكِ أنتِ التفكيـر بـأمـرِ آخـرتِـكِ فقـدمُكِ على حـافةِ القبـر ، والتجسسُ على متاعِ الكَنَّـةِ عمـلٌ أحمق ، وليس عملاً إسلامياً ولا إنسانياً ، وذنبُه عظيمٌ وقد يستتبع عواقب خطرة سواءٌ صدر عنِ الزوجةِ أو عن الزوج .

ولـذا أرجوكم أن لا يتجسَّسَ بعضُكم علىٰ بعضٍ ، كمـا أرجو مِنَ الآبـاءِ والأُمَّهاتِ اجتنابَ التـدخُّلِ في شؤونِ الأَبنـاءِ والبناتِ ، وتـركَهُم يعيشون حيـاةً مستقِلةً .

والشفقةُ في غيرِ محلِّها عملٌ خاطِىء .

وإذا وقعت بعض الأخطاءِ ، فأَصلِحُوها بَدَلاً من مُضاعَفَتِها واستدامتِها .

وأيتها الوالدة عليك بدلاً من الاندِفـاع في الحرص على مصلحـةِ ولدِك ، عليك أن تحرصي على آخرتِك وحُسنِ عاقِبتِك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المحاضرة العشرون :

الفصل التاسع

طاعة المرأة لزوجها

● البيت العائلي وحاكمية القانون

طاعة المرأة لزوجها

الفصل التاسع من بحثنا هو عن قضية الطاعة في الأُسرةِ ، فطاعة المرأة لزوجِها أمر تقتضيهِ الطبيعةُ الإنسانية ، وإن لم تفعل ولم تصغِ لكلامِهِ فقد ارتكبت ما يخالِفُ هذِه الطبيعةَ .

وتعلمون أن كلَّ مؤسَّسةٍ تحتاجُ إلى رئيسٍ ، حتى لو كان عدد العاملين فيها سبعةَ أو ثمانيةَ أشخاص ، فلا تستقر أمورها من دونِه .

الأُسرةُ ليستْ دائرةً ، فهي دولةٌ صغيرة حسبما يصفها علماءُ النفسِ الاجتِماعي والدولة الكبيرة تتشكَّلُ من هذِه الدولِ الصغيرةِ التي تحتاج كلٌّ منها لرئيسٍ .

والطبيعة والفطرة تقول للزوجة : إنَّ الرجلَ هو رئيسُ الأُسرةِ خاصة ، وإنَّ نفقة الزوجةِ والأُسرةِ تقع عليه ، ولهذا وَكَل القرآنُ الكريمُ مسؤوليةَ رئاسةِ الأُسرةِ إليه ، وأشار إلى علّةِ ذلك ، يقول ـ تعالى ـ : ﴿ **الـرِّجَالُ قَـوَّامُونَ عَلَىٰ النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾[1] .

فرئاسةُ الأُسرةِ حقٌّ للرجل ، لأنّه وجودٌ متعقل ويتكفل أمر توفير نفقاتِها .

فالآية الكريمة منسجمة مع الفطرةِ عندما تأمر أفراد الأُسرةِ الزوجة

(١) سورة النساء / ٣٤ .

والأطفالَ بطاعةِ الزوجِ ، فإنْ لم يفعلوا يصبحْ حالُ الأُسرةِ كحالِ الدائـرةِ التي يتحرك بعض أفرادِها علىٰ وفق آرائِهم الشخصية .

وإن لم تسمع الزوجة كلام زوجِها يكون حالُها حالَ معاونِ رئيسِ الدائرة الذي يعصي رئيسَه ، ويتصرف علىٰ وفق رأيِهِ الشخصي .

وواضح أنّ مثل هـذهِ الدائـرة تنهار ، فمِن المحـالِ تسيير شؤونهـا ، فلا تجد فيها سوى النزاع .

وإذا لم تطعْ الزوجة زوجها ، حلّت المصائب بالأُسرةِ .

وهـذا ما يحـدث إذا تمرَّد الأولادُ عليـهِ ، فإذا أرادوا الانسجـامَ واستقـرارَ وضع الأُسرةِ ، وجبَ عليهم طاعةُ الأبِ وهذا حقُّه .

الحق الثاني للزوج هو القضية الجنسية وعلىٰ الزوجة أيضـاً طاعتُـه فيها ، فإنْ لم تفعلْ ، فهي نـاشزة ـ كمـا يُجمع علىٰ ذلـك الفُقهاء ـ يسقط عن الـزوج حقّها في توفيرِ المسكنِ والمأكلِ والملبس .

والقرآن يتحدّث عن هذا الموضوع بلغةٍ أكثـر حدّة كمـا وردت الأحاديثُ الشريفةُ بهذِه المضامينِ فقـد نقل صـاحبُ « وسائـلِ الشيعة » : ـ « أتت امـرأةٌ إلى رسـولِ الله (صلّى الله عليـه وآلـه) فقـالت : ـ مـا حقُّ الـزوجِ على المرأة ؟ .

قال : أنْ تُجيبَه إلى حاجتِه ، وإن كـانت على قَتَبٍ ، ولا تعطي شيئـاً إلاّ بإذْنِه ، فإنْ فعلتْ ، فعليها الوِزْرُ وله الأَجْر .

ولا تبيت ليلةً وهو عليها ساخِط .

قالت : ـ يا رسولَ الله وإن كانَ ظالماً ؟ قال : نعم . . . »(٢) .

---

(٢) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١١٢ نقلاً عن فروع الكافي ج ٢ ص ٦١ .

ولكونِ المرأةِ عاطفيةً تُوجِبُ عليها طبيعتُها التواضُعَ ، لذا يعتبر القرآن الكريم المرأة الصالحة هي التي تتحلىٰ بخصلتين التواضع لزوجها فلا تسلِّط لسانَها عليهِ والثانية التزامها العفة في السرِّ والعلنِ ، فحجابها واحدٌ في اكتمالِه في المدرسةِ وفي الشارعِ إزاءَ الغرباءِ وغيرِ المحارم من أقربائها أمثال شقيق زوجِها وعمِّه وخالِه وأمثالِهم وبقال المحلَّةِ وأمثالِه يقول ـ تعالى ـ : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ ﴾[٣] .

وعلى المرأةِ أن تطيع زوجَها خاصَّة في أمرِ العلاقةِ الجنسيّة .

والأمر الجديرُ بالالتفات إليهِ هنا هو أنَّ على الرجلِ أن يفعل مثل ذلك بمعنى أن يصغي لكلام زوجتِه ، فهي معاونتُه مثلما أنّ لرئيسِ الدائرةِ مُعاوناً ، ومثلما على المعاون أن يستمع لكلام رئيسِه على الرئيسِ أن يفعلَ ذلِك ويهتمّ بكلامِ معاونِه .

وبالطبع فإن اتّخاذَ القراراتِ يقع علىٰ عاتق الرجل ، ولكن عليه أن يُشاوِرَها ويعرض عليها الأمور ، فإنْ كان رأيُها صحيحاً عمِلَ به .

هناك حديث شريف مشهورٌ مرويٌّ عن أميرِ المؤمنين (عليه السلام) يُفسِّرهُ الرجال بصورةٍ سيِّئةٍ وهو قوله (عليه السلام) : ـ « وشاوِرهُنَّ وخالِفُوهنَّ » .

فالرجال يفسرونه ، طبقاً لمصلحتِهم ، وكأنَّهم يتوهمون أنه (عليه السلام) يقول لغواً ، فيأمر بمشاورةِ المرأةِ ، ثم مخالفتها ولو كان رأيُها حقّاً ، فواضح أنَّ هذا ليس معنى الحديثِ ، بل هو ما قلناه ، وهو أنّ عليهِ أن يستشيرها ، ويهتمّ برأيِها ، فإنْ كان معقولاً عمِلَ بهِ ، فعليه أن يستمع كلامَها .

أمَّا القرار ، فعليهِ هو أن يتَّخذَه ، وقولُ أميرِ المؤمنينَ لا يختلف عن

---

(٣) سورة النساء / ٣٤ .

القرآنِ والخطاب القرآني الذي يأمر النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) بالاهتِمام بِآراءِ المسلمين واحترامها .

أما اتّخاذ القرارِ ، فهو حقّه : ـ ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ﴾[٤] .

فهو يستمع آراءَهم ، فإن كانت سديدةً عمِلَ بها ، وإلاّ أعرضَ عنها .

هذا معنى الآيةِ ، وهو نفسُه معنى الحديث الشريف ، فهو يأمر الزوجَ بمشاورةِ زوجتِه واحترامِ شخصيتِها وإشراكها في مجرياتِ الأمورِ ، فهي معاونة له ووزيرةُ دولتِه ، فيجب أن تكون مطّلِعةً على شؤونِ البيتِ والزوجِ .

أجل إذا رأى أنّ رأيها ليس صحيحاً اتخذ هو القرار .

وهذا هو معنى كلٍّ من الحديثِ والآيةِ الكريمةِ ، بل إنّ النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) حثّ على استشارة الأولادِ الكبارِ ، إذْ يقول : ـ « الولد سَيِّدٌ سَبْعَ سنِينَ وعبدٌ سَبْعَ سِنينَ ووزيرٌ سَبْعَ سِنينَ »[٥] .

فتنبغي طاعتُه في الأعوامِ السبعةِ الأولى ، بمعنى إحاطته بالحريةِ والدلالِ بالمِقدارِ المستطاعِ ، ثم تعليمُه الأعمالَ في السبع الثانيةِ ، فعليهم أن يدفعوه للعمل ليصنعوا منه شخصاً فعّالاً ، لكي لا يكبر ـ ذكراً أو أنثى ـ على الكسلِ وعدمِ الفاعلية .

أمّا إذا بلغ السبعَ الثالثةَ ، وأصبح شابّاً ، فعلينا أن نستفيد من رأيه ، فنشركه في مجريات الأمورِ ، ولهذا الحديث الشريف المثير للإعجابِ معنىً كبيرٌ عندَ علماءِ النفس .

إذا أردنا أن يتمتّع أولادُنا بشخصيةٍ اجتماعيةٍ قويةٍ ، فعلينا نحن أن نُعْطِيهَا

---

(٤) سورة آل عمران / ١٥٩ .

(٥) وسائل الشيعة ج ١٥ / ص ١٩٥ الحديث رقم ٧ .

لهم ، فالأبُ هو الذي يمنحُها لابنِه ، والأمّ هي التي تمنحُها لابنتها .

فالتعامل التسلُّطِي علىٰ الأولادِ ـ ذكوراً وإناثاً ـ من الذين بلغوا الأربعة أو الخمسة عشر عاماً وممارسةُ الفَرْضِ عليهم هو عملٌ خاطىء وخاطىء جداً : يقول ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٦] .

فاستِخدامُ كلمتي ﴿ يا بُنَيّ ﴾ و﴿ هو يعظُه ﴾ يعلمنا أموراً مهمةً كثيراً ، فهو يقول : أيها الأبُ تحدَّثْ مع ولدِكَ برأفةٍ وخاطِبْهُ بكلماتٍ محبَّبةٍ ، ودع روحَ التسلُّطِ ، وتحدَّث معهُ بلغة المنطِق وقل له : ـ ﴿ لا تُشْرِكْ بالله إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عظيم ﴾ .

فقدمْ له الأدلة على ما تقول وأُطلِعْه على حقائِق مجريات الأمورِ ، فبذلك تحترمُ وتعزِّزُ شخصيَتَهُ وتشبع غريزة الحاجةِ للرأفةِ والحنانِ من خلالِ الرحمةِ التي تتجلّىٰ في مخاطبتِك له .

كما أن تقديمك الأدلّة وعدم فرضك رأيك عليهِ يبعثانِ فيهِ السكينةَ والاستقرارَ النفسيَّ ، فيجعلانِه قويَّ الشخصية .

ولذلك تأمُرنا الأحاديثُ الشريفةُ بالرفقِ بالزوجةِ والأولادِ واحترامِهم[٧] .

بعض الأزواج ـ أرجو أن لا يكون في محفِلنا أحدٌ منهم ـ لا يعقلون شيئاً ، لكنهم متجبِّرون بالكاملِ ، فلا يعلم أولادُهُ ولا زوجتُه ماذا يفعل وما هي مهنتُه ومِن أين يأتي بالأموالِ وما هي المواردُ التي يصرِفُها فيها .

وكل ما يعلمونَه هو أنَّه يذهبُ صباحاً ويرجع مساءً ، ليتعامل بتجبُّرٍ مع

---

(٦) سورة لقمان / ١٣ .

(٧) هناك العديد من الأحاديث الشريفة الواردة في هذا المجال تجدها في العديد من الأبواب من المجلدين الرابع عشر والخامس عشر من موسوعة وسائل الشيعة .

عيـالِـه ، في حين يجب احتـرامُ رأي الـزوجـة ، فهي وزيـرةُ الأُسـرةِ ومعـاونـةُ رئيسِها ، ولا يمكن للرئيس أن يتجاهل معاوِنَه .

كما على المرأة أن تطيعَ زوجَهـا وتصغي بخضوع لقـوله ، وتستجيب لـه بالفعل ، وليس بمجردِ القولِ ، لكي تستطيع النفوذ إلى قلبِه .

فنفس كلمة القبول لقوله تعزِّز مودَّتَه .

وإذا عملت بـأمرِه ، فكـأنمـا عمِلَتْ بقـولِ القـرآن الـذي يصف المـرأة الصالحة بأنَّها خاضعة لزوجِها : ـ ﴿ **فالصالحات قانتات** ﴾ .

كما يجب على الزوج أن لا يأمرهـا بما يُخـالِف الشرعَ ، لكي لا تضـطرَّ لرفضِ قولِه .

وبالطبع علىٰ الزوج ضمن حقوقِ المرأةِ عليـه التي يجب أن يقومَ بهـا أَنْ يشركها ، وكذلك الأولاد في شؤونِ الأُسرةِ .

وكم هي جيِّدة مقولة ذلك العالِمِ النفسي الذي يقول : ـ إذا أَرادَ الإِنسانُ الهدوءَ لبيتِه وعدمَ وقوعِ النـزاعِ فيه ، فعليـه عندمـا يتسلَّمُ راتِبَهُ أَنْ يجلِسَ مـع زوجتِه وأولادِه ، فيحسبوا معـاً مصارف الأُسـرةِ ، فيطلع الجميـع علىٰ الحال ، فيجتنبوا الطلبات غيرَ المناسبة .

فإذا كانتِ الزوجة تجهلُ دخلَك ، فإنها ستتصورك بخيلاً إذا كان إنفـاقك محدوداً .

ومن هنـا يبـدأ تـدميـرُ المـودَّة ، فـإذا كنتَ مستبِـداً لا تهتم أصـلاً بـرأي زوجتِك ، فإنّ استبدادَكَ يُدَمِّرُ المودَّةَ ، لأنّ لـزوجتك شخصيـة وهذا الاستبـدادُ يُوجِّهُ ضربةً لشخصِيتهـا ، ويَظهـرُ أَوَّلُ آثارِ الضـربةِ في أن تصبـح الزوجـة سيّئةَ الأخلاقِ وخشنة التعـامل والأخـطر والأشد أنهـا إذا فقدت شخصيَّتهـا تصل إلى مزالِقَ خطِرة جداً . لذا أوصي الآباءَ والأُمّهات خـاصةً أن رَبُّـوا أولادكم ـ ذكوراً وإناثاً ـ بصورةٍ تمنحُهم شخصيةً قوية .

فاجتنبوا إهانتهم ، فالإهانةُ تعني سحق الشخصية . وإذا انسحقت شخصية البنت أصبح من الممكن أن تسقط بكلمةٍ محبة واحدة .

وإذا انسحقت شخصيَّةُ الشابِّ أصْبَح مُستعِداً لارتكابِ أيَّةِ جريمةٍ .

وبناءً على ما تقدَّم يكونُ استماعُ الرجلِ لآراءِ المرأةِ وإشراكها في مجريات الأمورِ حقّاً طبيعيّاً للمرأة مثلما أنَّ طاعَتَها له حقٌّ طبيعيٌّ له .

كما أنّ الحقّ الثاني للزوجِ في الفِقهِ الإسلامي هو حق قطعيٌّ .

وللزوجة في المقابِل حقٌّ فيما يرتبطُ بالغريزةِ الجنسيّة أن يؤدِّيَهُ بالكامِل .

وإذا كان قادراً عليهِ ، وتهاون فيْهِ ، فقد ارتكب ظلماً ، ولم يؤدِّ حقها .

والكثيرُ مِن الأحاديثِ الشريفةِ يُؤكّد أن للمرأةِ على الرجل مثلَ هذينِ الحقّين اللّذين لَهُ عليها[٨] .

البيت العائلي وحاكمية القانون :

ورجائي الذي أوكِّدُه في هذِه الأيامِ الأخيرةِ (من الشهر المبارك) وللأزواج خاصة وهو أن يقتنعوا بأنّ من غير الممكن إخضاعَ البيتِ لحاكميةِ قانونٍ ما ، فهو يؤدّي إلىٰ تمزُّق الأُسْرَة .

بل تجِبُ إدارتُه بحاكميةِ الصحبةِ الحسنةِ والمودَّةِ وروح الشفقة المتبادلة ، والذي يجب أن يحكم البيتَ العائلي هو مضمون ما يقوله الشاعر :

مَن أنا ؟ ليلىٰ ! ومَن ليلىٰ ؟ أنا
فكلانا روح واحدة في جسدين[٩]

---

(٨) تقدمت الإشارة إلى مصادر ذلك في هوامش المحاضرة السابعة عشر (الفصل السابع) ضمن الحديث عن الحاجات الجنسية . .

(٩) ترجمة نثرية حول بيت شعر بالفارسية ضمن ملحمة ليلى والمجنون المدونة بالفارسية وهي غير الأسطورة العربية المشهورة فهي وإن كانت قد استعارت رموزها لكن أمثالها وقصصها وأشعارها تناسب في أغلبها البيئة الفارسية .

فـإذا تصدر القـانون (بحـرفية جـافة) حـاكمية البيت دَمَّـرَهُ ، فمثلاً أقـر الإسـلامُ للرجلِ حقّ منعِ زوجتِه من الخـروجِ من بيتِه ، وأوجب عليهـا أخـذَ الإذنِ بالخروجِ منه .

فإذا أرادَ أن يستغِلَّ حقَّه هذا بالكاملِ ، فيمنعها من الـذّهابِ لِـزيارةِ بيتِ والدِها أو بيتِ الجيران ، ويوجب عليهـا البقاءَ في البيتِ ، فـإنّ مِن المتوقـع أن تعمد هي إلىٰ الكثيرِ مِن الأعمالِ المنافية .

فـإذا كانتْ فـاقدةً للعِفّـة ، فلا يمنعهـا مِن فعلِها إغـلاقُك عليهـا الأبوابَ السبعةَ ، ولكن من الممكن تحصينها (بالمودَّةِ) والصحبةِ الطيِّبةِ ، بِمثلِ هـذِه الأحاديثِ التي نعرضها في هذِه المُحاضرات مُنذ بدايـةِ شهرِ رمضـانَ إلىٰ اليومِ وردني أكثر من خَمْسِ مئةِ رسالةٍ أو عـريضةٍ جمعيـة أو اتصالٍ هـاتفيّ ، ولعلّها لم تتضمنْ اعتِراضاً أكثر من واحدٍ بالمئةِ منها ولم أتلقَّ أكثر من خمسةِ اتصالاتٍ هاتفيةٍ مُعارِضةٍ .

ولكني تلقيتُ أكثـر من خمسِ مئةِ اتّصـالٍ هـاتفي يعـرب عن الشكـر ، ويُوضِحُ أنَّ الشيءَ القادِر علىٰ جعلِ الزوجةِ مُطيعة لزوجِها بـالكامـل هو أمثـال هذِه المحاضرات والأحاديث والصحبة الطيبة والصدق والأخلاق .

فعلينا أن نهتمّ بآراءِ الزوجةِ ، ونتحدَّث معها بحنان .

وإذا أراد الرجلُ التعامُلَ (بصـورةٍ حرفيـة) مع القـانونِ ، وقـابلته المـرأةُ بالمِثل وطالبتْه بأُجرةِ إرضاعِها ابنَه وقيامهـا بأعمـالِ المنزلِ ، وطـالبتْه بخـادمةٍ تُعِينُها وتقوم بأعمالِ المنزِل ، أو طالبته بأنْ يقومَ هو بذلك وتقول له : إنَّ حقَّكَ علي هو في أمرِ النكاحِ (العلاقة الجنسيَّة) ، ولذا لن أقومَ لكِ بغيرِه ، وعليـك أن تعمل وتطعمني !! .

لـو حَدَثَ مثـلُ ذلِك حقّـاً ، فمن الواضـحِ أن هـذا البيتَ سيتحـوَّل إلىٰ سِجْنٍ .

ولو تعاملت الزوجةُ فعلاً علىٰ وفقِ هذِه الصورةِ ، لَوَقَع الطلاقُ في أَقَلَّ مِن عشرةِ أيامٍ .

وإذا تعامل الزوجُ علىٰ وفقِ تلكَ الصورةِ القانونيَّةِ (الحرْفيَّةِ) لارتفعَ صُراخُ واستغاثةُ الزوجةِ بعدَ أقلَّ من عَشَرَةِ أيّامٍ .

فواضح أن الحياة غير ممكنة على وفقِ هذِه الصورةِ القانونيةِ في التعامل .

القرآن الكريم يمدح القانونَ ، ولكنه يرفِضُ أن يكون جافّاً ، بل يؤكد وُجوبَ اقترانِهِ بالإحسانِ : ـ ﴿ إِنَّ الله يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ والإِحْسَانِ ﴾[١٠] .

فهذا الذي يجعل المرأة مطيعةً بالكامِل لزوجِها ، لكِنْ بمودّة .

وهذا (العدلُ والإحسانُ) هو الذي يجعلُ الرجلَ رحيماً لا يتعاملُ بجفافٍ مع عيالِه .

وهذا ما لا يمكن تحقيقُه بالقانونِ الجافّ وحدَه وأنا أعرِفُ الكثيرَ مِنَ الذِين التزموا هذا التعاملَ القانونيّ الجافّ ، فوصلوا إلىٰ نتائجَ سيئةٍ للغايةِ .

فمثلاً إذا انحل جانب صغير من مُلاءَةِ الزوجة ارتفعَ صُراخُه بصورةٍ غيرِ لائقةٍ . ومن الممكن أن تسكت عن هذا الصُّراخِ في المرَّةِ الأُولى والثانية ، ولكن هذا التعامل قد يؤدّي بها فيما بعدُ إلى فتحِ مُلاءَتِها وتكشِف عن وَجْهِها ومفاتِنِها عَمْداً ، فهي تبالغ في حجابها في حضوره ، وتتعمّدُ عدمَ الاهتِمامِ بِهِ في غَيبتِه .

وأحياناً ينهاها ـ بصورةٍ جافّةٍ ـ عن التحدُّثِ في حضورِ أَخِيهِ أو الجلوس على المائدة في حضورِ الأقرِباء ، فيؤدّي هذا التعاملُ إلى مفاسِدَ خطيرةٍ ، وقد

---

(١٠) سورة النحل / ٩٠ .

شاهدنا نزاعاتٍ فظيعةً ناتجةً عنه .

وفي المقابِلِ تتعامَلُ المرأة مع زوجها بجفاف ، فتبعث بذلك حالة الضجر لديه والرجال ميالون للاستبدادِ ، فإذا ترسّخت في الزوجِ هذه الحالةُ قادتِ الزوجةَ إلى معيشةٍ بائسةٍ ، فأوصيكم ـ برجاء ـ أن تجعلوا أجواء بُيوتَكم مفعمةً بالمودَّةِ ، وليسَ بإعمالِ القانونِ والسلوكياتِ المفروضة .

فالتزامُ المرأةِ بالعِفّةِ والحجابِ مطلوبٌ ، لكن لا ينبغي للزوجِ أن يشدِّدَ عليها إلى درجةِ منعها من الخروجِ أصلاً ولو لابتياعِ ما يحتاجُ اليه البيت أو زيارة بيت أبيها أو جارتها .

فهل يمكنها الامتِناعُ عن زيارةِ والدِها ؟! .

لا يمكنها ذلك . ولو كانتْ علاقةُ الزوجِ سيِّئةً مع والِديهِ ، فهجرانُ الوالدين يصيب الزوج وعيالَهُ بالعُقَدِ النفسيَّةِ وبالشقاءِ .

وكلّما شدّدتَ الضربَ بسوطِك على الصخرةِ اشتدَّت ردَّةُ الفعلِ عليكَ .

وكلّما شدَّد الزوجُ الضغطَ علىٰ زوجتِه اشتدّت ردّةُ الفعلِ وخطورةُ التبعات .

وإلىٰ جانب التأكيدِ لاجتِنابِ التشديدِ والضغطِ والتعامل الجافّ ، يجب في المقابِل الانتِباه إلى الأولادِ وتربيتُهم تربيةً سليمةً ، فيجب علىٰ الوالدينِ مُراقبةُ أوضاعِ ابنتِهما والأماكن التي تذهب إليها وطبيعة صديقاتها وضرورة أن يكُنّ عفيفات محترمات .

ونفس الأمر يصدق على إبنهما ، وهذِه أُمورٌ ضروريَّةٌ ولا شَكَّ ولكن شدة الضغط على الفتاة والشاب يجعلهما يتحدّيان والديهما ، ويتعمدان الذهاب إلى حيث لا يُريدُ الوالدانِ .

وعندما ندرس الموضوعَ بحثاً عن العِلّةِ نجدُها في انعدامِ التربيةِ أصلاً أو

في شِدّةِ التشديدِ في التربيةِ ، أي : ما بين إفراطٍ وتفريطٍ .

وقـد نهى الإسلام عن كِليهمـا ، يقول أميـرُ المؤمنين (عليه السـلام) :
ـ « لا يُرىٰ الجاهِلُ إلاّ مُفْرِطاً أو مفرِّطاً »(١١)

وهكـذا يكـونُ أصحـابُ الشخصية الضعيفـةِ ، فهم في صـداقتِهم إمَّـا يُفرطون في المبالغةِ فيها ، وإمَّا يُفرِّطونَ في التهاجُرِ والخِصـام إلى درجةِ تـوجيهِ شتّى التهمِ للآخرين .

وهم في العلاقةِ مع أولادِهم إما يهملونهم بالكامل ، وإمَّا يشدِّدون عليهم إلى درجةِ سَحْقِ شخصيتِهم .

أرجـو مِن الأزواجِ والزوجـات أن لا يُسيؤوا استِغلالَ القـانونِ فمثـل هـذا مرفوضٌ إسلامياً وهو ما يُوصَفُ بتزويرِ القانونِ .

وقـد أَلّفتُ كِتابـاً تحتَ هذا العُنـوانِ ، وقد استفـدتُ هذا المـوضـوعَ من القرآنِ والأحاديثِ الشريفة ، ومن مصاديقِ سوءِ استغلالِ القانونِ الشرعي أكـلُ الرِّبا بحيلةٍ شرعيةٍ علىٰ هذا النحو وهو : ـ أني أقرضك ألف تومان وأبيعك معها علبة كبريت بمئةِ تومانٍ ، أو أن أقرضك عشرة آلاف تـومانٍ وأبيعـك معها قـطعةً صغيرةً من الحلوىٰ بألفِ تومان .

وهذا تزويرٌ للقانونِ الإسلاميِّ وحيلةٌ شيطانيّة نُسمِّيها حيلةً (شرعية) .

رحِمَ الله مؤسِّسَ الحوزةِ العلميةِ في قُمّ المقدّسةِ المـرحومَ الحـاجَّ الشيخَ عبدَ الكريم اليـزدي ـ رضوانُ الله تعـالى عليه ـ فكـلُّ هذِه الخيـراتِ (العلميةِ) منـه ، نقل ـ رحِمـه الله ـ الحادِثـة التاليـةً ، فقال : ـ جـاءَني أحدُهم وقـد طلَّق زوجتَه ثلاثَ مـرَّاتٍ ، ثم نَدِم على فِعْلتِـه ، وطلب منّي إيجادَ حـلٍّ قبل أن تقـعَ الفضيحةُ ، وأوضح أنـه في حرجٍ ، فلو أرادَ تـزويجها لِشخصٍ « مُحَلّل » أراقَ مـاءَ وجهِ الـزوجِ وزوجتِه المُـطلَّقة ، فتـذكـرتُ أحـدَ المتـديّنين ذوي الـظاهـرِ

(١١) نهج البلاغة / قصار الحكم / الحكمة رقم ٦٧ .

الصالح يُواظِبُ على الصلاةِ في جماعتي في الصفّ الأول ، وقلتُ : لِأُقدِّمْ لـه هـذه الاستِفادَة فـاستدعيتُـه ، وقلتُ له : جـاءَتْكَ نعمـةٌ طيّبة ، يـزوِّجونـك فتاةً جميلةً لليلةٍ واحـدةٍ تُطلِّقهـا في غدِهـاابتِغاءَ تحليلِهـا لزوجِهـا الأَوَّلِ ، فأعـطوه المالَ وأجروا له عقد زواجِه ، وفي غدِ ذلـك اليوم استـدعيتُه لإِجْـراءِ الطلاقِ ، فرفض وقال زوجتي ولن أُطلِّقَهَا ! ! ولم ينفع شيئاً إصرارنا عليه فكان يكرر قـولَه ورَفَضَ وَرَفَض ، حتى ماتتِ الفتاةُ غمّاً وكمداً ولم يطلّقها .

وقـد قال المـرحوم الشيـخ كلمةً قيّمـةً للغايـةِ على المِنبرِ بهـذا الصددِ ، وهي : ـ إن البعض عدولٌ لكِنَّهم أَسوأُ مِنَ الشمر(١٢) .

هذا الرجل عادل (بالمعنى القانوني الحرفي) فلم يرتكب مَعْصِيةً ، فهـو رَفَضَ طلاقَ زوجتِه ، لكِنّه أسوأُ من الشمر ، لكونِه أساءَ استِغلالَ القانونِ .

وهـذا عمل شـديدُ الخـطورةِ ، لكنه مـع الأسفِ شائـعٌ بين ذوي الظاهـرِ المقدَّس ، ولا سِيَّما السيدات ، كأن تكون إحداهن قـد درست في الجامعـةِ ، وتعلّمت بعضَ الاصطلاحاتِ العلميةِ واللغويةِ والنحويـةِ ، أو هي تدرس العلوم الدينية ، فيُصيبهـا الغرور العلمي فـإذا أرادت استِغلالَ الأحكـامِ ، عمدت إلى مخاطبةِ زوجِها بأَنّها تريدُ إكمالَ الدراسةِ فتـرفض القيامَ بـأعمالِ المنـزِل ، فلا يحقُّ له منعها ، أو أمرها بالقيام بأَعمالِ المنزل .

فيا أيّتُها السيّدةُ هذا سوء استِغلالٍ للقـانونِ ، وبِحَسَبِ وصفِ المـرحومِ الشيخ اليزدي فأنتِ عادِلةٌ ، لكنَّكِ أسوأُ من الشمرِ ، لأَنَّكِ بذلك تهدمينَ بيتَـكِ وأُسْرَتِك اليومَ أو غداً .

أَيُّها السيِّدُ « الحزب اللهي » أنت عادِل ! ! لكنَّك أسوأُ من الشمر لكونِـكَ تُشدِّدُ ضغوطَك على أُسرتِك وتُوقِعُها في المفاسدِ تدريجيّـاً ، فتسلب زوجتَكَ أو ابنتَكَ نجابَتَها .

(١٢) المقصود شمر بن أبي ذي الجوشن ـ لعنه الله ـ وهو قاتل الإمام الحسين (سلام الله عليه) .

المحاضرة الحادية والعشرون :-

الفصل العاشر

التوافق وانسجام الأسرة

- المودة
- التمييز القبيح

التوافق الأسري

الفصل العاشر من بحثِنا يتناول موضـوعَ التوافق (الانسجـام) الأُسري ، وفي بـدايتِـه ينبغي لنـا الانتِبـاه على أنَّ من المُحـالِ تحقُّقَ التـوافُق الأَخـلاقي الكاملِ بينَ أفـرادِ الأُسرةِ بين المـرأةِ وزوجِها ، أو الكنّـةِ وحَماتِها ، وبينَ البِنْتِ وأُمِّها ، والابنِ وأبيه .

فـهنـاكَ ـ ولا ريـبَ . اختـلاف فـي الأذواقِ يؤدّي إلـى إيجـادِ بـعضِ الاختِـلافاتِ شِئنـا أم أبينا ، بـل إنَّ هذا الاختـلافَ هـو أمـرٌ طبيعيٌ في الأُسـرةِ ـ على حدٍّ ما يقول أحد كبارِ علماءِ النفس .

وإنّه من الانتِشارِ بحيث إن بعض كبار الفلاسفـةِ قالـوا بأن كـلَّ إنسانٍ هـو نوعٌ مستقِلٌّ بحدٍّ ذاتِه ، وليسَ كـلَّ بني الإنسانِ من نـوعٍ واحدٍ ، وبغضِّ النـظر عن صِحَّـةِ أو عدمِ صِحَّـةِ هذا القـول ، فهـو مهمٌّ للغـايـةِ من وجهـةِ نـظر علم النفس .

وعلينا أَنْ نَفْهم هذِه الحـالة من الاختِـلافِ ، وعلينا معـالجتها فمـا الذي يجب أن نفعله ، لكي نُوجد التوافق الأَخلاقي المطلوب ؟ .

إذا كان التوافُقُ الأخلاقِيُّ بينَ الزوْجينِ بدرجةِ سبعينَ بالمئةِ ، فهذِه حالـةٌ جيِّدةٌ للغايةِ .

وعليهما أن يشكرا الله على هـذِه النعمةِ العـظيمـةِ ، ويـديمـا الحمـدَ لـه ـ تعالى ـ ويلهجا بذكرِ « الحمـد لله ربّ العالمين » حتى إذا كـان بنسبةِ خمسينَ بالمئةِ .

فهي حـالةٌ جيـدة أيضاً ، وإذا تـوفّرت هـذه النسبةُ بين الكنَّـةِ وحماتِهـا ، فعليهما أن يشكرا الله على ذلِك .

وإذا توفرت نسبةُ السبعين بالمئةِ بينَ الابنِ وأبيهِ أو الابنِ وأُمِّـهِ ، أو البنتِ وأُمِّها ، فعليهم أن يشكروا الله كثيراً علىٰ ذلك . ولكنّـا عادةً نغفـل عن أن توفّـر التوافق الأَخلاقي بنسبة مئةٍ بالمئةِ أمرٌ محالٌ ، أو أنّ تُـوفُّره بنسبـةِ سبعين بالمئـةِ هي نِعمةٌ كبرىٰ يمُنّ بها الله ـ تبارك وتعالى ـ علينا .

وحديثنا هو عن كيفيةِ التعـامُلِ مـع نسبةِ الثـلاثين أو الخمسين بالمئـةِ من الاختلاف ؟! .

فهنـاك عامـلان يمكن بهما معـالجة هـذا الاختِلافِ ، نتحـدّث اليومَ عن الأَوّلِ ، ونتحدَّث غداً عن الآخر بمشيئةِ الله ـ تبـارك وتعالى ـ وأَلـطاف بقيةِ الله (عجَّل الله تعالى فرجَه الشريف) .

المودّة :

وهي العامِلُ الأَوَّلُ القـادرُ على إزالةِ الاختِـلافِ ، فإذا سـادت المودةُ بين الـزوجة وزوجهـا ، أو بينها وبين حمـاتهـا ، أو بين الأب وابنِـه والأم وابنتهـا ، محت آثار تلك الثلاثين أو الخمسين بالمئةِ من الاختِلافِ ، وعتّمت عليه ، وقد ورد الكثيـرُ من الأشعارِ يجمـع مضمـونهـا قـولَ النبيِّ الأكـرمِ (صلّى الله عليـه وآله) : ـ « حُبُّك للشيء يُعمي ويُصم »[1] .

فإذا أحببت شخصاً تعاميت عن مساوِيه ، بل ولم تعـد تطيق التحـدّث أو

---

(١) بحار الأنوار ج ٧٧ ص ١٦٥ .

استماع مَن يتحدّث عنها وعمدت بما استطعتَ إلى تسويغِها ودافعتْ عَنْهُ إذا تحدَّث أحدٌ عنها حتى لو كان حديثُه مطابقاً للواقعِ ، بل يُعاتِبُ نفسَه إذا حدّثته بمثلِ ذلِك ؛ يقول الشاعر العربيّ : -

عين الرضا عن كل عيب كليلة وعين السخط تبدي المساويا

في قصَّةِ ليلىٰ والمجنونِ ـ وردتْ حادثةٌ تعبِّرُ عن حقيقةٍ موجودةٍ في الإنسانِ بغضِّ النظرِ عن صِحَّةِ القصةِ أو أُسطورِيتها ـ فقد نقلوا أنَّ ليلىٰ كانت قد أعدّت طعاماً للإطعام لِنَذْرٍ كان عليها ، فأرسلَ المجنونُ وعاءَهُ بيدِ إحدىٰ صديقاتِها لِتجلبَ له من طعامِ نَذْرِها .

وعندما أعطوها الوعاءَ أخبروها أنه للمجنونِ أَلقته على الأرضِ وهشَّمته ، فنقلوا له خبرَ ما فعلتْه بوعائِهِ ، فقال بيتاً من الشعر استدَلَّ فيه على أنَّ ما فعلتْه هو دليلُ حبِّها لهُ ، وإلاَّ لمَا فعلتْ ما فعلتْه !! .

أي أنه لم يقبل أنها ارتكبتْ عملاً سَيِّئاً ، ولذا عمد إلى تسويغِه .

الزوجة التي تَوَدُّ زوجَها تُدافِعُ عنه إذا تحدَّث أحدٌ عن مساوِيهِ ، ولا تطيق أنْ تسمعَ حديثَه ، لكِنَّها لا تفعلْ مثل ذلِك تجاهَ أحاديثَ مماثِلةٍ تتعلَّقُ بالجيرانِ أو حتى مساوي أخِيها وأرحامِها .

وقد اطَّلعتُ علىٰ الكثيرِ من الحالاتِ لِزوجاتٍ كانت إحداهُنّ تشكر الله ـ تعالى ـ إذا عنَّفها زوجُها ، وتعتبر تعنيفَه دليلاً على حُبِّهِ لها . وتشيرُ إلىٰ أنَّه لا يفعلُ مثلَ ذلِك مع أُخْتِه والنساء الأُخريات ، فتعنيفُه لها بالذاتِ دليلٌ علىٰ حبِّهِ الذي يَدْفعه للسعي من أجلِ تربيتها .

ومن الأمور التي يَجدر بنا جميعاً الانتباهُ لها أنّ للكلامِ تأثيراً كبيراً في تعزيزِ المودّةِ أو في تدميرِها ، فهو مرّةً يكون مثل الخالِ على الوجهِ الصبيحِ ، وتارةً مثل الفلفلِ الأسودِ الذي يُحرِق الفَمَ ، كما يصِفُ الشاعِرُ الإيراني : -

حبةُ الفلفل سوداء كذا لون خال وجه الحسان

وكـلاهمـا حـارقـان ، ولكن أين هـذا من ذاك[٢]

فمرةً يكون تأثير كلمةِ شكرٍ واحدةٍ للزوجةِ كتـأثيرِ الخـالِ في زيادةِ حُسنِ الوجهِ الحَسَنِ فتعزِّز هذِه الكلِمةَ المودَّة في القلبِ .

وعكس هذا التأثيـرِ يتركُـه التعنيفُ والكلماتُ الجـارحةُ ، فتحـرق المودَّة مثلما يفعل الفلفل الأسودُ بالفم .

وقد تكون كلمة صغيرة كبيرةَ التأثيرِ في تدميرِ المودّة .

ولا أعتقد أنَّ الثواباتِ العظيمةَ التي يُحدِّدُها الإسلامُ لطاعةِ المرأةِ لزوجِها أو لحسن تعامله معها استحقاقية ، بـل إنّ الشارعَ المقـدَّس أرادَ منها الحصـولَ على أمورٍ أُخرىٰ ، فمثلاً يُعلِن النبيُّ الأكرمُ (صلّى الله عليه وآله) أنَّ مَن عَرَفَ حقَّ أميـرِ المؤمنين (عليه السـلام) وأدّى واجبـاتِـه ، واجتنبَ المعـاصِيَ - وإذا ارتكبَها تابَ عنهـا - ، وأنَّ الرجـلَ الذي رعىٰ حقـوقَ زوجتِه والمـرأة التي رعتْ حقوقَ زوجِها ، تُفتـح لهم أبواب الجنَّـة كافّـة[٣] ، ويصلون إلىٰ مقامِ الأنبيـاءِ والأوصيـاءِ مثلما يقـول القرآن الكـريم أنَّ بعضَ الناسِ يُحشـرون مع الـرسولِ الأعظمِ والأئمةِ الطاهرين : - ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ والصـدِّيقِينَ وَالـشُّهَـدَاءِ وَالـصَّـالِحِينَ وَحَـسُنَ أُوْلَئِـكَ رَفِيقاً** ﴾[٤] .

فمِثْـلُ هذا يـدخُلُ الجنَّـةَ مِن أيِّ بابٍ شـاءَ ، وهـذا مقـامٌ سـامٍ ، وليس استحقاقياً بمعنىٰ أن الإنسانَ لا يستحِقُّ هذِه الثـواباتِ ، بـل إنها أشبـه بالـطُعم الذي تُنْثَر حبوبُه للحصولِ على الطيرِ ، أي أنَّ هذِهِ الثواباتِ تُعطىٰ مِن أجلِ أنْ تكونَ أجواءُ البيتِ دافئةً (بالمودّة) .

---

(٢) ترجمة نثرية لبيت شعر بالفارسية .

(٣) راجـع وسـائـل الشيعـة ج ١٤ ص ١١٥ ، ص ١١٦ ، ص ١١٩ ، ص ١٢١ ، ص ١٢٢ ، ص ١٢٣ ، وغيرها .

(٤) سورة النساء / ٦٩ .

نقرأُ في الأحاديثِ الشريفةِ : ـ « ما مِن امرأةٍ تَسقِي زوجَهـا شُربـةً من ماءٍ إلَّا كان خيراً لها مِن عِبادةِ سَنَةٍ صيامِ نهارِها وقيامِ ليلِها »(٥) .

وواضـحٌ أن عملية سقي المـاءِ بحدِّ ذاتِهـا لا تستحق هذا الثـوابَ ، لكِنَّه يُعطىٰ لِجعلِ الزوجةِ تَرعىٰ زوجِها ، كما ورد أَنَّ الكادَّ على عيالِه كالمجاهدِ في سبيلِ الله(٦) .

وهذا المقام ليس استحقـاقِيّاً بـل « توسُّلِيّـاً » يُرادُ منـه جعلُ أجـواءِ البيتِ دافئةً .

وفي المقابل فإنَّ الأحاديثَ الشـريفةَ تُحـدِّدُ إثْماً عـظيماً لبـذاءةِ اللسانِ ، وهو أيضاً بعنوانٍ ثانويٍّ وليس استحقاقياً .

ويؤكـد الرسـول الأعظمُ (صلّى الله عليـه وآله) أَنَّ أولَ الـداخِلينَ للنـارِ المرأة التي تُؤْذِي زوجَها ـ ولـو بسلاطـةِ اللسانِ والكلمـات الجارحـةِ ـ والرجـل الذي يفعلُ مِثْلَ ذلك(٧) .

وهذا الجزاءُ الأليم هو للحيلولة دون انعِدامِ المودّةِ الذي يؤدِّي إلى برودةِ أجواءِ البيتِ ، في حين أَنَّ وجودَ المودّةِ يعني وجودَ الرفاهيةِ والاستِقرار .

وكثيرةً هِي الأحاديثُ الشـريفةُ الـواردةُ بهذِه المضـامينِ التي ينقلُها الحـرُّ العـامِلي في كتاب وسـائل الشيعـة ، وأكثر منهـا مـا جمعـه العـلاّمـة المجلِسي ـ رضوانُ الله عليه ـ وغيرُه .

وبعضهـا تؤكّد أن الصـابـرة علىٰ أذىٰ زوجهـا والصـابـر على أذىٰ زوجتِـه يُحشرانِ مع نبيِّ الله أيوب (عليه السلام) الذي صبر على البلاء .

---

(٥) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١٢٣ .

(٦) تقدم مصدره .

(٧) ورد ذلك ضمن حديث طويل ينقله الحر العاملي في كتاب وسائل الشيعة ج ١٤ ص١١٦ .

وواضحٌ أنَّ هذا المَقام ليس استحقاقياً ، بل هو من أجلِ منحِ الدفءِ لجوِّ الأُسرةِ .

ولذا يجب أن تسود المودّة أجواءَ البيتِ ، وعلينا الاهتِمام بما مِن شأنِه الحيلولة دون سلبِها منه وأرجوكم أن تراقبوا أقوالكم في البيت ، فهي التي تعزِّزُ وتجلُب المودةَ ، وهي التي تدمِّرها .

● التمييز القبيح :

من الممارساتِ التي تدمر المحبةَ ، ويجبُ علينا اجتنابُها هو التمييز بين أفرادِ الأُسرةِ بين صِهْرينِ أو بِنتين أو ابنين ، كأن يخصص نصيباً أكبر من الإرث بأحدِ ولديهِ ونصيباً أقلَّ بالثاني ، أو يحرمه من الإرثِ أصلاً ، أو يحرم ابنته منه ـ والعياذُ بالله ـ لكونِه لا يُحِبُّها ثم يُسَوِّغُ عملَه بادِّعاءاتٍ جوفاءَ من قبيلِ أنَّها قد تسلَّمتْ بالفعل نصيبِها ، حِينَ أُعطاها جهازَ الزواجِ .

ومثل هذا العمل أشدُّ إحراقاً مِن حبَّةِ الفلفلِ الأُسودِ التي أشرت إليها ، يقول رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله) : ـ « إعدِلُوا بينَ أولادِكُم كما تُحِبُّون أن يعدِلُوا في البِرِّ واللُّطفِ »(٨) .

وقد ترحم مِراراً على الوالدين الذين يُعِينانِ أولادَهُما على البِرِّ ، ولعنَ اللذينَ يَضْطرانهم للعُقوقِ .

إنّ الولد عِندما يرىٰ أمَّهُ مختلِفةً مع كنَّتِها يُعَنِّفها ـ شاءَ أم أبىٰ ـ ولا يحِقُّ له ذلك طبعاً ، فيصبح عاقّاً ، وعندها يخسر الدنيا والآخرة .

وعندما يرىٰ الابن والِدُهُ يفرق في التعامُلِ بينَه وبينَ أخيهِ ، وتشاهد

---

(٨) سفينة البحار ج ٢ ص ٦٨٤ وهناك أحاديث مماثلة في المجلد الخامس عشر من الوسائل ، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) عن الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) أنه قال : « رحم الله والدين أعانا ولدهما على برّهما » المحجة البيضاء ج ٣ ص ٤٤٣ .

البنتُ أباها أو والِديها يُفرقانِ في التعامل بينهَا وبين أخيها، أو بين زوجها وزوجِ أختِها ، تتأذىٰ وتُصيبيها عقدةٌ نفسية وإساءةُ الظنِّ بأُمِّها وأبيها .

وويـل لها عنـدئذٍ ، فهي عنـدئذٍ تُعـرِضُ عنهما ـ والعيـاذ بـالله ـ وتُصْبِـحُ عاقّةً ، ولا يحق لها ذلك ولا يحق لها أن تغتابَهما .

علىٰ الشبابِ الالتفات إلى وجوبِ احترامِ الوالِدينِ ، حتى لو كانـا أُميِّين جـاهِلينِ ، وكان الأولادُ متعلمين مثقفين ، فـلا يجـوزُ لهم الـوقـوفُ بـوجههمـا وتعنيفهما .

وهذا ما يؤكِّدُهُ القرآنُ الكريمُ بشِدَّةٍ : ـ ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ۞ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾[9] .

فقـد قرن الإحسـانَ للوالـدين بتـوحيـدِ الله في العِبـادةِ ، ونهىٰ عن الـردِّ عليهما ، حتى إذا أساءا إليكَ .

روي عن الإمامِ الصادِق (عليه السلام) أنّه قال في تفسيـرِ الآيةِ : ـ« إنَّ أضْجـراك فلا تَقُـلْ لَهُما أُفٍّ ، ولا تَنْهَـرهُما إنَّ ضَـرَبَـاكَ ، و﴿ قـل لهمـا قـولاً كريماً ﴾ (قال) (عليه السلام) : ـ إن ضَرَباكَ ، فقل لهمـا « غَفَرَ الله لكمـا » فذلِك مِنكَ قولٌ كريم »[10] .

فلا يمكن (يجوز) تحدّي الوالِـدينِ ، وإذا عقَّهُما الشـابُّ كانت عـاقبتُه جهنَّمَ يلحقه فيها والِـداهُ حيث (تلعنهما) المـلائكةُ يـومَ القِيامـة ، وتخاطبهمـا بأنكما فعلتما ما اضطرّ هذا الشـابَّ إلىٰ نهرِكمـا ، فأنت أيَّتهـا الأُمُّ لم تنسجمي مع زوجتِه فأجبرتِهِ علىٰ تعنيفِكِ .

---

(٩) سورة الإسراء / ٢٤ .

(١٠) سفينة البحارج ٢ ص ٦٨٦ .

وأنت أيّها الأب تعاملت معه بأخلاقٍ سَيِّئةٍ ، فاضطرَّ لِتحدِّيك ، فهـو عاقٌّ وأَنتَ الذي أجبرتَه على العقوقِ ، فمصيرُكما مَعاً جهنّم .

وهـذا هـو معنىٰ الحـديثِ النبـويّ المتقـدِّم ، فهـو يعني لعنــة الله على الـوالدين اللذين يُجبرانِ أولادَهمـا على العقوقِ ، مثلمـا أنّ اللعنـةَ على الأولادِ العاقِّينَ ـ ذكوراً وإناثاً ـ .

أرجو من الآباءِ أن لا يفرقوا في تعـامُلِهم بينَ أولادِهم ومن الأمهات أن لا يفرقن بينَ الذكر والأنثىٰ من أولادِهم .

(ومع الأسف) نُشاهِدُ أحياناً والدةً جاهلةً تُبدي حبّاً شدِيداً لابنتِها وكـأنّها تقول : إنّها تُحِبُّها أكثر من أخِيهـا ، وواضحٌ أنّ الثمـرةَ الأولىٰ لهذا التمييـزِ هي سَلْبُ مودَّةِ الأُمِّ من قَلْبِ ابنِها وهذا ذَنْبٌ عَظِيمٌ وأَعْـظَمُ مِنه أن يُثيـر اختلافـاً بينَ البنتِ وأَخِيها .

وإذا وقـع مثـل هـذا الاختِـلافِ بين أخــوينِ أو أُخْتينِ أو بين أخٍ وأُختِـه صعبتْ إزالتُه ، وكلّما طال أمده ازدَاد إِثْمُ طرفيهِ ووالِديهما .

الأبُ الذي يُميز في الإرثِ بينَ حِصصِ أولادِه ـ تقليلاً وزيادةً أو حرماناً ـ يمـوت وتموتُ الأم ، ولكن الاختـلاف بين أولادِهمـا ينشب وينتقـل من جيـلٍ لآخَرَ تدريجيّاً ، ونعرف الكثير من مصاديقِ هذه الحالة .

مَنْ هو المقصر في كـلّ هذه المصـاديق من قطع الـرحم والتخاصم وهي من أعظم الذنوب ؟! .

إنّه الأبُ الجاهِلُ الذي فـرَّق في تعامُلِه بينَ ولـديهِ ، والأُمُّ الجـاهلةُ التي مَيَّزت في تعامُلِها بينَ بِنْتَيها ، وهذا كفرٌ عند « أهل القلوب » .

لقـد بيَّن القـرآنُ الكـريمُ أحكـامَ الإرثِ وأَنّ للذكـورِ حِصصـاً متسـاويـةً وللإناثِ حصصاً متساويةً حصة كلٍّ مِنهن نصف حِصّةِ الذكر .

فالذي يرفض هذا التقسيم ، ويفرق بين حِصص أبنائِهِ ، أو بينَ حصص بناتِهِ إنما يتحدّىٰ الله ـ تبارك وتعالى ـ وهذا كفرٌ عندَ أصحابِ القلوب .

أَيَّتُها السيِّدة ! إذا كنتِ تُحبِّين ابنتَكِ ولا تريـدين البؤس لها فلمـاذا تهينين صِهْرك وتحترمين أصهارك الآخرين أكثر منه ؟! .

وإذا كنت عاقلةً ، فلماذا تُعَيِّرين صهرك هـذا بالإشـارة إلى وضع صِهْـرك الآخر ؟! .

وإذا كنتَ حكيماً أيُّها الأب ، فلماذا تُعَيِّرُ ولدَك هذا بـالإشارةِ إلىٰ نَجـاحِ أخِيهِ ، أو تفعل مثل ذلك مع بناتِك ؟! .

إنَّ مثـلَ هذِه الأعمـالِ أسوأُ مِنَ القتْـل . فالـذين يَئِدُون أولادَهُم يمـوتُ الأطفالُ ويذهبون إلىٰ الجنة .

أمَّا هذِه الأعمالُ ، فهي تؤدِّي إلى قتلِ أرواحِ الأولادِ .

فراقبوا أقوالكم وأفعالكم وتلك « الأمـور الصغيرة الكبيـرة » التي سبق أن تحدثتُ عنها ، فعدم احترامِكم ـ مثلاً ـ لِصِهركم الفلاني بِحُضُورِ الصِّهْـر الآخـر يُؤدِّي إلى قلبِ ظهرِ المِجنِّ لابنتِكم (زوجتِه) وجلبِ الشقاءِ لها .

أحيـاناً يُعيِّـرُ الأبُ ابنَه بنجـاحِ أخيهِ ، فيقـول له : ـ أُنـظر كم هو ذكي ! وكيف يدرسُ بصورةٍ جيِّدةٍ ! وكم هو صالِح ! .

وانظُرْ نفسَك وكم أنت خائب !! .

ونفس هذا القولِ يسبِّب للابنِ عقدةً نفسيةً تدفعُـه إلىٰ الإجرامِ والخيـانةِ والمقصِّر هو أنت أيّها الأبُ بسببِ فعلِك هذا .

وأحياناً يقـدم الأب جِهازاً تـأثيثياً أضخم لـزواجِ ابنتِه هـذِه لكونِ زوجِهـا ثَـرِيّاً ، ويُعـطي أقلَّ منـه لتلكَ لكونِ زوجِهـا فقيراً ، وهـو لا يدري أيـةَ جريمـةٍ يرتكبها بفعلِه هذا !! .

أيها السادة وأيتُها السيدات إنَّ التمييزَ وعدمَ العدالةِ في التعامل لا يخلو أبداً من جلب المصائب .

فعلىٰ الأمهاتِ الانتباهُ علىٰ ضرورةِ العدالةِ في رعاية ومداعبةِ الأطفالِ ، فإذا قَبَّلَتْ إحداهُنَّ ابنَها ، فعليها أن تُقبِّل ابنتَها أيضاً .

إذا كنتم تُحِبُّونَ أحدَ أولادِكم أكثرَ من البقيةِ ، وإذا كان أحدُهم ذا لِسانٍ محبَّبٍ ، فاحذَروا من أن تحوّلوه إلى مجرمٍ وبائسٍ .

اهتموا بالبنتِ بنفسِ مقدارِ اهتمامِكم بالابن عندما يستقبلانكم حِينَ دخولِكم الدارَ ، وخذوهما معاً إلى أحضانِكم وأجلِسُوهما معاً في حِجركم وفي خِضَمِّ ذلك لا تنسَوا الزوجةَ كما قلتُ سابقاً . أوصيكم باجتِنابِ كُلِّ تمييزٍ بين أفرادِ الأُسرةِ ، فهو يدمِّرُ أساسَها .

أما إذا سادت المحبَّةُ والمودةُ ، فعندها تسقط كافة الأفعال وتزول نسبةُ الثلاثِين بالمئةِ من الاختِلافاتِ تلك ، ويزول الاختِلاف بين الزوجةِ وحَماتِها ، وبينَها وبين زوجِها ، فلا صراخ ولا استغاثات ولا تعنيف ولا كلمات جارحة بين أفرادِ الأُسرةِ .

وطوبىٰ للأُسرةِ التي تسودُ فيها المودّة .

عليكما ـ أيتُها الكَنَّة وأيتها الحماة ـ اللتين تسود بينكما الرأفةُ والمودّةُ أن تشكرا الله ، فهو يحِبكما ، وعليكما أيها الزوجانِ المتحابّانِ أن تشكرا الله كثيراً علىٰ ذلك وتسألاهُ أن يُضاعِفَ هذِه المحبة بينكما ، فأنتما في أعظمِ نعمةٍ ورحمةُ الله وكَرَمُه وفضلُه وألطافُه تَفْعَم بيتَكما .

المحاضرة الثانية والعشرون :

الفصل العاشر

العفو والصفح

العفو والصفح

وهو موضوع حديثِنا لهذا اليـوم ، وينبغي الاهتمامُ بـهِ ، وأرجو أن يجبـر فقدان المودةِ في الأُسرة .

وهـذه الكلمة (العفـو والصفح) كلمـة مقدّسـة يشاهـد الإنسانُ ـ حقّـاً ـ الأنوارَ ساطعةً حولهـا عندمـا يتصوَّرهـا ، وهي محببة ومقـدّسةٌ حتَّىٰ إنّهـا تقترِنُ بكلمةِ « المودة » .

والقرآن الكريم يؤكّد كثيراً العَفْوَ ، ويقسمه ثلاثةَ أقسـامٍ أو ثلاثَ مـراتب علىٰ وفق رأيِ الفلاسفةِ القائلين بـ « التشكيك » .

فمرتبته الأولى هي أن يواجه الإنسانُ الإساءةَ لـه ، فيتجاوز عنهـا بدافـعٍ إلهيٍّ أو إنساني : ـ ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[1] .

الآيـة تأمـرُ المسلِمَ بالتحلي بـأسلوبِ وملكـةِ العفـو ، وأن يـأمـر عِيـالَـه وأصدقاءَهُ بها .

فالمرتبة الأولى هي التجاوزُ عن السيئات .

أما المرتبة الثانية ـ وهي أسمىٰ من الأولىٰ وهي ما يريده القـرآن منا ـ فهي

(١) سورة الأعراف / ١٩٩ .

الـوصول إلىٰ مقـامٍ لا يُشاهِـدُ الإنسانُ فيـهِ الإساءةَ لـه أصلاً بمعنىٰ أن يتكـامل ويتحلّىٰ بالعفوِ إلىٰ درجةٍ أنَّه لا يرىٰ العمل السِّيء الصادر ضده عن زوجتِـه لكي يعفو عنه .

وهـذا ما يُسمىٰ بـالصفح ، يقـول ـ تعالى ـ : ﴿ **وَلْيَعْفُـوا وَلْيَصْفَحُـوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ** ﴾(٢) .

فعلىٰ الإنسانِ وعلىٰ المسلمِ التحلّي بالعفو ، ثم بالصفحِ وكرمِ النفسِ وكبرها ، فيتجاهل الإساءة إليهِ .

فـالـذين يعملون علىٰ وفقِ هـذا المنهـج في الـدنيـا يتعــامـل معهم ربُّ العالمين بالعفوِ والذين يصفحون في الدُّنيا ، ولا يُبْدُون أثراً علىٰ الإساءة لهم ، لا يبدي الله سيئآتهم في الآخرة .

وقد سمِعْتُم جميعاً أنَّ البعضَ يدخلون الجنَّةَ دون حساب وهذا هـو معنىٰ دخولهم دون حساب ، فمرةً يُحاسب ويشمله العفو ومرةً لا يُحاسب أصلاً .

القرآنُ الكريم يخاطِبُك بأنَّكَ إذا أردتَ عفو الله عنك يومَ القيامةِ ، فعليك بـالتحلّي بالعفـوِ في الدنيـا ، في بيتِك ، وإذا أردت أن يـدخلك الله الجنَّةَ دون حِسابٍ ، فلا تفتح حِساباً وكتاباً لأحدٍ في الدُّنيا . فـلا تُعَيِّرْ زوجتَـك بسيئآتِهـا ، ولا تفعل هي مثلَ ذلِك ولا تتأذّىٰ أصـلاً ، يقولُ أميـرُ المؤمنين (عليه السـلام) في ذاك الشعر المنسوب له : ـ

أمُـرُّ عــلىٰ الـلئـيـمِ يـسُـبُّـنـي   فـقـلتُ لـه إنــه لا يـعـنـيــنـي

ويقول ـ تعالى ـ في آخـرِ سورةِ الفُـرقان في خِصـالِ المؤمِن : ـ ﴿ **وإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً** ﴾(٣) .

---

(٢) سورة النور / ٢٢ .
(٣) سورة الفرقان / ٦٣ .

فتعامله مع المُسيئينَ الجاهِلَين هو عدمُ الانفِعالِ أصلاً ، فعندما يدخُلُ بيتَه ، ويرىٰ وضعَهُ ووضعَ الأطفالِ غيرَ مناسبٍ ووضعَ الزوجةِ لا ينسَجِمُ مع المرأةِ التي تهتمُّ برعايةِ واجباتِها الزوجية يَصْفَحُ عن ذلِك أي يَغُضُّ الطرفَ عنه ، وهذا معنىٰ الصفح .

وعندما ترىٰ المرأةُ زوجَها لا يقومُ بواجباتِه الزوجيةِ تصفحُ عنه .

وهذِه الصفة تكرر ذكرها في آخر سورة الفرقان بتعبير آخر حيث يقول : ـ ﴿ وإذَا مَرُّوا باللّغو مَرُّوا كِرَاماً ﴾(٤) .

ونستفيدُ من هاتين الآيتين أن علىٰ المؤمنة والمؤمن أن يتحليا بالعفوِ بل بالصفحِ أي : أَنْ يصِلا إلى المقامِ الذي يتغاضَيا فيه عن الإساءةِ مثلما أن صفعة الطفل الذي لا يتجاوز عمره العام الواحد لا تُغْضِبكم ، وتَغُضّون الطرفَ عنها أساساً .

وعلى الكريم أن يكون متحلياً بهذِه الصفةِ حسبما يَنُصُّ عليهِ القرآن الكريم ، وإذا أرادَ الحصولَ على عفوِ الله وصفحِه ودخولِ الجنّةِ دونَ حسابٍ يومَ القيامةِ ، فعليه التحلّي بهذِه الصفة .

وفي هذه الآية الكريمة دلالةٌ لطيفة علىٰ أن الذي لا يتحلَّىٰ بالعفوِ والصفحِ في الدُّنيا ، ويُعيِّرُ الآخرينَ بسيئاتِهِم لن ينالَ عفوَ الله وصَفْحَهُ عنهُ يومَ القِيامةِ : ـ ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ﴾(٥) .

هذه هي المرتبة الثانية ، ولكنّ الإسلامَ والقرآن يريدانِ منّا شيئاً آخرَ خاصّةً منكم أيها المؤمنون والمؤمنات بحكم التِصاقِكُم بالموعظةِ والعبادةِ ، وبحكمِ كونكم تحظون بكرامةِ التشيُّع .

---

(٤) سورة الفرقان / ٧٢ .
(٥) سورة النور / ٢٢ .

فما يريدانِهُ منكم هو المرتبةُ الثالثةُ للعفوِ ، يقول ـ تعالى ـ : ﴿ وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾(٦) .

وقد تكرر هذا المعنى في آياتٍ أُخرى : ـ ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(٧) فلو أساءَ لك أحد فادفعْ إساءَتَهُ بأفضلِ صورةٍ من الإحسانِ ، وهذا ما يؤكِّدُه الرسولُ الأعظمُ (صلّى الله عليه وآله) بقوله : ـ « أحسن إلى مَنْ أساء إليك »(٨) .

هذه الصفة ورد حثُّنا عليها في سورةِ يوسُفَ هذهِ السورة العجيبة التي فيها « أحسن القصص » بحسبِ الوصفِ القرآنيّ لها وهي حقّاً سورةٌ تَضُمُّ عالماً من الأَخلاقِ بحيث لو عمل بها الإنسانُ ، لأَصبحَ كامِلاً بكلِّ معنىٰ الكلِمة .

ففي هذِه السورةِ نكات عجيبة إحداها تتعلَّقُ بموضوعِ حديثِنا ، فهي تتحدث عن شدة الأذىٰ الذي ألحقته زليخا بيوسف ، ثم ألقته في السِّجْنِ عِدّةَ أعوامٍ ، حتى صدر الأمر بإِطلاقِ سراحِهِ ، لكنه لم يخرج وقال للرسول اذهب وقل للملك : ـ ﴿ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاتي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾(٩) .

ولماذا آذته زُليخا بكلِّ ذلِك الأذىٰ ؟ .

ولماذا عشقته ؟ .

ثم شكّل الملك هيئةً (للمحاكمة) استدعت أُولئِكَ النسوةَ واعترفْنَ ببراءةِ يوسُفَ ، وعندها قالت زليخا : ـ ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾(١٠) .

---

(٦) سورة القصص / ٥٤ .
(٧) سورة المؤمنون / ٩٦ .
(٨) بحار الأنوار ج ٧٧ ص ١٧١ .
(٩) سورة يوسف / ٥٠ .
(١٠) سورة يوسف / ٥١ .

فلما خرج يوسف من السجن كانت الجملةُ الأُولىٰ التي قالها هي : ـ ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾[11] .

أي : أنه بيّن أن هدفه من إجبارِ النسوةِ على الاعترافِ وتبرئةِ نفسِه هو أنه كان سيُصبح « عزيزَ مصر » .

وهذا ما لا يتلاءَمُ مع مثل تلك التهمة .

ومعنىٰ الآية هو أنّ يوسف لم يكن ليكشف عن كل تلك الإساءاتِ والأذىٰ والضربات والسجن لعشـرةِ أعوامٍ والتي وجَّهتْها له زليخا والنسوة لـولا أن أمراً أكبر أهميَّةً اقتضىٰ الكَشْفَ .

وهذا هو الصفح الذي يريده مِنا القرآن الكريم .

ثم يواصل القرآن حديثَه حتىٰ يصِلَ إلى مجيء إخوةِ يوسُفَ إليه ومعرفتهم لأخيهم وانكشاف فضيحتِهم وعندها ولكيلا يخجلوا قال لهم : ـ ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ﴾[12] .

وقد ورد في ذيلِ هذِه الآية الكريمة وضمن الأحاديث الشريفة المتحدثة عن قصة يوسف ، أنه (عليه السلام) أقام مأدبة لإخوانه ، وفيها عرفهم نفسه ، وتحدث معهم بلغة المودّة والعفو والصفح ، فقد لاحظ الأذىٰ بادياً على وجوههم ، إذْ تذكروا ما ارتكبوه ضد أخيهم ـ يوسف ـ ، فتحدث لهم مشيراً إلى أن ما قاموا به ضده كان على أي حالٍ سبباً لوصوله إلى مقام « عزيز مصر » ، ولو لم يلقوه في الجبّ لاضطر اليوم إلى المجيء من كنعان إلى مصر من أجل حفنة من الحنطة .

فطيّب خواطرهم ، بإشارته إلى أنهم بالتالي كانوا سبباً لأن يصبح هو عزيز

(١١) سورة يوسف / ٥٢ .
(١٢) سورة يوسف / ٩٢ .

مصر ، هذا هو الموقف الأول(١٣) .

أما الموقف الثاني ، فهو عندما أتاهُ إخوتُهُ مَعَ والِدَيهِ اللذينِ أجلسَهُما على العرشِ ، وبالغ في إكرامِهما وإكرامِ إخوَتِه ، خاطبهم كما ينقل القرآن الكريم : ﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللهُ آمِنِينَ ﴾(١٤) . وهذا الموقف هو صفح .

أمَّا الموقف الثالث الذي يعبّر عن المرتبةِ الثالثةِ وهي الأسمىٰ ، فهو الذي يتَّضِحُ منه كمالُ يوسف ، فعندما أَجلَسَ أَباهُ على العرش ـ وكان يُوسُف علىٰ ما يبدو قد أعدَّ خيمةً وعرشاً خارجَ مصر لاستِقبالِ أبيهِ وإخوَتهِ ـ أَخبرَهُ أَنَّ هذا هو تأويلُ رؤياهُ ، وهذا هو المقامُ الذي وصلَ اليه : ـ ﴿ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾(١٥) .

وكأنه بذلِك يطلُب من أبيهِ أن لا يتأذىٰ مِن إخوتِه ، فما فعلوه من إلقائِه في الجبِّ هو من فعل الشيطان ، وما فعلوه كان سبباً لِوُصولي ، ووصولك إلى هذا المَقام .

ولِمثلِ صاحبِ هذا الموقفِ يُقال « إنسانٌ كاملٌ » .

ولا تتوهّموا أَنَّ القرآن يريد مجرّد سردِ القصصِ ، بل يريد ـ في أُسلُوبِ القِصّةِ ـ أَنْ يقولَ : ـ أَيُّها الشيعيُّ وأيها المسلِمُ عليك التحلّي بهذه الصفات ، بالعفو والصفح ودَرْءِ السيِّئةِ بالحسنةِ وتحويلِ السيئة إلىٰ حَسَنةٍ .

وهناك آية كريمة يفسِّرها المفسّرون بمعنى ، ويعرض لها أصحاب

---

(١٣) راجع فيما يتعلق بالأحاديث الشريفة الواردة بشأن قصة يوسف ص ١٧٩ وما بعدها من كتاب « النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين » للسيد نعمة الله الجزائري من تلامذة العلاّمة المجلسي وراجع كذلك تفسير البرهان للعلامة البحراني في ذيل الآية ٩٢ من سورة يوسف .

(١٤) سورة يوسف / ٩٩ .

(١٥) سورة يوسف / ١٠٠ .

القلوبِ الحيّةِ والإقبالِ وعلماءُ الأخلاق معنىً آخر ، وهي : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾(١٦) .

فالتفسير الأوّل (الظاهريّ) هو ـ مثلاً ـ لو قطع أحدٌ يدَكَ اقتصّ منه الحاكم الشرعي بمثلِ ذلِك .

أما التفسير الثاني ، فهو : ـ أنه لو أساءَ إليكَ أحدٌ ، وقابلته بالإساءةِ المماثلةِ ، فكلاكما مذنبان فمجازاة رمي الحجر برمي مثله هو معصية مثل المعصية الأولى(١٧) .

وأتصور أنّ المواظبين على مجالِسِ الوعظِ يعتبرون التفسيرَ الثاني أفضلَ كثيراً من الأوّل ، وأرجو أن تستسيغوه أنتم أيضاً ، فهو أفضلُ من التفسيرِ الأول ، وعملكم على وفقِه فيما يأتي .

وأطلب منكم أن تعملوا علىٰ وفقِ ما يرضاهُ لكُم الله ـ تعالى ـ فهو يرضىٰ عمل الذين : ـ ﴿ وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾(١٧) فإذا شتمك أحدٌ فلا تشتمه : ـ ﴿ وإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾(١٨) .

لقد عاش النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) ثلاثة عشر عاماً بعد البعثةِ في مكّة ، لكنَّ أهلَها السفهاءَ لم يفسحوا له المجال لهداية أكثرَ من أربعينَ أو

---

(١٦) سورة الشورى / ٤٠ .

(١٧) لعلّ الآية الكريمة ـ حتى وفق التفسير الأول ـ لا تتعارض مع ما ندب إليه القرآن من السنة في مواقع أخرى من التعامل بالعفو والصفح والعدل والإحسان وعدم نسيان الفضل بين أعضاء المجتمع الإسلامي ، فالآية تشير إلى حكم القصاص كإجراء ردعي يحفظ النظام الاجتماعي من الانهيار بسبب التجاوزات ويلبي الحاجة الفطرية لدى الإنسان للعدل والاقتصاص ممن ظلمه وليكون اتخاذه لقرار العفو والصفح من موقع القدرة والتنازل الطوعي عن حقه بحكم أنه « كان منصوراً شرعاً » وليس عفواً مضطراً إليه ومجبراً عليه ، فمثل العفو والصفح الإجباري لا يساهم في تكاملية أخلاقِهِ ولا يعبّر عنها .

(١٨) سورة الفرقان / ٦٣ .

خمسينَ شخصاً من أهلِها ، ثم إنّه فتحها دون إراقةِ دماءٍ في السنةِ الثامنةِ للهجرةِ وبجيش يربو تَعدادُه علىٰ الاثني عَشَر ألفاً .

فهل مثل يوم الفتحِ وهو يوم المرحمة بعدَ كلِّ تلك الحروبِ والقتلِ والتقدّم والانتصار ؟! .

من الطبيعي أن يُحِس مَنْ في موقعِه (صلّى الله عليه وآله) بلذّةٍ كبيرةٍ في مثل هذا اليومِ حيث إنّه جاءَ بعد عشرينَ عاماً من تحمل أشكالِ الصعابِ وخوضِ أكثر من أربعٍ وسبعين غزوةً ومعركةً من أجلِ تطهيرِ بيتِ الله من لوثِ الأصنام .

في بدايةِ دخولِه مكّة ، توجّه إلى البيتِ الحرامِ ، وحطّم بيدي أميرِ المؤمنين (٣٦٠) صنماً وطهَّرهُ منها ، ثم نظر إلى نفس بابِ البيتِ المحرم ـ الذي مازالَ موجوداً وأسألُ الله أن يرزقنا جميعاً زيارَتَهُ في كلِّ عامٍ ، ففيهِ لذَّة عظيمة ففي النظرِ إليهِ لذات ولذات لأهل القلوب الحية .

فلو كان الإنسان من هؤلاء ، لَوجَدَ أن لبيت الله جاذبيةً مثلما للمغناطيس وأية جاذبيةٍ يُحِسُّها وهو يجلس في زاويةٍ مِنَ المسجِد ينظُر لَهُ خاصّةً في الأسحارِ ـ ، في هذا المسجد وقف (صلّى الله عليه وآله) واستلمَ حلقة الكعبةَ ، وقرأ دُعاءَ الوحدةِ الذي تعرِفُونه : « لا إله إلاّ الله وحده وحده وحده . . . . » .

وكان المسجِدُ مكتظّاً بالناسِ ، بنفسِ أولئك الذين كانوا يرمونه بالحِجارةِ ، وشَجُّوا جبهتَه ، وحاربوهُ في أربعٍ وسبعين معركةً .

هؤلاء كانوا يرتجفون خوفاً ، فلعلّهم كانوا يتصوّرون أنه (صلّى الله عليه وآله) سيأمرُ أميرَ المؤمنينَ (عليه السلام) بإعمالِ السيفِ فيهم والقيام بمجازرَ عامّةٍ لهم ، لكِنّه عندما أتمّ تلاوةَ ذاك الدعاءِ أقبلَ عليهم ، وقال لهم ـ وهم الخبثاء بالكامل وفيهم أبو سفيان وزوجتُه هِند آكِلَة الأكباد ـ : ـ « يا معشر قريش

ماذا تقولون وماذا تظنون أني فاعلٌ بكم ؟!

قالوا : ـ خيراً . . أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال (ص) : « أقول كما قال أخي يُوسف : لا تثريبَ عليكُم اليومَ يغفِرُ الله لكم ، وهو أرحَمُ الراحمين . . . اذهبُوا فأَنتم الطُّلَقاء »[١٩] .

ثم كان أن قبل إيمانَهُم وكان يعلم أن بعضَهم أمثال أبي سفيان وهند لا يستقر الإيمان في قلوبهم ، فقبِل منهم مجرّد الشهادةِ ، بل قَبْلَ دخولِهِ مكّة أعلن أنّ بيت أبي سفيان من محالّ الأَمْنِ ، لأنّ أبا سفيان كان زعيماً لمكّةَ ومحِبّاً للزعامةِ ، فأعطاه نمطاً منها .

ونقرأ في السيرةِ أن أحدَ أفرادِ جيشِ الرسولِ (صلّى الله عليه وآله) رَفَعَ الرايةَ يومَ فتحِ مكّةَ وأَخَذَ يَتجَوّلُ في أَزِقَّتِها وهو يَصْرُخُ « اليومَ يَوْمُ الملحمة » أي أنه أخذ يتوعد أهلها بالانتقام ، وعندما وصل الخبر لرسول الله (صلّ الله عليه وآله) أمر عليّاً (عليه السلام) أن يأخذ الراية منه ويسير في أرجاء مكة معلناً هتاف « اليوم يوم المرحمة » ، هكذا هي سنّة النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) وعليها كانت سنة الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) .

إنّ القرآنَ يأْمرُ بالعفوِ وبما هو أسمى منه وهو الصفح وبما هو أسمىٰ منه وهو : ـ ﴿ **ويَدْرؤُونَ بالحسنةِ السيّئة** ﴾ .

وكان (صلّى الله عليه وآله) يؤكّد : ـ « ليس حسن الجوار كفَّ الأذىٰ (عن الجار) بل تحمّل الأذىٰ منه أيضاً »[٢٠] .

يُحكىٰ أنّ رجلاً جليلاً عادَ جاراً مريضاً ، فشاهده مُضْطَجِعاً في غرفةٍ تكثر الرطوبةُ فيها ـ في أرضِها وجدرانِها ، فآذاه ذلك خاصّةً عندما شاهدَ الرطوبة

---

(١٩) بحار الأنوار ج ٢١ فصل فتح مكة ومثله في سيرة ابن هشام والوفا ج ٢ ص ٤٢٢ وغيره كثير .
(٢٠) سفينة البحار ج ١ ص ١٩٢ .

تأتي من جِهة بيتِه إلى بيتِ جارِه ، فسأَلَ جارَه : لماذا لم تخبرَني بـالأمرِ ، لكي أمنعَ سريانَ هٰذِه الرطوبة إلىٰ دارِك ؟ .

فـأجابَ الجـارُ المريضُ : خشيتُ أن يُـوقعِك ذلـك في مشقّـةٍ لا أُحِبُّهـا لك ! .

هذا هو نهج الإسلامِ في التعامُلِ مع الغرباء ، فما بالُك بالكَنَّةِ والحمَـاةِ وبين الزوجين ؟! .

إنّـه يـريـد أن يكـون التعـامـل بين هؤلاءِ علىٰ وفقِ نهـجِ « درء السيئـة بالحسنة » .

وحريٌ أن تكتب هذه الآية الكريمة بماءِ الـذهبِ ، وتُنصَب إزاءَ النَظر في بيوتِكم ليتلوها كلا الزوجينِ يوميّاً .

فمثل هذهِ الآيةِ تُذهِبُ الهمَّ والغَمَّ ، وليس يـأتي ذلك فقط من اللوحـاتِ الجذّابةِ للمناظرِ الطبيعيّة للأشجارِ والشلالات التي تنصبونَها في بيوتِكم .

فانصبوا لوحاتٍ مزيّنةً بهذِ الآيةِ ، ليراها الـزوجانِ والأولادُ ، لكي يتحقّق إحياءُ ملكةِ العفوِ وملكةِ الصفح فيكم تدريجيّاً .

قبيحٌ للمرأة أن تُخاصِمَ زوجَها ، لكونه عنَّفَها ، فهذه ليست الـزوجة التي يُريدُها القرآن .

وقبيح للرجل أن يخاصِمَ زوجتَه ، لكونها أساءتْ إليهِ ، فليس هذا العمل يناسب أخلاقَ الزوجِ التي يرضاها القرآنُ والذي يـأمر بـدرءِ السيئةِ بـالحسنةِ ، فإذا عامَلَتْهُ بعنفٍ تبسَّم لها .

وإذا خاصَمَتْه صالَحها مثلما أمر النبي الأكرمُ (صلّى الله عليه وآلـه) تِلْك المـرأة ، بِمُصـالحـةِ الـزوجِ فـورَ وقـوعِ كـدورةٍ بينهمـا ، حتى « لـو كـان

ظالماً »[٢١] .

فالزوجة هي كل الحنان والمودة والرجل يجب أن يكون متحلياً بالرجولةِ ، فلا يصيب عِيالَه بوزرِ السيئآتِ ، وأحد الأساليبِ التربويةِ السليمةِ التربيةُ غيرُ المباشرة .

وخلاصة الحديثِ هي أنه لو كان التوافقُ الأخلاقي في الأُسرة هو بنسبة (٧٠٪) فعلينا أن نجبر الـ(٣٠٪) الأُخرىٰ بالتحلِّي بالعفوِ والصفحِ ، ليكمل التوافق ويصبح بيتُ الأُسرةِ منبعَ السكينةِ بِحَسَبِ التعبيرِ القرآني : ﴿ لِتسكنُوا إليها ﴾ .

(٢١) تقدم كامل الحديث .

المحاضرة الثالثة والعشرون :

الفصل الحادي عشر

سوء الظن

- منشأ سوء الظن
- آثار الوسوسة
  ١ ـ نسج السلبيات
  ٢ ـ الكسل والضجر
  ٣ ـ سوء الظن
- أخطار سوء الظن

سوء الظن

الفصل الحادي عشر من بحثِنا هو عن سوء الظن وتأثيرُه في الأُسرةِ ؛ وهو مرضٌ مهلك للإنسانِ مدمِّر للأُسرةِ ، ولعلّه أشدُّ الأمورِ تدميراً لها أو في الأقل من الآفاتِ الكبيرةِ المهدِّدة لهذِه المؤسّسة المقدّسة .

● منشأ سوء الظن :

وهو ينشأ من الوساوس الذهنية ، فأحياناً يتسلّطُ الشيطانُ على عقلِ الإنسانِ فيجعله شخصاً متذبذباً مرائياً منافقاً مؤذياً ، أي : يجعله « شيطاناً إنسيّاً » فيسخر الشيطانُ عقلَه من أجلِ تحقيقِ أهدافِه .

ولهذا تجِدُه يفكِّرُ باستِمرارٍ لِصَبِّ الشقاءِ على الآخرين .

وأحياناً يتسلَّط الشيطانُ على قلبِ الإنسانِ ، فيجعله عابداً للأوثان ـ بكاملِ المعنى ـ بِحَسَبِ المفاهيمِ القرآنيّةِ ، فتستحوذ على قلبِه الأهواء فيصبح فاسقاً فاجراً عابداً للشيطانِ ـ وليس لله ـ مشركاً بالشركِ الشيطاني ؛ يقول ـ تعالى ـ في سورةِ (يس) : ـ ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾[1] .

---

(١) سورة يس / ٦٠ .

إنّ الذي استحوذ الشيطانُ على قلبِه وأخـرج منه محبَّـةَ الله يُصْبح ما يُلقى فيه شيطانياً وليس رحمانياً .

وتـارةً يتسلّط الشيـطانُ على « قـوةِ الخيـال » لـلإنسـانِ التي يُقـال لهـا « الوسوسة » فيُوصف الإنسانُ بأنّه « وسواسي » ، وهي على نوعين : ـ

١ ـ **الوسوسة الفكرية** ، وهي مِحورُ حديثِنا لهذا اليوم .

٢ ـ **الوسوسةُ العمليّةُ** ، وهي التي تظهر مصادِيقُها لدى بعضِ المتدينين تِجاهَ الطهارةِ والنجاسَة وصِحَّةِ سائرِ عباداتِهم .

وهـذا مـوضـوعُ حـديثِنـا ليـومِ غـدٍ ـ بمشيئـةِ الله وألـطافِ بقيّـةِ الله (عليـه السلام) والإطـارُ العامُّ للمـوضوعِ هـو أنّ استحواذَ الشيـطانِ على قـوّةِ التخيُّلِ لدى الإنسانِ توجد له حالة الـوسوسـة التي تتعلّق مرةً بـالأفكارِ وأُخـرى بالأعمالِ .

ففي الأولى توجد لديه أفكارٌ باطلةٌ سفيهةٌ تتحكّم بِهِ ، وفي الثـانية تجعلُه يرتكب أعمالاً باطلةً عديمةَ الجدوى وكلتاالحالتين خطِرتانِ جِدّاً يفوقُ خطرهما سـائرَ الأمـراضِ الأُخرى وهي بكـلا نوعيهـا نمطٌ من الجنـون كمـا يُبين الإمـامُ الصـادقُ (عليه السـلام) ، : ـ فعن عبدِ الله بنِ سنـان قـال : ـ « ذكـرتُ لأبي عبـد الله (عليه السـلام) رجلاً مُبتلىً بـالوضـوءِ والصلاةِ ، وقلتُ : ـ هـو رجل عاقل ، فقال (ع) : ـ وأيُّ عَقْلٍ لهُ وهو يُطِيعُ الشيطانَ ؟ .

فقلتُ له : ـ وكيف يطيعُ الشيطان ؟ .

فقال (ع) : ـ « سَلْهُ هذا الذي يأتيه من أيِّ شيءٍ هو ، فإنّهُ يقـول لكَ مِن عملِ الشيطان »(٢) .

---

(٢) راجع أصول الكافي ج ١ ، « كتاب العقل والجهل » الحديث (١٠) .

فالوسوسةُ (الفكريةُ والعمليةُ) هي نمطٌ من الجنونِ كما يبيِّن ذلك الإمامُ الصادقُ (عليه السلام) وكما يؤكد علماء النفس .

● آثار الوسوسة :

١ ـ نسج السلبيات : ـ وهي من جملةِ الآثارِ الخطيرةِ للوسوسةِ الفكرية ، فالبعض لا يَرَونَ سوىٰ السلبياتِ ـ في أنفسِهم وفي الآخرين ـ فأعينُهم لا ترىٰ سوىٰ السلبيات أي المفقود ، فلا يهتمون بإيجابياتِ الشخصِ لانحصارِ تفكيرِهم في البحثِ عن عيوبِه . فأحدُهم يدأبُ في تقصّي العيوبِ ـ عيوبِه وعيوبِ أصدقائِهِ ومُجتمعه .

وهذه ظاهرة خطِيرة وكثيرة الانتِشار . ومن آثارِها الخطيرةِ أنها تصدُّ الإنسانَ عن الرقيِّ والتطوُّرِ ، وذنبُها عظيم ، وصاحبُها مثلُ الذبابةِ تسعىٰ إلىٰ القذارةِ حتّىٰ بينَ الزهورِ الجميلةِ فإذا كان بدنك نظيفاً لم تقتربْ منك ، لكنّها تحطّ علىٰ مكان الجرح أو القيح إذا وُجِدَ فيه .

وهذا هو حال البعض من الذين ينسجون السلبيات ويتقصُّون العيوبَ ، وإذا تحولت هذِه الحالةُ إلىٰ ملكةٍ فيهم وتحوَّلتِ الملكة إلىٰ هُويّة ، فإنهم سيظهرون يوم القيامة بصورةِ ذباب في المحشر ـ بِحَسَبِ قانونِ تجسُّمِ الأعمال ـ .

أوصيكم جميعاً ولا سيَّما السيدات باجتِنابِ هذِه الحالةِ ، وبالنظرِ إلىٰ إيجابياتِ أزواجِكم .

ونفس الشيءِ أوصِي بهِ الأزواجَ ، فلا يكن سعي أحدِكُم في العثورِ علىٰ نَقْصٍ في الآخَرِ ، بل اهتمُّوا بالإيجابيَّاتِ كالبلبل الذي يتنقل دائماً بين الزهور ولا تكونوا مثلَ الذبابِ تبحثون عن قذاراتِ عيوبِ الآخرين .

الإنسانُ فاقدٌ للوفاء ، فأنتَ تُحسِنُ إلىٰ زوجتِك عمراً ولكنك إذا نهرتها

يوماً تنسىٰ كلَّ ذلك الإحسان .

وهذه الزوجة إذا أحسنتْ عمراً في قيامِها بواجباتِ الزوجيةِ ورعـاية شؤون البيت والأطفال ، ولم تَقُمْ يوماً بما أَرادَهُ زوجُها ، فإنّـهُ ينسىٰ كلّ شيءٍ ، ويُغيّـر تعامله ، ليوضح عدمَ وفاءِ الإنسانِ .

وهذا ما يعاتبه القرآنُ عليهِ بقولِه : ـ ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾(٣) .

ولذا أرجوكم أن تجتنبوا هذه الحالة .

٢ ـ الضجر : ـ ومن آثارِ الوسوسةِ الفكريةِ هي أنَّها تجعلُ الإنسانَ ضَجِراً من حيـاتِه يفتقِـدُ النشـاطَ ويفكِّـر بعبثيـةِ مجيئِـه للدنيـا ـ والعيـاذُ بـالله ـ ويفكِّـرُ بالانتِحارِ ، إذا كان مُلحِداً أو غيـر متديِّنٍ ، وهـذا هو سبب ظـاهرة الانتِحـارات التي تشهدُها الدولُ الغربيةُ بكثرةٍ ، فقد تدفعُه الوسوسةُ الفكريةُ إلى التفكيرِ بما لا يُوصِلُه إلى نتيجةٍ ، إذْ لا يحصُلُ على نتيجةٍ فَيَملُّ الحياةَ ، فينتحر .

ويـرىٰ علمـاء النفس أن هـذه الـوسـوسـة هي سببُ إثـارة السؤالِ (الاستنكـاري) لدىٰ بعض الشبـاب اعتراضـاً على مجيئِهم إلىٰ هذِه الـدنيـا ، وسبب الكسـلِ والمللِ مِن الحيـاة والضيـاعِ ، لكـونهم لا يعـرفـون جـوابَ سؤالهم ، ولو أُجيبَ أحدُهم عمَّـا يسأل وهـو في خِضَمِّ التفكيرِ مَنَعته الوسـوسةُ الفكـريةُ من الاقتِنـاعِ ، واستمرَّ في تصـوُّرِهِ أنَّ الخَيْرَ هـو في الانعِتاقِ مِنْ هـذِه الدُّنْيا .

لا أَنسىٰ حـادثةً نقلَهـا أحدُ الكتّـاب قـائـلاً : ـ « استيقـظت صبـاحَ أحـدِ الأيامِ ، فوجدت نفسِي كسلاً وقَلِقـاً للغايـة ، وقلتُ في نفسي : ويلٌ لي وهـذا يومٌ جديـدٌ . وكانت أمـامي صحيفة ، فتعجبتُ مِن وُجـودِ موضـوعينِ مُتناقِضَين فيها :ـ

---

(٣) سورة عبس / ١٧ .

الأول عن انتحارِ أحدِهم بصورةٍ عجيبةٍ ، فقد كان مصاباً بالقُرحةِ المَعِديَّةِ ، فعمد إلىٰ سكينٍ شقَّ بها بطنَه ، وأخرج مَعِدته ورماها ، وقال : أُريد أن أعيش دقيقةً واحدةً دونَكِ فماتَ بعدَ دقيقة ! .

ورأيت على الجانبِ الآخَرِ للصحيفةِ مقالاً كتبتْه سيِّدة تقول فيه : ـ «إنّني ـ والحمد لله ـ أستيقِظُ كلَّ صباحٍ ، وأرىٰ أمامي يوماً جديداً مفعماً بالنشاطِ ، فأشكرُ الله علىٰ أن وهبني العمرَ ، لأَعِيشَ يوماً آخر» .

قال هذا الكاتب : ففكّرت في الأمرِ ، وسألتُ : ما هو سِرُّ نشاطِ وحيويَّةِ هذِه السيِّدةِ وانتِحار هذا الشخصِ ؟ .

وما هو سِرُّ كسلي وغَمِّي وهمِّي ؟! .

فعرفت أنّ سببها عندي هو الوسوسة الفكرية .

وبعبارة أُخرىٰ مِنَ الضجرِ والجهلِ في الحياةِ وهما نتيجة هذه الوسوسة .

٣ ـ سوء الظن : ـ وهو الأثر الأخطر ، فالوسوسةُ الفكريةُ تجعل الإنسانَ سيِّءَ الظن بأُسْرَته أوَّلاً والآخَرين ، ثُمَّ ينتقل تدريجيّاً إلى سُوءِ الظَّنِّ بالله ـ تعالى ـ والنبيِّ والقرآنِ والأئمةِ الأطهارِ ، ويجعلُه سوءُ الظنِّ هذا كافراً .

فسوء الظن من الشيطانِ وهو لا يقنع بالقليل ، لكنه يبدأُ من القليلِ ، فلا يترك الإنسان حتى يوصِله إلىٰ الدركِ السابعِ من الجَحِيمِ ، وعندها يسخر منه ويقول : أنت الذي جئت إلى هنا بِقَدَمَيْكَ ، فما علاقتي أنا بِك ؟! وهذا حالُ الوسوسةِ الفكريَّةِ ، فهي في البِدايةِ تجعلُ الإنسانَ سيِّءَ الظنِّ بدرجةٍ قليلةٍ تكبر تدريجياً ، حتَّى تصِل إلى سُوءِ الظنِّ بالله والرسولِ والقرآنِ والأئمة (عليهم السلام) .

أخطار سوء الظن :

الخـطرُ الكبيرُ لسـوءِ الظن هـو أنَّه يؤدّي أحيـاناً إلىٰ التفسيقِ ، بمعنىٰ أن تصور الوسوسةِ الفكريةِ وسوء الظن لـدىٰ الإنسانِ الـطرفِ المقابـل سيّئاً ، وإذا وقع التفسيقُ تلاهُ التكفيرُ ، ثم جوازُ القتلِ أو وجُوبه !! .

أحيـاناً ، نـرىٰ شابّـاً متديّنـاً ثوريّـاً ، لكنّ سوءَ الـظن يـدفعُـه إلىٰ تفسيقِ الآخَـرِين وتكفيـرِ العُلمـاءِ والكِبـارِ ، وهـذا التكفيـر يحلّل لـه أو يُـوجِبُ عليـهِ قتلَهم !! .

فيقتل عالماً كبيراً بسببِ سُوءِ الظن .

ولا تتصـوروا أن الأمر يسيـر ، فسوءُ الـظنِّ الناتـجُ من الوسـوسةِ الفكـريَّة يَصِلُ أحياناً إلى أشكالٍ عجيبةٍ من الجنونِ خاصّةً إذا ظهـر تجاه الأُسـرةِ ، كأن يُسيءُ الـزوجُ الـظنَّ بـزوجتِـه ـ والعيـاذُ بـالله ـ وإثمـه هنـا عـظيم ، كأن يسعلِ (يتنحنح) رجل في الزقاق ، فيقع الزوجُ في سوءِ الظنِّ ، ويقول لزوجتِـه : إنَّ هذا الرجلَ فعلَ ذلِك من أجلِك !! .

ومثل هذا الـزوج مجنونٌ بـالكامـل ، أو يتأخَّـر الزوجُ في شِـراءِ الخبزِ ، فتقـول االزوجة : إنّه ذهبَ إلى زوجتِه الثـانيةِ (الـوهميّة) ، ويـرتفعُ صـراخُهـا فاضحةً نفسَها وزوجَها ، وهذا جنونٌ بكل معنىٰ الكلمة .

هناك قصة مشهورة بين الناسِ وقد رأيتُ الكثيرَ من المصـاديقِ المشابهـةِ لهـا (بدرجـةٍ أو أخـرى) ، ومفـادُ هـذِه القصـة (المثـل) هـو أنَّ زوجينِ كانا مُضْـطَجِعَينِ على سطحِ البيت ـ وتعلمـون أنَّ مجرة (طـريق الأسد) تمتـدُّ مثل جـادَّةٍ في السماءِ بـاتجاهِ القِبلةِ وشـائع بين النـاسِ أنّها تُشيـرُ إلى طريقِ مكّـة ، فسأل الزوجُ زوجتَه عن هذِه المجرَّةِ وكانا ينظرانِ إليها فأجـابت بهذا الشـائعِ ، وقالت : لو أنَّ الحجيجَ ضلُّوا الطريقَ إلى مكة اهتَدوا بِها إليهِ .

فلما سمِعَ جوابَها . أَخَذَ السوطَ وهَجَم عليها صارِخاً ، لقد وضعتِ خُطَّةً لِجعلِي أنامُ هُنا لِيأْتِيَ الحُجَّاجُ ، فيقتلوني لكي تتزوَّجي زوجاً آخرَ !! .

ولعلَّ هذِه القِصَّةَ ليست واقعيةً ، ولكنَّ أحدَ السادةِ نقل لي (قِصَّةً واقعيةً مماثلة) ، قال : ـ جاءَني زوجانِ ، الزوج كان مُبْتلىً بالوسوسةِ الفكريةِ والزوجة مُبتلاةً بالوسوسةِ العمليَّةِ في الطهارةِ والنجاسةِ ، فتوجَّهتُ لها ، وقلت : إنَّك مُوَسْوِسةٌ ، فإذا أصغَيتِ لِما أقولُهُ لك ، ولم تلتفتي إلىٰ وسواسِك ، تَمَّ استِئْصالُ جذورِهِ مِن قلبكِ خلالَ سِتَّةِ أشهرٍ ، فرأيتُ أنَّ الزوج قد تغيَّرَ بدرجةٍ غريبةٍ ، ورَفَضَ أن أُعالِجَ وساوِسَه الفكريَّةَ ، وقامَ وذهبَ .

وبعد مدة اتَّصل بي هاتِفيّاً وقال لي : لقد فهِمْتُ ما قُلتَهُ لِزوجتي ! لقد طلبتَ منها أن تُطلِّق مِنّي وتتزوَّجَك ، ووعدتَها أن تَشْفِيَها خلالَ ستةِ أشهر تحت إشرافِك ! .

وهذا الزوج مجنونٌ بالكامِل وأشباهُه كثيرون .

فالمرأة تُسيءُ الظنَّ بزوجِها أو يُسيءُ الظنَّ بِها ويعتبرها منحرفةً ، فإذا ضاعتْ من جيبه ـ مثلاً ـ ورقةٌ نقدِيَّةٌ أو صَرَفها ونَسِيَ يُلْقِي الأَمْرَ علىٰ زوجتِه ، فيتَّهِمها بالسرقةِ والجريمةِ وانعدامِ العِفَّة .

وتصل به الوقاحةُ أحياناً إلى إظهارِ أوهامِه هذِه ، وتفعلُ الزوجةُ أحياناً أفعالاً مماثلةً .

وإثمُ هذِه الأعمال عظيم ، يقول ـ تعالى ـ : ـ ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾(٤) .

إذن فالآية تنهىٰ الإنسانَ عن التحدُّث عمّا لا يعلم اتِّباعاً للظنِّ ، وتنهاه عن سوءِ الظنِّ بالآخرين ، فمثل هذا ومثل تلك الأقوالِ والأفكارِ الخاطئةِ سيردُ

---

(٤) سورة الإسراء / ٣٦ .

السؤالُ عنها يومَ القيامةِ من سَمعِك وبصرِك ولسانِكَ وفؤادِكَ ، وستشهد عليك أعضاؤُك وجوارِحُك .

فإذا أساءَ رجلٌ الظنَّ بزوجتِه لكنه كتمَهُ ولم يقل لها ولا لغيرها ، فسيخرجونه يومَ القيامةِ في المَحْشَرِ ، وسيشهد عليهِ قلبُه ، ويُقال له : ـ لِماذا ظننتَ بزوجتِك السوءَ ؟ .

ألم ينهكم الإسلامُ عنه ؟ .

إنّ علىٰ المسلم اتّباعَ اليقين ، وليس الظنّ والحدس .

والذين يُسيئُون الظنَّ ليسُوا مسلمينَ حقيقيين: ﴿ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً ﴾(٥) . قُتل (ملعون) ذاكَ الذِي يلتف داخل شرنقةِ ظنونه وأوهامِه الخاطئةِ مثلما تفعلُ دودةُ القَزِّ ، حتى يختنِقَ ، وأُوصِي كلَّ مَنْ يُسِيءُ الظنَّ ـ رجلاً كان أو إمرأة ـ أن يتذكر ـ كلما خطر في ذهنه ظنٌّ سيءٌ ـ قوله ـ تعالى ـ : ـ ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّاصُونَ * الَّذِينَ هُمْ في غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾(٦) .

ورُوي أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نظرَ إلىٰ الكعبةِ ، فقال : ـ « مَرْحَباً بالبيتِ ما أَعْظَمَكَ وأَعْظمَ حُرْمَتَكَ على الله !! والله لَلْمؤمنُ أعظَمُ حُرمةً مِنكَ ، لأنَّ الله حرَّمَ منكَ واحِدةً ومِن المؤمنِ ثلاثة ، مالَه ودَمَهُ وأن يُظَنَّ بِهِ ظَنُّ السَّوءِ »(٧) .

وأُقسم عليكم بالله أن تتدبّروا في جعلِ النبيِّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) لِسُوء الظنِّ بمصافِّ القتلِ ، وأكلِ المالِ الحرام ، فهو يُوضِحُ أنّه ذَنْبٌ عَظِيم مُدمِّرٌ للأسرةِ فالعِياذُ بالله من أن تُسِيءَ الظنَّ بزوجتِك العفيفةِ ، وتُسِيءَ لها بكلِمةٍ غيرِ عفيفةٍ ، فلن تخرج هذه الكلمةُ من قلبِها مهما كانتْ عفوةً .

---

(٥) سورة الفتح / ١٢ .

(٦) سورة الذاريات / ١٠ ، ١١ .

(٧) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٧١ .

وهـذا طبيعي ، فالكلِمـةُ الجارحـةُ لِعفّتها لا تقتـل المـودَّةَوحسب ؛ بـل تزرعُ أيضاً في قلبِها شجرة الكره .

ونفس التحذير موجَّه إلىٰ السيداتِ أيضاً .

ولا أنسىٰ تأثيرَ ذلِـك الظنِّ السيِّء الصـادر عن إحْدَىٰ السيِّـداتِ بِزَوجِهـا الذي نقل الحادثَةِ التـالية قـائلاً : « في تلك الليلةِ كنتُ قـد حَصَلْتُ علىٰ عَمَلٍ إضافِيٍّ ، وٱضطررتُ أن أعمل ساعةً أو ساعتينِ زيادةً علىٰ المُعتاد .

ومن أجـل مَنْ ؟ مِن أجلِ نفسِ تِلك الـزوجةِ وأطفـالِهـا ؟ وبعـدَ إتمـامِ العمـلِ الإضافِيِّ رَجعْتُ إلىٰ البيتِ وأنـا متعبٌ وجائـعٌ ، فقـد رفضتُ الـطعـام اللذيذ الذي أُعِدَّ لي في محلِّ العمـل ، لكي أعودَ إلى البيتِ ، وأتَنـاول طعامي مـع العِيـالِ ، وَصَلْتُ المنــزِلَ ، وطـرقتُ البــابَ ، ففتحتْ زوجَتِي البــابَ واستقبلتْني بصُــراخٍ وتعنيفٍ ، وقــالت لـي : ارجــعْ إلىٰ حـيثُ كـنتَ مُـنــذُ المَغرِب ! .

فقلتُ لهـا : حَسَنٌ سأَفعـلُ ، فذهبتُ إلىٰ أحـدِ الفنـادقِ ، وتنـاولتُ فيـهِ الطعامَ ، ثمَّ استأْجرتُ منزِلاً في صباحِ غدِ ذلك اليـومِ وبالاستعـانة بهـذا وذاك تـزوَّجْتُ في نفسِ اليومِ ، وأسَّستُ أُسْـرَةً أخرىٰ وبقِيتُ عنـدَها قُـرابةَ أُسبـوعٍ عُـدْتُ بعدَهـا إلى بيتي الأوَّلِ ، وقلتُ لزوجَتِي الأُولىٰ : لقـد ذهبتُ إلىٰ حَيْثُ أمَـرتِني ، ومن الآنَ فصاعـداً ستكون لـكِ ليلة ، ولها ليلة ، فـإنْ أَردْتِ ليلتَـكِ جِئتُ ، وإلَّا كانَتْ كلتا الليلتينِ لها ، قضي الأمر !! .

أجل لقد فَعَل الزوجُ ما لا ينبغي أَنْ يفعلَه .

نرىٰ أحياناً الزوجة تنسج أقـوالاً وظُنونـاً سيِّئةً لا يسعهـا عقلُها ، وإلَّا فمِن أينَ أتتْ هذِه الأقوال ؟! .

يقـول ـ تعالى ـ : ـ ﴿ وإِنَّ الشَّيَـاطِينَ لَيُوحُـونَ إِلَىٰ أَولِيَائِهِمْ لِيُجَـادِلُوكُمْ

وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[8] .

فالشيطانُ يأتي للإنسانِ ، فيوحي إليهِ أن آفعلْ هذا (وقُل هذا) .

فلا تدمِّروا بيوتكم بهذِه الأباطيلِ ، ولا تُدمِّروا المودَّة بينَكُم بهـذِه الأُمورِ العقيمة .

وأُوصي الرجالَ خـاصَّة بـذلِك ، فسـوءُ الظنِّ مِنَ النسـاءِ ذنبٌ لكِنَّه منهم أعظَمُ ، فالزوجة لا تَتَّهمُكَ بالـوقوعِ في الحـرامِ ، فهي تقول : تـزوّجتَ آمرأةً أُخرىٰ .

أمَّـا إذا أُسأت الـظنَّ بزوجتِـك ، وصرَّحت بـه ، ولم يثبت لـدىٰ حـاكمِ الشـرعِ يستطيـعُ أنْ يأْمـر بتعزيـرك بـ (٢٥ ـ إلى ٧٥) جلدةً ، لأَنَّ ذنبَهُ عـظيمٌ يدعو القرآن على صاحبِه بالقتلِ ، فآجتنبوا سُوءَ الظنِّ في البيتِ وخارجِه .

وأُنَبِّـهُ السيِّـداتِ خـاصَّـةً علىٰ أَنَّ سُـوء الـظنِّ قـد يقـودُ إلىٰ التجسُّسِ والتجسُّس ذنبٌ عظيمٌ يقولُ النبي الأعـظمُ (صلّى الله عليه وآلـه) عنه : ـ « يـا معشر مَن أَسلَمَ بلِسانِـه ، ولم يخلِص الإيمان إلىٰ قلبِـه لا تَذُمُّـوا المسلمينَ ولا تَتَّبِعُوا عَوراتِهم ، فإنَّهُ مَن يتبـع عَوراتِهم يتبـع الله عورتَـه ، ومَنْ يتبع الله عـورتَه يفضحهُ ولو في بيتِه »[9] .

إذن سـوء الـظن بـالآخَـرين يؤدِّي إلى التجسُّس ، وإذا فعلتم ذلـك فقـد يوقعكم في أعمالٍ قبيحةٍ .

فمثلاً ترىٰ المرأةُ ـ وهي واقِفةٌ عندَ بابِ بيتِها ـ شاباً يَدْخُل بيتَ جيرانِهم ، فإذا كانت مسلمةً حقيقيةً ، قالتْ : إنَّه مِن أرحامِهم ، وقد جاءَ لِشُغْلٍ .

---

(٨) سورة الأنعام / ١٢١ .

(٩) سفينة البحار ج ٢ ص ٢٩٥ وبمعناه أحاديث أخرى يرويها الكليني في أصول الكافي ج ٢ كتاب الإيمان والكفر باب من طلب عيوب المؤمنين وعثراتهم .

أمّا إذا تجسَّستْ وجَمَعتِ الناسَ ـ لا سَمَحَ الله ـ عندَ بابِ الدَّارِ ، وانجرَّ الأمْرُ ـ والعياذُ بالله ـ إلى فِتنةٍ خَطِرةٍ وإلىٰ الطلاقِ وإلى بؤسِ وتضييعِ الأطفالِ وتدميرِ كلا الطرفينِ ، فما هو حجمُ الذنبِ الذي تكون هذِه المرأةُ قد ارتكبَته ؟! .

أُذَكِّرُ مرّةً أُخرىٰ بما نبه إليه الإمام الحسين (عليه السلام) ذلك الرجل الذي فرّق بين ابنه وزوجته حيث أشار إلى أن إثم هذا الفعل أشد من قيامه بقطع عروقهما وانتزاعها من جسديهما .

وأحياناً يقوم البعض من المتحجّرين ذوي الظاهر القُدْسِي بالتجسُّسِ بِذَرائعَ مُقدَّسةٍ ، ويجمعون الناس علىٰ دارِ أحدِهم ، ويحدثوا بذلك فضيحةً لكلا الطرفينِ ، وقد تؤدِّي إلى الطلاقِ ـ لا سمح الله ـ وكلُّ ذلِكَ بسببِ أن هذا المتحجِّر المتظاهِرَ بالتديُّنِ أرادَ أن يَقُومَ بِعملٍ « حزب اللهي » في حين أنَّ هذا هو من عمل حِزبِ الشيطانِ ، فعمل حزب الله هو : ـ « ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ علىٰ أحْسَنِهِ »[10] وهذا ما كان يوصي به النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) مِراراً ، حتى إنّه يأمُر بـ : ـ « أطلب لأخيك عذراً فإن لم تجد له عذراً فالتمس له عذراً »[11] . فإنْ لم تستطعْ أنْ تَجِد له محماً فَقُلْ لِنَفْسِك : كم أنا مسلم ضعيف إلى درجةٍ أني لا أستطيع أن أجِد محملاً لعملِ أخِي المؤمِن ، فهل نحن كذلك ؟! .

إنَّ ما أُوصيكُم بِهِ أيّها المواظِبون على مجالِس الوعظِ وأنتم يا صفوةَ قم هو أنَّ الرسولَ الأعظم (صلّى الله عليه وآله) ينهاكم عن الوقوعِ في التجسُّسِ وعن أن يذهب أحدُكم إلى هنا وهناك من أجلِ افتعالِ قضيّةٍ ينشُرها في المجتمعِ وهذِه الظاهرةُ موجودةٌ لدىٰ جميعِ الفئاتِ ولا سِيَّما لدىٰ النِّساءِ وهي

---

(١٠) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٦٩ .

(١١) سفينة البحار للشيخ القمي ج ٢ ص ١١٠ .

ذنب عظيم يفوق إثمَ القَتْلِ والتعذيب .

لماذا نقع في سُوءِ الظن ؟! .

ولمـاذا لا نعمل بـوصيةِ الحـديثِ الشـريف : ـ « ضـعْ أمـر أخيـك على أحسنـه » الـذي أمـر بـه النبيُّ (صلّى الله عليـه وآلـه) وأميـرُ المؤمنين والإمـامُ الصادقُ (عليهما السلام) ، وأغلبُ الأئمةِ الطاهرين (عليهم السلام) ؟! .

ولماذا لا نتحلَّىٰ بِحسُن الظنِّ بَدَلاً مِنْ سُوءِ الظن ؟! .

ومن أين ينشأ سوءُ الظن ؟! .

إنَّ وضـع القلبِ إذا أَصْبَح كحـالِ المُسْتَنقـعِ المتعفِّنِ أصبـح سيِّىءَ الظنّ .

وبالعكس فإنَّ القلبَ السليمَ يُنتج حُسنَ الظنّ ، فـإذا سلِمَ القلبُ ، اعتبرَ الجميعَ سالِمين والعكس صحيح .

وسوءُ الظنِّ مرضٌ خطيرٌ ، لكنَّ علاجَه سهلٌ ، وهو تجاهُـلُ الظنـونِ فإذا رأيتَ شَيْئاً مِنَ زَوجتِك ، ووجدتَ له محملاً ، ولم ترتب أثـراً علـى ظنونـك ، ووجهت بذلك صفعةً علىٰ فمِ الشيطانِ يندحِرُ علىٰ أثرها شاء أم أبىٰ .

فـالإمامُ الصـادِقُ (عليـه السـلام) يؤكِّـدُ أنَّـكَ إذا فعلتَ ذلِـكَ معـه ولم تستجبْ لهذا الخبيث ابتعدَ عنك .

أما إذا استجبتَ له ، وحملتَ ما صدرَ عن زوجتِـك علـى محملٍ سيِّىءٍ وأ[illegible]تَ ذلكَ أوصلتك هذِه الوسوسةَ الفكريةُ ـ تدريجياً ـ إلىٰ الجنونِ الكامل .

[illegible]ذن فهـذا المرضُ خـطيرٌ وسـرطانيٌّ يُـدمِّر دنيـا الإنسانِ وآخـرتَـه ، لكنّ علاجه سهـل يسير يستـطيع القيـامَ بـه الجميـعُ ، وهو عـدمُ الاهتِمام بـالظنـون السيئة فـ : ﴿ وإنَّ الظَّنَّ لَا يُغْني مِنَ الْحَقّ شَيْئاً ﴾[١٢] ، فالقـرآنُ يؤكِّدُ أنَّ الـظنَّ

(١٢) سورة النجم / ٢٨ .

لا يثمر شيئاً ، فإذا اعتمدتَ على الظنِّ ، فقد تجاهلتَ العملَ بالقرآنِ الكريمِ ، وأعرضت عنه

المحاضرة الرابعة والعشرون :

الفصل الثاني عشر

الوسوسة العملية

الوسوسة العملية

« الـوسوسـة العملية » هـو موضـوع الفصل الثـاني عشر من بحثِنـا ، وقد قسمنا الوسوسةَ ـ في الفصلِ الحادي عشر ـ قسمينِ : ـ الفكرية والعملية ، وقد تحدّثنا عن الأولىٰ ونتحدّث اليومَ عن الثانيةِ التي يُصـابُ الإنسانُ بهـا ـ أحيانـاً ـ في أعمـالِـه كـالـوسـوسـةِ في شؤونِ الـطهـارةِ والنجـاسـةِ والـوضـوء والغسـل والعبادات ، وهي مُضِرّةٌ جـداً للأُسـرة ، فهي تدمِّـر بنيتها ، والمبتلىٰ بهـا منبوذٌ أُسرِيّاً واجتماعياً ، فهي تدمِّرُ المودةَ الأُسريَّةَ .

وإذا لم تكن أكثـر عوامـل تدميـرها ، فهي من العـوامـلِ الـرئيسـةِ كحـدٍّ أدنىٰ ، فمن الضروريّ أن يلتفت لحديثِ اليومِ بصورةٍ كاملةٍ خاصَّة المصابـون بها .

ما هو منشأ الوسوسةِ بكلا قِسمَيها ؟ .

في الفصل السابق قلتْ : إنَّ الشيطانَ يتسلَّط أَحياناً على عقل الإنسانِ ، فيجعله بذلك مخادعاً ومنافقاً أو عذاراً ، فإذا كان سياسِيّـاً ، فهو سيـاسيٌّ كذّاب ومُخادِع .

وأحيـانـاً يتسلَّطُ هـذا الخبيث على قلبِ الإنسـان ، ويجعلُه تـابعـاً لـه ، فمثلما أن قلب الإنسان يكون تارةً خاضعاً لله وحكمِهِ ، يمكن أيضاً أن يستحـوذَ

عليـهِ الشيطانُ ، وهـذا ما يشيـر إليه القـرآنُ في آياتِـه الكريمـة ؛ وإذا استحـوذَ الشيـطانُ علىٰ قلبِ الإنسانِ ، وجَّهـه إلىٰ حيث يشتهي ، فيجعلهُ عبداً لِـلأوثانِ والأموالِ والأهواء ، أو عابداً للشيطانِ بِحسبِ التوضيحِ القرآني .

وتارةً يتسلَّط على قُوَّةِ التخيُّل عندَ الإنسانِ ، فيوجد لديهِ الوسوسة الفكرية والعملية ، وتبلغ خطورة هذِه الحالةِ درجةً تجعلُ صاحبَهـا يُبصِر ويَسمـعُ ويجزم بوجودِ أشياءَ لا واقِعَ لهـا أصلاً ، فمثـلاً الإنسان الخـائف الذي تَسلَّطَ الشيـطانُ علىٰ قُوَّةِ خيالِه ، إذا ذهب ليلاً إلى دارٍ خـربةٍ يـرىٰ الجِنَّ ، ويسمع حـديثَهُم ، وهـو يصدق في قـولِـه ، وإذا ذهب إلى المقـابِـرِ يـرىٰ مَيِّتـاً يخـرج من القبـرِ ، ويَسْمَعُـه يُنادِيـهِ ، فيفرّ منـه فيُطارِده الميِّت ، حتّىٰ إنّـه يرىٰ أحيـانـاً المَيِّت وقـد أمسَكَ بهِ ، فيُغمىٰ عليه .

ومع التسليمِ بعدم وجود جِنٍّ في تلك الخربـةِ وأنَّه لم يخـرج ذاك الميت من القبر ، ولم ينادِهِ ، ولم يُمْسِكْ بِه ، لكنَّ قوَّةَ التخيُّلِ أثَّرتْ في بَصَرِهِ وسمْعِه وقُوَّةِ اللَّمْسِ لديه ، حتَّى أوْقَعتْهُ في هذه المصيبةِ .

وإذا وقع شخصٌ في الوسوسةِ الفكريّةِ والعمليَّة ، يصبح حـالُه علىٰ هـذِه الصورةِ ، فإذا أُبتُلي شخصٌ بالوسوسةِ في الـطهارةِ والنجـاسةِ مثـلاً يجزم فـوراً بوقوع انتِقالٍ للنجاسةِ ، حتى مع التسليمِ بعـدمِ وقوعِ ذلِـكَ ، لكنَّه يُحِسُّ بـهِ فيجـزم بسرعـةٍ بوقـوعِ النجاسـةِ ، لكنَّـه لا يجـزِمُ بحصـولِ الـطهـارةِ ، إذْ إنَّ الشيطانَ قد تسلَّطَ على قُوَّتِه التخيُّليّةِ ، وجعلَه يجزِمُ بصورةٍ فوريّةٍ بالأشيـاءِ التي تضرُّه في حينِ يعجز عن الجـزمِ والحصول على الاطمِئنـان بشأنِ الأشيـاءِ التي تنفعُه .

ومن هذهِ النقطةِ بـالذاتِ ينبغي لِلْوسـواسِي أنْ يُدرِكَ أنَّـه مَرِيضٌ حيث إنَّ سُـرعةَ الجـزمِ والتصديقِ يجب أن تشمَـلَ ـ عندَه ـ الـطهارةَ مثلمـا يتعامَـلُ مـعَ النجـاسةِ ، وإذا لم يكن سـريعَ التصـديقِ ، فيجب أن يسـرِيَ ذلـك في مـوارِد الطهارةِ والنجاسةِ معاً ـ إذا كان سليماً ـ فلا ينحصِر بالنجـاسةِ فقط ، ولأنَّـه ليس

كذلك ، فعليه أنْ يعرِفَ أنَّه مُصابٌ بِمَرضٍ روحيّ يشتدُّ بـآستِمرارٍ كلَّما اهتمَّ بتلك الوساوسِ .

وهـذه طبيعةُ الأَمـراضِ الروحيـة ، فهي في هـذا الجـانبِ مثـل الحكّـة والحسـاسيةِ ومثـل السرطـان ، وسببُها هـو تسلُّطُ الشيـطان على القـوة التخيليّـةِ للإنسان .

وهذا ما يُصرِّحُ بهِ الإمامُ الصادق (عليـه السلام) في حـديثِ عبدِ الله بن سنان السابِق ، فقد وصفَ الوسوسةَ بأنّها من عملِ الشيطان . وعلينـا أن نحذره باستِمرارٍ ، فقد استعدَّ وقعدَ لنا ، لكي يُدمِّر آخرتَنا ودُنيانا ، ويُـدْخِلَنا إلى جهنَّمَ كل واحدٍ منّا بأُسلوبٍ معيَّن .

والشيـطانُ خبيثٌ يُغْري هـذا ويحرفُـه بتَزْيينِ المعـاصِي ، والآخـر بِحُبِّ المالِ الحرامِ ، أو الانغماس في الشهواتِ أو حبّ الجاهِ والرئاسةِ أو الوسوسـةِ أو الغيبةِ والبهتانِ أو إشاعة الفَحْشاء ، أو البِغاء والفساد الأَخلاقي .

يُنقل ـ في حادثةٍ مشهورة ـ « أَنَّ أحـدَهم رأىٰ الشيطانَ في رؤيـا صادقـةٍ ـ وهو يحمِلُ مجموعةً من الحِبال ، فسأله عنها فأجابَ : ـ لقد أعددتُهـا لأَجُرَّ بهـا بني آدمَ إلىٰ النارِ ، كما كان يحمل سلسلةً حـديديّـةً ، فسألَـه عنها ، فقـال هي للشريفِ الرضيِّ وقد ذهبتُ إليهِ الليلةَ ثلاثَ مرَّاتٍ ، لكنَّه قطعَها .

وكـانتِ الحِبـالُ التي يحمِلُهـا مختلفـةَ الأُلـوانِ ، فسـألـه عن سِـرّ تعـدُّدِ ألوانِها ، فأجابه بأنّه يحرف كلَّ إنسانٍ بطريقٍ معيَّنٍ » .

وقـد ذهبَ هذا الشخصُ في غـدِه إلىٰ الشريفِ الـرضِيّ ، فعرف منـه أنّ الشيطانَ عرضَ له الليلةَ الماضيَـةَ لإغوائِـهِ لكنَّه نجىٰ ، وكـانَ في ذلِك تصـديقٌ لِرُؤْيا الشخصِ المذكور .

وينقـل المرحـومُ الكليني ـ رضـوانُ الله عليـه ـ قِصَّـةً مشـابِهـةً للحـادثـةِ المُتقـدِّمةِ مـرويَّةً عن الإمـامِ الصادِق (عليـه السلام) تحـدَّث فيهـا عن مجيءِ

إبليسَ إلىٰ يحيىٰ بن زكريا وهو يرتدي أَلبسةً غريبةً متعدِّدةَ الأَلوان والأَشكـالِ ، فسـأَلَه (عليـه السلام) عن سَبَبِ ارتـداءِ هذِه المـلابِس ، فأَجـابَـهُ بـأَنّـه أعـدَّ لإِضلالِ كلِّ فِئَةٍ ما يُناسِبُها[1] .

ويذكر القرآنُ الكريمُ مِراراً أَنَّ الشيطانَ أقسمَ على إضلالِ الإِنسانِ فبعـدَ أن يتحدَّثَ عن طردِهِ من الحضرةِ الإِلهيَّةِ قـال ـ تعالى ـ : ﴿ قَـالَ فَبِمَا أَغْـوَيْتَنِي لَأَقْعُـدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَـكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِم وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[2] .

يقول الإمامُ الباقِرُ (عليه السلام) في تفسيـرِ الآيةِ الكـريمةِ : ـ « مِن بينِ أيـدِيهِم : ـ أهونُّ عليهم الآخـرة ، ومِن خلفِهِم آمُرُهُم بجمـعِ الأَمْوالِ ومنعِهـا عن الحقـوقِ ، لتبقىٰ لِورثتِهم ، وعن أيمـانِهم أُفْسِـدُ عليهِم أَمْـرَ دِينِهم بتـزيينِ الضـلالةِ وتحسينِ الشُّبْهـةِ ، وعن شمـائِلهم بتحبيبِ اللذّاتِ وتغليبِ الشهـواتِ علىٰ قُلوبِهم[3] .

أي : أنّـه يأتي المرأَةَ غيرَ الملتزمةِ عن طريقِ الاستِهانةِ بِالحِجابِ وارتداءِ أمثالِ الجوارِبِ المزيَّنةِ غيـرِ الساتـرةِ للساقَينِ ، وبـالتالي عن طـريقِ المفاسـدِ الأخلاقيةِ .

أَمَّا بالنسبةِ لِلمتديِّنِينَ ، فيأتِيهم عن ظاهـرِ الصراطِ المستقيمِ ، فيجـرّهم إلىٰ جهنَّمَ عن طريقِ الوسوسةِ .

وإني أوصي المُصابِين بها أَنْ يتلُوَا يـوميّاً الآيـاتِ المتقدِّمـةَ عندمـا يُحاوِلُ الشيـطانُ الاستِحـواذَ على قُـواهُم التخيُّليـةِ ، ويُخـادِعُهم ، فيـرتكبـوا أعمـالَ الوسوسةِ القبيحة ، ويتذكَّروا أنَّ هذا الخبيث قد تحدَّىٰ الله لإغواءِ بني آدمَ بكُـلِّ

---

(١) ملخص حديث طويل ينقله المحدث القمي ـ قدّس سره ـ في سفينة البحار ج ١ ص ١٠٠ .

(٢) سورة الأعراف / ١٦ ، ١٧ .

(٣) بحار الأنوار ج ٦٣ ص ٢٤٣ ـ وكذلك مجمع البيان ونور الثقلين في ذيل الآية الكريمة .

وسيلةٍ ، فيقود الوسواسين إلىٰ جهنَّم عن طريقِ الوسوسةِ العمليَّةِ بشأنِ الطهارةِ والنجاسةِ والوضوءِ والغسلِ والعبادة .

ويحكي القرآن الكريم في مقطع آخر أن الشيطان لعنه الله أقسم أن : ـ ﴿ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً * وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾(٤) .

فهو أَقْسَم علىٰ أن يقومَ بما مِن شأنِه أن يُغيِّرُ الفِطرةَ الإلهيَّةَ ، وَيفقِدوها ويَعْجزوا عن إدراكِ معرفةِ الله وعن إدراكِ وجوبِ الخضوع في مقابِله والتمييز بينَ الفضيلةِ والرذيلةِ ، ثم يقول ـ تعالى ـ : ﴿ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً ﴾(٥) .

فيا أيها الوساوسِيّ إنّ القرآنَ يحكُم بخسرانِك المبين ! .

والمقطع الثالث يشبه سابقَيهِ ، فعندما طُرِدَ من الحضرةِ الإلهيَّةِ أَقْسَم أَنْ يُضِلَّ بني آدمَ ، فأجابَه ـ تعالى ـ ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوالِ وَالأَوْلاَدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾(٦) .

فما هو « صوت الشيطان » ؟ .

إنَّه الأغاني والموسيقىٰ ، و« أَجلِبْ عليهِم بِخيلِكَ وَرَجلِكَ » يعني أَنَّ للشيطانِ جيشينِ أحدهما الرجالة أي : أَنْ يبتلِيَهُ برِفاقٍ غيرِ صالِحينَ لا يفقهون فيقودونك إلىٰ جهنَّمَ بجهلِهم ووسواسهم .

وتارةً يتسلَّطُ عليهِ بِجيشِ الخيالةِ الذي لديهِ ـ بحَسَبِ التعبيرِ القرآني ـ

---

(٤) سورة النساء / ١١٨ ـ ١١٩ .

(٥) سورة النساء / ١١٩ .

(٦) سورة الإسراء / ٦٤ .

أي برفيقٍ عالِمٍ شيطانيٍّ يستطيعُ سَوقَهُ إلىٰ جهنّمَ بالاستدلالِ المُضَلِّلِ كما هو حالُ ما جلبته مدارِسُ المادِّيَّةِ الغربيّة لِبني الإنسانِ .

والشيطانُ يُشارِكُ الإنسانَ في المالِ الحرامِ ، ويُغويهِ بإطعامِ عيالِه منه ، فتنعقد النُطفةُ من ذاك المالِ الحرام ، فيدمِّر أولادَه أيضاً ، وعليه نعرف من الآية المتقدِّمةِ أنَّ الشيطانَ يُدمِّر ذُرِّيَّةَ هذا بالفِعلِ الحرامِ وذاكَ كالبَخْسِ في المِيزانِ والغِشّ أو أكلِ الرِّبا والرِّشوةِ وغيره وعن طريق (صوتِه) أي الموسيقىٰ والأغاني ، فيسوق كلاًّ منهم إلى جهنّم بأسلوبٍ مُعيَّنٍ، فلا يستعمل نفس الإغواء مع الجميع ولذا ينبغي لنا أن نعرف أنه يضع لكلٍّ واحدٍ شيطاناً خاصّاً به قريناً له ، فإنْ كانَ مِنْ عامةِ الناس فقرينُه من عامَّةِ الشياطين .

أمَّا إذا كانَ عالِماً ، فشيطانُهُ عالِمٌ أيضاً .

ورحِمَ العارِفَ الكامِلَ المرحومَ الشيخ « غلام رضا اليزدي » ، فقد كان يقولُ مراراً مِن على منبرِه : ـ « إنَّ لكلِّ شخصٍ شيطاناً وشيطاني أنا « ملاّئي » .

وهذا القولُ مستنبَطٌ مِن القرآنِ والآيةِ المتقدِّمة .

إنَّ سُورَتَي الفَلَقِ والناس جيِّدتَانِ في طَرْدِ الشيطانِ ، فعلِّموا أولادَكُم قراءةَ السورِ القِصارِ الأَرْبَعِ التي تبدأُ بِفِعلِ الأَمْرِ « قُلْ » ليتلوها عندَ خروجِهم من البيتِ لتكونَ لهم حِفظاً من شَرِّ الجِنِّ والشياطينِ .

وفي السورتينِ الأخيرتينِ مِن القرآن إشارةٌ لطيفةٌ ما أَحرانا بالانتِباهِ لها خُصوصاً المُصابِينَ بالوَسْوَسة ! ففي سورةِ الفلقِ أمرٌ بالاستِعاذةِ بالله من أربع أشياءَ هي : ـ

مِن شرِّ الناس ، وأخطر مصاديقِه شرّ المستعمرين والقوى الكبرىٰ .

و﴿ **من شَرِّ غاسِقٍ إذا وَقَبَ** ﴾(٧) أي : من شَرِّ الغريزةِ الجنسيَّة ، إذا

(٧،٨) سورة الفلق / ٣ ـ ٤ .

هاجتْ وهذِه حالة يجْدُرُ الاستعاذة بالله منها حقّاً .

و﴿ من شَرِّ النَّفَّاثَاتِ في العُقَدِ ﴾[8] أي من الغاويات ، كـأن تعمدَ امـرأةٌ إلىٰ غـوايتِـك فتتـابعهـا ، مثـل أن تـأتِيَ إلىٰ مَحَـلِّ عملِكَ ، فتمـازح وتتغنّـج فتغويك .

ومثل هذِ المواقفِ يجب الاستِعاذةُ مِنها كما تأْمرُ بذلِكَ السورةُ .

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[9] ، وهذِه أربعةُ أشياءَ مُهمة ، ولكن على الرغمِ من أهمِّيتها ، فقد وردتِ الاستِعاذةُ مِنها جميعاً بالربِّ مرَّةً واحدةً في سورةِ الفَلَقِ المباركة ، ولكِنْ في سورةِ الناسِ وردت الاستِعاذةُ ثلاثَ مـرَّاتٍ مِن شيءٍ واحِـد : ـ ﴿ بِسْمِ اللهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ ، قُـلْ أَعُـوذُ بِـرَبِّ النَّـاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ . . . ﴾[10] .

والتكرار هنا قائم رغم تغيير الصِّفةِ (لأَنَّها صفات لحقيقةٍ واحـدةٍ) ، فهو يعني الاستعاذةَ بالله ثلاثَ مرّات ، مِن أي شيء ؟! .

﴿ مِن شَـرِّ الْوَسْـوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ أي : من الشيـطان الكثيرِ الـوسوسـةِ الذي يقدِّم أَدِلَّةً (مُزيَّفةً) لِوساوِسِه .

إنَّ « الوَسواسَ الخنّاسَ » هو شيطانُ المصابين بـالوسـوسةِ ، وهـو شيطانٌ خبيرٌ ذَكِيٌّ عالِمٌ يعرِفُ كيف يُلقي وَساوِسَهُ ، ويُزيِّفُ البراهينَ لهذِه المرأَةِ أو لهذا الرجل .

فهو « خنَّاسٌ » إضافةً إلىٰ كونهِ « وسواساً » وكلاهما صيغتـا مبالغـة ، فهو كثيرُ الوسوسة وكثيرُ الاستِدلالِ (المزيَّفِ) .

وهذا حالُ الـوَسواسيِّينَ بـالفعل ، فهم يُقـدِّمون مُسـوِّغاتٍ عجيبـةً غريبـةً

(٩) سورة الفلق / ٥ .

(١٠) سورة الناس / ١ ـ ٤ .

لأعمالِهم ، ويُدقِّقُون في تفصيلاتٍ لا تخطر في ذِهْنِ مَرْجِعِهم في التقليدِ حِينَ الفتوىٰ . ولا يتصوَّرْ هؤلاءِ أنَّ ما يقدّمونَه هو استِدلالٌ حقيقيٌّ ، بل هو مِنْ وَحْيِ الشيطانِ بِحَسَبِ التعبيرِ القرآنيِّ ، يقول ـ تعالى ـ ﴿ وإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾[11] ، أي أن الشيطان يوحي إليكَ ـ أيُّها الوَسْوَاسِيَ ـ لتجيب مَن يقول لك : إنّ هذا الشيء طاهِرٌ ، بأنّه نجسٌ ، وأن تقدِّمَ الأدِلَّةَ علىٰ نجاستِه ، وأن لا تصغي لِلذي ينصحك بعدمِ الاهتمام المبالَغِ تِجاهَ الوضوءِ والغُسلِ ، بل قدِّمْ له الأدلّةَ على صحّةِ موقفِك .

إنّني أُوصي المصابينَ بالوَسوسةِ أَنْ يُواظبوا على تلاوةِ السّورِ الأربع المذكورةِ آنِفاً : التوحيد والكافرون، وبالخصوص المُعَوِّذتَين ، وعندما يحاول الوَسواسُ الخَنّاسُ ، هذا الشيطان الخبير ، أن يُغوِيَهُم ، فليصفعوه ويَطْرُدُوه ولا يسمحوا له بالتجرُّؤ والتسلُّطِ عليهم .

فعندما يحاول ذلك بادروا فوراً إلى قراءةِ سورةِ الناسِ ، ثم تدبّروا في معانِيها وكونِها تأْمُرُ بالاستِعاذةِ بالله مِن شَرِّ الشيطانِ الذي يُكْثِرُ الوَسْوَسَةَ ، ويسعىٰ لاقناعِكَ بالأدلَّة (المزيَّفةِ) ليسوقك إلىٰ النّار .

وخلاصةُ حديثِنا اليومَ هي : ـ أن الوسوسةَ مرضٌ يؤكِّدُ عِلْمُ النفسِ خَطَرَهُ وهي تعني ـ بحَسَبِ الرؤيةِ الإسلاميّةِ ـ تَسلُّطَ الشيطانِ على قوَّةِ الإنسانِ التخيُّليةِ ، والذي يُصابُ بها . يعني أنه اتَّخذ الشيطانَ وليّاً بِحَسَبِ التعبيرِ القرآنيِّ الذي يؤكّد أنَّ من يفعل ذلك فقد خَسِر خُسْراناً مُبِيناً .

كما عرفنا أن الشيطان يسعىٰ لسوق كلِّ إنسانٍ إلي جهنَّمَ بأُسلوبٍ مُعيَّنٍ يُناسِبُه ، فأُسلوبُه مَعَ « الحزب اللهي » يختلِفُ عن أُسلوبِه مع المعادي للثورةِ .

---

(١١) سورة الأنعام / ١٢١ .

وله أُسلوبٌ خاصٌّ بالمتديِّنِ ، وآخر للكاسبِ وللمرأةِ المتديِّنةِ يختلِف عن أُسلوبِ المعـاملةِ الشيطانيَّـةِ لغيرِهـا . فهو يُحـاوِلُ خِداعَ المـرأةِ المرتبـطةِ بالله والـرسـول والقـرآن بـأسلوب ، والمـرأة التي لا شغـل لهـا بـالأمـورِ المعنـويّـةِ والمحراب ومجالسِ الوعظِ بأُسلوبٍ آخر .

إذن فما هو العلاج ؟ .

إنّ هذا مرضٌ خطيرٌ جِـدّاً وإلىٰ درجةٍ يقـولُ بعضُ علماءِ النفس : إنَّ من المتعذِّر علاجَه .

أتـذكَّر أنّ أحـدَ المتخصصين في عِلمِ النفس كـان قـد سَمِـعَ أنّي أُجيـدُ مُعالجةَ المصابِينَ بالوسوسةِ فأتاني متعجِّباً وهو يتصوَّرُ أنّ لدي « وِرْداً » خاصّاً أو حِرْزاً أو « جفراً » خاصّاً ، فقلتُ له : ـ إنَّ ما أعرفِهُ هو سبيل العـلاج الذي بيَّنـه الإمامُ الصادِقُ (عليه السلام) ، فتعجّب من ذلك .

وعلىٰ آية حال ، فإن مقصودي هو أنَّ خطورةَ هذا المرضِ حَدَتْ ببعضِ علمـاءِ النفسِ إلى القولِ بـاستِحالـةِ العِـلاجِ ، لكنّي عـالجتُ حـالاتٍ كثيـرةً وشـديـدةً بعـلاجٍ سهْـلٍ جـداً ، وهـو الـذي أوصىٰ بـهِ الإمـامُ الصـادق (عليه السلام) من تجاهلِ وَساوِس الشيطانِ وعدمِ الاهتِمام بها وعدمِ تـرتيبِ الأثرِ عليها فإذا فَعلْتَ ذلِك شهراً أو شهرينِ شفيت من هـذا المرض ، وتعـاملتَ مثلَ سائرِ الناس ، كأن تتعاملَ المرأةُ المصابةُ بـهِ مثلما يفعـل زوجُها ، وتسمـع قـولـه ، وعلىٰ الـزوج إذا كـان مُصـابـاً بـه ، أنْ يفعـلَ مثلمـا تفعـلِ زوجتُـه (السليمـة) ، ويسمع قـولَها ، ويُصلِّي مثلمـا يُصلِّي الناس ويتـوضّـأ ويغتسـل ويُطهِّر الأشياءَ مثلهم .

فإذا فعل ذلك شهراً أو شهرينِ شُفِي من مرضِـه ، لكنّ جذورَه تبقىٰ حيَّـةً لا تَموتُ ، إلّا بعد أن يستمِرَّ علىٰ هذا العملِ لخمسةِ أو ستةِ أشهر .

فـإذا لم تعملْ بقـولي هذا ، فـاعلمْ أنَّ مرضَـكَ سيشتدُّ يـوماً بعـد آخَرَ ،

ويدمر دنيـاك وأسرتَـكَ ويُصِيب أطفالَـكَ بِعُقدٍ نفسيَّـةٍ ، ويبعث فيكَ ـ نفسـك ـ الكسل والضجر ، فتصبح عُضواً زائداً في الوسطِ الاجتماعي ، أي : أنَّه يجعل دُنيـاك جحيماً لـك ولأُسْرَتِـكَ وتيقَّنْ بأن هـذا الجحيمَ التي صَنَعْتَها لنفسِـكَ في الدنيا ستجدُه في الآخِرةِ أيضاً .

أمَّا إذا عمِلْتَ بما أقـولُه لـك ، فستقطع جُـذورَ هذا المـرضِ السَّرطـانِيِّ حتماً خِلالَ خمسةِ أو سِتّة أشهرٍ .

وفي الخِتام لدي كلمة أُوجِّهُها لغيـرِ المصابين بـالوَسْـوسَةِ ؛ وهي أنّـه إذا كانت زوجةُ أحدِكم مثلاً مُصابةً بها ، فلا ينبغي التعامل معهـا بخشونـةٍ ، إذْ إنَّها مريضةٌ والمريضُ لا يُعنَّف .

ونفسُ الوصيَّةِ مُوجَّهةٌ للزوجةِ إذا كانَ زوجُها وَسْواسِيّاً ، أو كانَ حال ابنِك أو ابنتِك كذلك ، فلا ينبغي تعنيفَهما أو ضربَهُمـا أو شتمهما أو مـا شابَـه ذلِك ، فمثل هذا يزيد وخامةَ المرض ، فهذِه حالةٌ مرضيَّة ، والمصـابُ بِها يحتـاجُ إلى المداراةِ والكِلمةِ الطَّيبةِ والاستِمـاع إلى أمثالِ هـذِه الأحاديثِ والمُحـاضراتِ ، فعِـلاجُه يحتـاجُ إلى الصَّبْرِ لكي يتحقَّقَ الشفـاء تدريجيّـاً ، علىٰ حَسَبِ المَثَـلِ المُتداولِ ، فإنَّ المَرَضَ يأتِي جبالاً (بسرعة) ويرحل شعرةً شعرةً (بِبُطءٍ) .

إذن يَجِبُ عليكَ الاهتمامُ بالمصابِ بهذا المرضِ ، والتحلِّي بالصبرِ في معالجتِه وإنقاذِه منهُ بصورةٍ تدريجيّةٍ حتّى يكتملَ الشفاء .

كمـا أُوصِي المصابِين بـالوَسْـوَسـةِ أن يسعـوا إلىٰ تخليصِ أنفُسِهم منهـا ويعملوا بالعلاجِ المتقـدِّم ، وأُكَرِّرُ الـوصيةَ للمحيـطينَ بالـوَسواسِيِّ أَنْ يجتنبـوا التعامُلَ مَعَهُ بخشونةٍ بل ليكُنْ تعاملكم معه متعقِّلاً مثل التعامُل مع المريض .

اللهمَّ إنِّي أُقسِمُ عليـكَ بحقِّ الزهـراءِ (عليها السـلام) أن تَمُنَّ بـالشفـاءِ على جميعِ المَرْضىٰ ، وبالخصوصِ المُصابِين بالوَسْوَسةِ الفكريَّةِ والعمليَّةِ .

فهرس الموضوعات